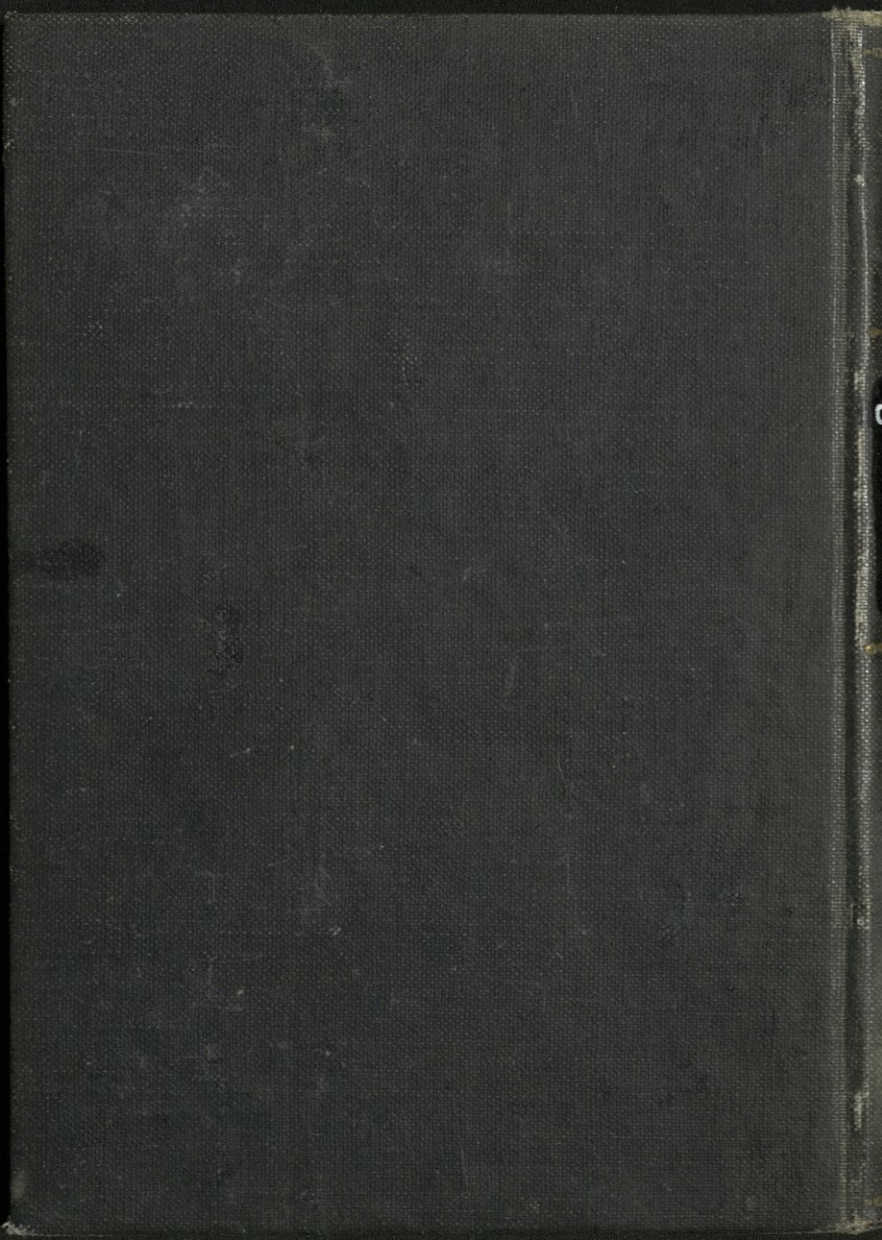
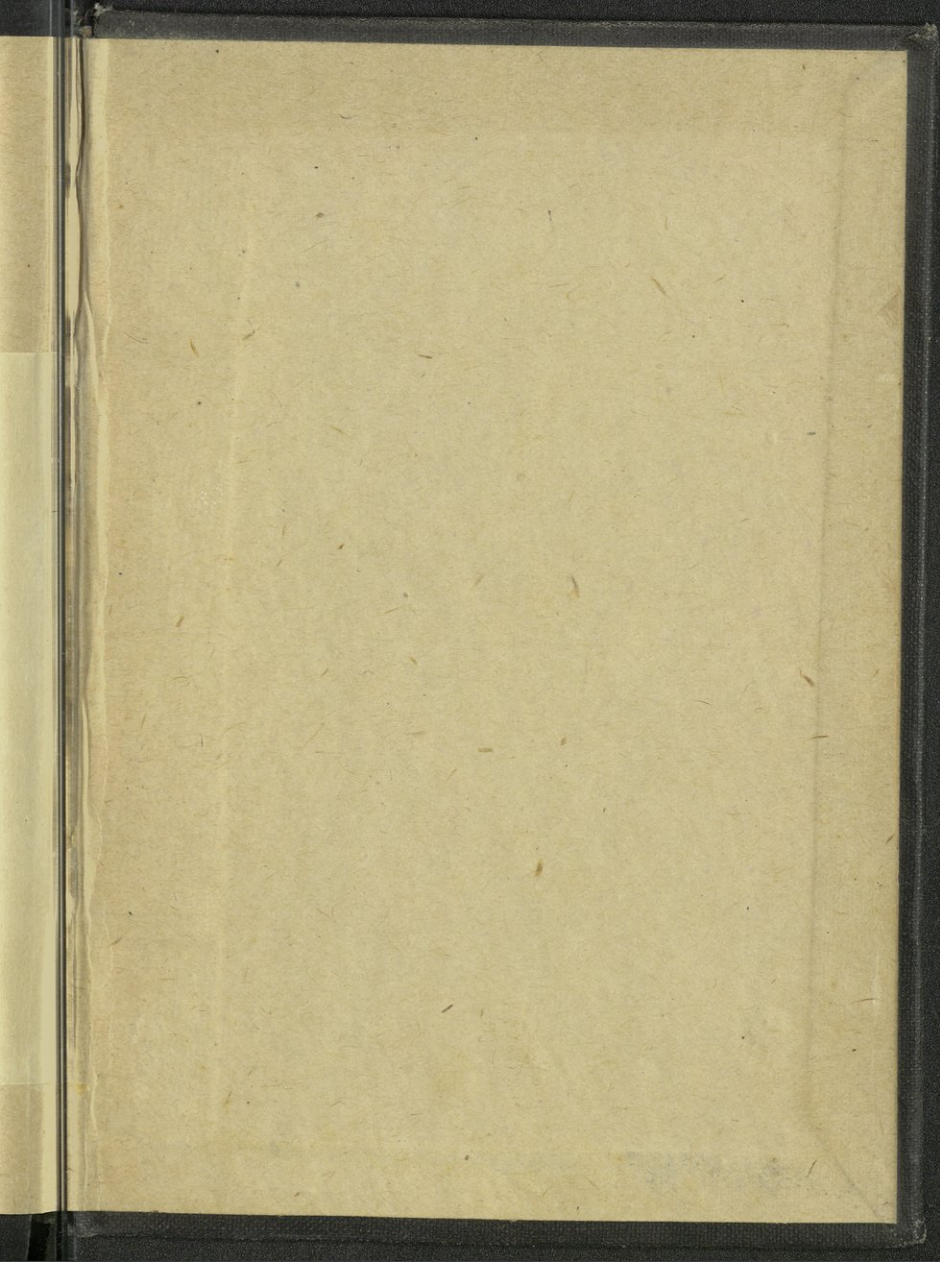






892.708:R56mH

V.4

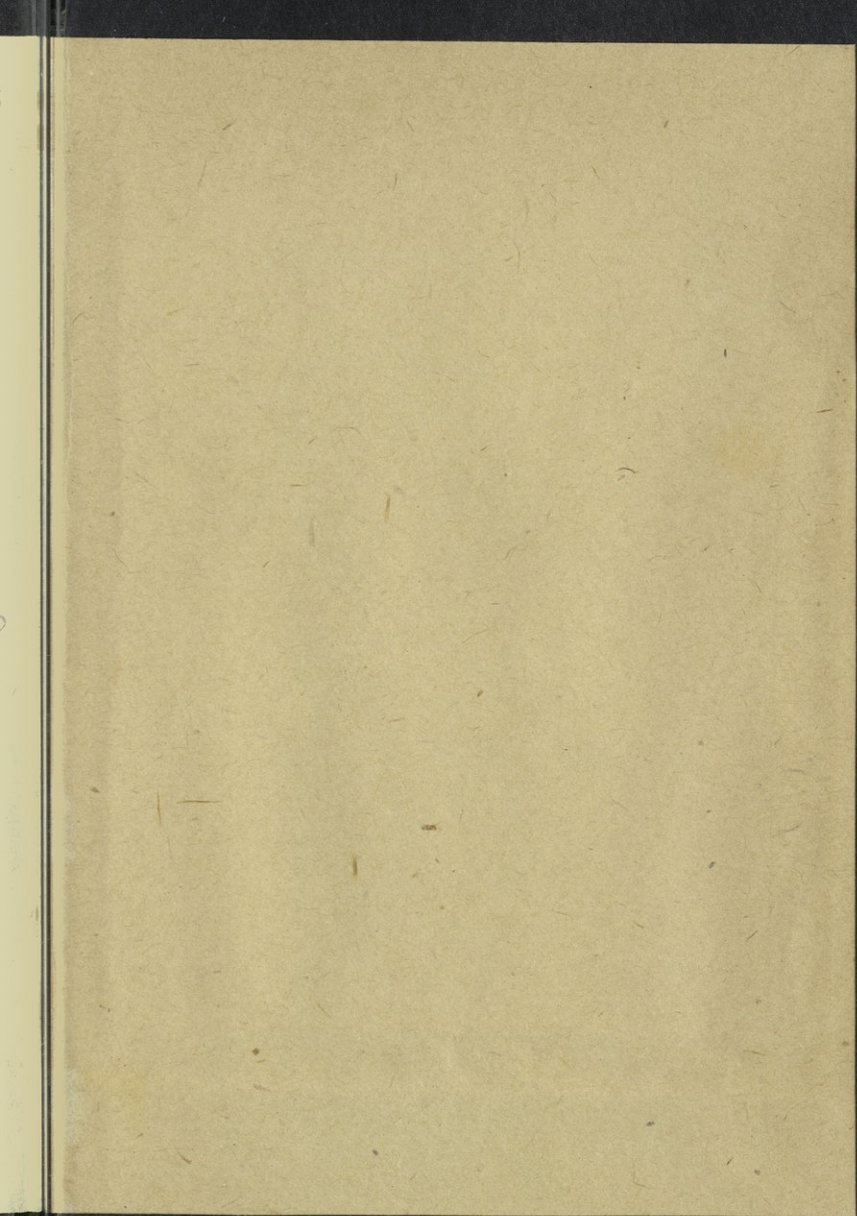
رفاعي، أحمد فريد

مكتبة القراءة والثقافة

892.708

R56mH

v.4



892.708
R56mA
v. 4
C.1

الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير إدارة المطبوعات المصرية

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية للجيب

التعليق

٤

58661

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

Cat. May 1943



مكتبة

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غَيْرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا لَكَانَ سَيِّئًا
وَلَوْ قَدَّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تَرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّفْسِ عَلَى
جُحْلَةِ الْبَشَرِ. الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

التعليق

بِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ نَسْتَفْتِحُ الْكَلَامَ ، وَبِالصَّلَاةِ عَلَى
كلمة المؤلف
نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ نَسْتَعِصِمُ^(١) مِنَ الزَّلَلِ^(٢) فِي الْقَوْلِ ،
وَالْخُطَلِ فِي الْفِعْلِ ، وَالشَّطَطِ فِي الْعَمَلِ ، وَبِاعْجَازِ
قُرْآنِكَ نَصْدَعُ بِالْحَقِّ ، وَنَضْرَعُ بَيَّانَهُ بِهَرَجِ^(٣)
الْبَاطِلِ ، وَبَيَّانِ نَبِيِّكَ نُقِيمُ أَوْدَ الصَّيْدِ^(٤) ، وَنُسْلِسُ

(١) نطلب العصمة والحفظ (٢) السقوط والعثرات (٣) الدرهم
الزائف وقد استعير لكل ردىء (٤) جمع أصيد وهو مائل العنق صلفاً
وكبراً والمراد تقويم المعوج وإصلاح الفاسد

قِيَادَ الْعَيْنِدِ ، وَنُذِيبُ صَلَابَةٍ ^(١) الْحَدِيدِ ، وَبِفَصَاحَةِ
عَبَاقِرَتِكَ ^(٢) نُجْلِي ^(٣) الشُّبْهَةَ ، وَنُوجِبُ الْحُجَّةَ ،
وَنَصْقُلُ ^(٤) الْخَوَاطِرَ وَالْعُقُولَ ، وَنَبْعَثُ دَوْلَتِي ^(٥)
الْمُعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ ، وَنُعِيدُ لِمَعَانَ اللُّغَةِ بَعْدَ طُمُوسٍ ^(٦)
وَأَفُولٍ ^(٧) ، وَبِآيَاتِ مَصَاقِعِ خُطَبَائِكَ تَتَذَوَّقُ ^(٨)
الْبُلِيغِ الصَّادِعِ ^(٩) ، وَنَسْتَضِيءُ بِالسَّنِيِّ السَّاطِعِ ،
وَنَهْتَدِي بِالضَّوِّ اللَّامِعِ ، وَبِكِتَابَةِ أُمَّةٍ لِسَانِكَ

(١) كناية عن تسهيل الصعب وتقريب البعيد (٢) جمع عبقرى
وهي النوابع الأفذاذ (٣) أجلاه عن المكان أبعدته والاسم الجلاء أى نبعد
الشبهة (٤) صقل السيف جلاه وأزال عنه الصدأ وصل العقول انماء
مداركها (٥) أى احياء العلوم العقلية والنقلية بنشرها وايضاح غوامضها
(٦) طمس القمر والنجم والبصر يطمس طمسا وطموساً : ذهب ضوءها
(٧) أفل النجم غرب . والمراد نشر اللغة بنشر مؤلفاتها (٨) تذوق
البليغ من القول فهمه وإدراك موضع الحجة منه (٩) الكاشف وأصل
الصدع كسر الزجاج استعير للاظهار والكشف وفي التنزيل فاصدع بما تؤمر
أى أعلن الدعوة وأظهرها جلية .

نَعْمَرُ قُلُوبَنَا بِالْمُبْدِعِ الْمُطْرَبِ ، وَلِنَغْذِي نَفُوسَنَا
 بِالْمَعِينِ الَّذِي لَا يَنْضُبُ ، وَنُرْشِدُ حَصَاتِنَا بِمَا لَا
 يُزِيغُ^(١) وَلَا يُعْزِبُ ، وَبِطَلَاوَةِ عِبَارَةِ عُلَمَائِكَ
 تَتَّخِذُ الْوَشْيَ^(٢) الْقَشِيبَ ، وَنَسْتَعِيدُ عَهْدَ الشَّبَابِ
 إِثْرَ مَشِيبٍ ، وَبِفَرَاهَةِ^(٣) أَسَالِيْبِ نَاطُورَتِكَ^(٤)
 نَتَسَرَّبِلُ بِالْجَدِيدِ ، الَّذِي لَا يَخْلُقُ وَلَا يَفْنَى . وَبِالْجَنَى
 الْيَانِعِ الَّذِي لَا يَذْبُلُ وَلَا يَبْلَى ، وَبِالشَّهْيِ النَّاضِرِ
 الَّذِي لَا يَخْبُو^(٥) وَلَا يُطْوَى ، وَبِالطَّلِيِّ الشَّقِيقِ
 الَّذِي لَا يُعَافُ وَلَا يُقَلَّى^(٦) .

(١) يزيع : يضل . ويعزب : يُبعد (٢) الوشي : من الثياب ،
 النقش والتحسين ، والقشيب : الجديد (٣) الفراهة : الحذق بالشئ ،
 والحسن والملاحظة (٤) الناطور من القوم ، السيد المنظور إليه منهم ،
 وقال في الأساس : لا يغفل عن النظر فيما أهمته (٥) خبت النار والحرب
 والحدة : سكنت وخذت وأطفئت (٦) قلاه : أغضبه

وَبَعْدُ فَهَذَا كِتَابُنَا الرَّابِعُ «التَّعْلِيقُ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ»
الَّذِي أُرْتَأَيْنَا مِنْ حُسْنِ الْوَضْعِ وَالتَّخْرِيجِ ، أَنْ نَجْعَلَهُ
لَكَ فِي سَفَرَيْنِ مِنْ مَكْتَبَةٍ ، أُلْجِبَ ، لِتَسْهِيلِ حَمْلِهِمَا
وَأُسْتِسَاغَةِ مَا فِيهِمَا ، أَحَدُهُمَا «التَّعْلِيقُ» حَيْثُ نُضَمِّنُ
لَكَ فِيهِ إِتْمَامَ حَدِيثِ شَيْخِنَا حَمْزَةَ فَتْحِ اللَّهِ وَكِبَارِ
تَلَامِيذِهِ ، مُتَوَخِّينَ فِيهِ بَيَانَ صُنُوفٍ مِنْ مَنَاحِي
الْقَوْلِ فِي مُخْتَارِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَمُعَرِّجِينَ بِكَ
بَعْدَئِذٍ عَلَى بَعْضِ مُمَثِّلِي أَدْوَارِ الْإِنْتِقَالِ بَيْنَ الْقَدِيمِ
وَالْجَدِيدِ ، فَبَاسِطِينَ مَا كَانَ مِنْ حَيْرَتِنَا كَطَّلَابِ
أَدَبٍ بَيْنَ هَوًى لَاءٍ ، وَهَوًى لَاءٍ ، ثُمَّ وَاقِفِينَ وَفْقَةً مُوجَزَةً
عَلَى زَعِيمِ التَّجْدِيدِ ، مُوَضِّحِينَ لَكَ آرَاءَ بَعْضِ قَادَةِ
الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّينَ فِي الْأَدَبِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ

اتَّجَاهِهِ نَحْوَ الْكِتَابَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ، فَشَارِحِينَ
لَكَ أَثَرَ الْقِصَّةِ وَكِتَابَةَ التَّرَاجِمِ، وَدِرَاسَةَ الشَّخْصِيَّاتِ
الْبَارِزَةِ فِيهِ .

وَأَمَّا السُّفْرُ الثَّانِي وَهُوَ كِتَابُ « الْهَامِشِ » عَلَى
التَّعْلِيقِ، فَقَدْ أَفْرَدْنَاهُ لَكَ، لِنُحَدِّثَكَ حَدِيثًا خَفِيفًا
كَحَجْمِهِ عَنِ النَّوَائِغِ وَالْعُظَمَاءِ، مُبَيِّنِينَ فِيهِ فِي
إِيجَازٍ غَيْرِ مُخِلٍّ حُدُودَ الْعِظَمَةِ وَتَكْوِينَهَا، وَهَلْ
تَخَضُّعُ الْعِظَمَةِ لِسُلْطَانِ الطَّبِيعَةِ فَيَنْظُمُهَا كَمَا يَنْظُمُ
كُلَّ كَائِنٍ؟ وَيُخْرِجُ مِنْ الْإِنْسَانِ سِلْسِلَةً نَوْعِيَّةً
مِنَ النَّوَائِغِ وَالْعُظَمَاءِ، أَوْ أَنَّ هُوَ لَا يُبْرِزُهُمُ الْوُجُودُ
بِفِعْلِ مُؤَثِّرَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا وَلَا ضَابِطَ؟
وَالَّذِي حَدَا بِنَا أَنْ نَقْرُدَ كِتَابَنَا الْهَامِشَ، وَهُوَ

خَاتِمَةُ السُّلْسِلَةِ الْأُولَى التَّهْهِيدِيَّةِ بِالْكَلامِ عَلَى
النَّوَابِغِ وَالْعُظَمَاءِ ، وَأَنْ نَذْكُرَ آراءَ كِبَارِ فَلَاسِفَةِ
الْغَرْبِ فِي الْعَظَمَةِ وَالنُّبُوغِ ، وَأَنْ نَبْسُطَ نَظَرِيَّةَ
إِمْرِسُونِ ، وَمَا وَرَدَ عَلَيْهَا مِنْ نِقَاشٍ وَرُدُودٍ —
إِنَّمَا أَفْرَدْنَا الْهَامِشَ بِهَذَا الْبَحْثِ ، لِأَنَّ مُتَهَيِّ
مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْمُتَقَفُّ إِنْ صَحَّتْ عَزِيمَتُهُ ، وَوَجَدَ
الْأَدَبُ وَالْعِلْمُ مِنْهُ الثَّرْبَةَ الْحَرَّةَ الصَّالِحَةَ أَنْ يُبْرِزَ
الثَّقَافَةُ مِنْهُ وَمِنْ مَكُونِ اسْتِعْدَادِهِ نَابِغَةً عَظِيمًا .
مِنْ أَجْلِ هَذَا — كَانَ كِتَابُنَا الْخَامِسُ « الْهَامِشُ »
فِي التَّرْتِيبِ الْعَقْلِيِّ وَالْوَضْعِيِّ وَالْمَنْطِقِيِّ ، هَامِشًا كَانِيهِ
لِكُلِّ مَا قَدَّمَناهُ لَكَ مِنْ كُتُبِنَا الْأَرْبَعَةِ .
وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ، نَنْتَهِي بِكَ إِلَى تَوْضِيحِ مَا انْتَوَيْنَاهُ

مِنْ وَضَعَ خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْكُتُبِ ، أُولَاهَا إِتْمَامُ هَذِهِ
السَّلْسِلَةِ التَّمْهِيدِيَّةِ الْأُولَى ، الَّتِي طَالَعْنَاكَ مِنْهَا إِلَى الْآنَ
بِكُتُبِنَا الثَّلَاثَةِ ، الْمُقَدِّمَةِ ، وَالتَّعْقِيبِ ، وَالتَّذْيِيلِ ،
وَالَّتِي نَطَّالِعُكَ مِنْهَا الْآنَ بِكِتَابِنَا الرَّابِعِ الَّذِي يَبْنِي
يَدِيكَ ، وَهِيَ بِمَثَابَةِ تَمْهِيدٍ لِلْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَتَوْطِئَةً
لِتَذْوُقِ أُصُولَهُ ، مِنْ دَرَسٍ لِلْأَمْثَالِ ، وَفِقَهُ اللُّغَةِ ،
وَنِصَاحٍ ^(١) الْأَسَالِيبِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ عُيُونٍ وَغُرَرٍ ^(٢) ،
وَمَجَازَاتٍ وَدُرَرٍ ، وَمُتَرَادِفَاتٍ وَمُعَلَّقَاتٍ ، وَمَنْشُورٍ
وَمَنْظُومٍ ، ثُمَّ كِتَابِنَا الْخَامِسِ « الْهَامِشِ » فِي النُّبُوغِ
وَالْعِظَمَةِ ، ثُمَّ الْمُضِيِّ فِي السَّلْسِلَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي سَنَعَالِجُ

(١) النصاح : بكسر أوله : الخيط والسلك ، ونصاح الأساليب :

تراكيبها ونظامها وارتباطها (٢) الغرر : جمع غرة والمراد هنا المختارات
الجيدة ، وعيون الأدب لبابه .

لَكَ الْكَلَامَ فِيهَا عَنْ جَمَاعَةِ صَالِحَةٍ مِنْ أُمَّةِ الْبَيَانِ
 الْعَرَبِيِّ ، وَالْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ أَمْثَالِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ ،
 وَابْنِ الْمُقَفَّعِ ، وَالْجَاحِظِ ، وَالْغَزَالِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ ، مَعَ
 الْإِكْبَابِ^(١) عَلَى دِرَاسَةِ قِيَمِ آثَارِهِمْ ، وَمُنْتَجَاتِ
 عُقُولِهِمْ ، وَعُصَارَةِ أَذْهَانِهِمْ ، ثُمَّ الْأَنْتِقَالِ بِكَ إِلَى
 السَّلْسِلَةِ الثَّلَاثَةِ ، الَّتِي نَرْجُو أَنْ نَدْرُسَ فِيهَا سَوِيًّا
 فِي ضَوْءٍ مِنَ النُّظْمِ الْحَدِيثَةِ ، الْمِظَانِ الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّبِيهِةِ
 بِالرَّسْمِيَّةِ ، لِلْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ .

السلسلة
الثالثة

أَمَّا الرَّسْمِيَّةُ . فَتَعْنِي بِهَا كُتُبُ الْأَدَبِ الْمُجْمَعِ
 عَلَيْهَا ، وَهِيَ الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ،
 وَالْكَامِلُ ، وَالْأَمَالِيُّ ، وَأَمَّا الشَّبِيهِةُ بِالرَّسْمِيَّةِ ، فَأَمْثَالُ

المِظَانِ
الرَّسْمِيَّةِ
وغيرها

(١) أَكْبَرُ عَلَى الشَّيْءِ إِكْبَابًا : لَزِمَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ .

ابن منْظُومٍ ، وابن منْظُورٍ ، وابن قُتَيْبَةَ ، وابن
 بَسَّامٍ ، وابن ظُفَرٍ ، وأبي حَيَّانَ ، والزَّخْشَرِيَّ ،
 والجَّاحِظِ فِي حَيَوَانِهِ ، وَمَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ التَّوَعَّلِ بِكَ
 فِي السَّلْسِلَةِ الرَّابِعَةِ ، فَجَاحِزٌ بِكَ طَبَعَ كُتُبِ الطَّبَقَاتِ
 وَالتَّرَاجِمِ ، أَمْثَالِ مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِيَأْقُوتَ ، وَتَارِيخِ
 الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ ، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خُلِّكَانَ ،
 وَمَنْ عَلَى شَأْكِ كَلِمَتِهِمْ ، وَجَرَى مَجْرَاهُمْ ، لِأَنَّا نَرَى
 فِي إِحْيَاءِ هَذِهِ الْكُتُبِ ، وَبَعَثِهَا إِلَى النُّشُورِ
 وَالظُّهُورِ ، اللَّبَنَةُ ^(١) الْأُولَى فِي بِنَاءِ صَرْحِ الْمَوْسُوعَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ ، الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاطِقُونَ بِالضَّادِ ،
 وَالتَّمْهِيدَ الَّذِي لَا مَحِيصَ ^(٢) عَنْهُ ، إِذَا مَا رَغِبْنَا رَغْبَةً

(١) اللبنه : واحدة اللبن وهو المضروب من الطين مربعاً للبناء ، والمراد
 أن ذلك أساس لتأليف الموسوعة (٢) لا محيص : أى لا مفر

عَمَلِيَّةٌ حَقَّةٌ فِي الْإِتِّجَاهِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَمَلِيِّ مَعًا ، فِي
وَضْعِ دَائِرَةِ مَعَارِفِ عَرَبِيَّةٍ شَرْقِيَّةٍ ، مُسْتَنَدَةً عَلَى
أُصُولٍ تَارِيخِيَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وَقَائِمَةٍ عَلَى أُسُسٍ عَمَلِيَّةٍ
حَقَّةٍ ، ثُمَّ تَتَقَدَّمُ أَخِيرًا بِمَنْهِ وَحَوْلِهِ إِذَا كَانَ فِي
الْعُمُرِ بَقِيَّةً ، وَمِنْ الْقُرَّاءِ إِقْبَالَ وَتَشْجِيعٌ ، وَمِنْ
النَّاشِرِينَ إِخْلَاصٌ وَحُسْنُ نِيَّةٍ ، وَتَفَهُمٌ وَاسْتِسَاغَةٌ ،
وَمِنْ وُلاَةِ الْأُمُورِ تَأْيِيدٌ لِمَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ ، وَأَخْذٌ
بِسُنَّةِ إِحْيَاءِ اللُّغَةِ مِنْ كِبَوَاتِهَا ^(١) ، وَإِنْهَاضِ الْآدَابِ
مِنْ عَثَرَتِهَا ، وَبَعَثِ الْهَمَمِ مِنْ غَفَوَاتِهَا ^(٢) ،
وَاسْتِحْثَاتِ ^(٣) الْعَزَمَاتِ مِنْ غَفَلَتِهَا ، تَتَقَدَّمُ بِمَنْهِ

(١) الكبوة : السقوط على الوجه ، والمراد الاتجاه الى إصلاح ما فسد
من اللغة وتمهيد طرقها ونشر معالمها وتيسير تناولها (٢) الغفوة : النوم
الخفيف ، والمراد انبثاؤها ونشاطها (٣) الاستحثاث : الاستنهاض

وَفَضَّلِهِ فِي الْمَضِيِّ قُدُمًا^(١) فِي مُطَالَعَتِكَ السَّلْسِلَةِ
 الْخَامِسَةِ الَّتِي بَدَأْنَا لَكَ بِشَيْءٍ مِنْ بَاكُورَتِهَا^(٢) حِينَ
 وَضَعْنَا لَكَ كِتَابَيْنَا عَصَرَ الْمَأْمُونِ وَالشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ ،
 وَهَكَذَا نَجْرِي بِكَ فِي قِصَّةِ كُتُبِنَا ، مُعْرِينَ بِكَ
 مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ ، مُتَنَقِّلِينَ بِكَ مِنْ حَدِيثٍ إِلَى
 حَدِيثٍ ، وَمِنْ مَادَّةٍ إِلَى مَادَّةٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّمَطَ
 مِنَ الْكِتَابَةِ الْأَوَّلِيَّةِ فِي أَدَبِنَا الْعَرَبِيِّ ، أَنْشَطُ
 لِلْمُطَالَعَةِ ، وَأَقْوَى عَلَى الظَّفَرِ بِالْفَائِدَةِ ، وَأَقْدَرُ عَلَى
 اتِّجَاعِ^(٣) الْعِلْمِ ، وَأَقْوَمُ سَبِيلٍ فِي انْتِهَالِ الْأَدَبِ ،
 وَأَسْلَطُ^(٤) عَلَى الْإِنْتِقَادِ وَالْإِتِّقَاءِ ، وَأَوْصَلُ إِلَى حُسْنِ

(١) القُدُمُ : المضي أمامُ أمامُ يقال مضي قُدُمًا أى لم يرجع ولم ينثن

(٢) الباكورة : أول كل شيء . (٣) اتجاع العلم : طلبه في

مواضعه ومظانه وأصله طلب المرعى (٤) أسلط : أغلب ، وأقدر

الْأَرْتِيَادِ^(١) وَالْأَرْتِيَاءَ ، وَلَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ .
لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدَبَّرَةً

إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

فَمَا بِالْأَلَكِ - هَذَاكَ اللَّهُ وَأَرْشَدَكَ ، وَوَفَّقَكَ

وَبَصَّرَكَ^(٢) - بِمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِنَا وَأَيَّامِنَا الَّتِي

تَجَرَّعُ فِيهَا كُؤُوسَ الصَّابِ وَالْعَلَقَمَ ، وَنُسَاوِرُ^(٣)

عَلَى الْأَرْقِ الْمُمِضِ مِنْهَا سُمُّ الْأَرْقَمِ ، وَالَّتِي تَقْتَطِعُنَا

فِيهَا مَشَاغِلُ الْحَيَاةِ الْمَادِّيَّةِ بِمَطَالِبِهَا الْآلِيَّةِ الْمُلِحَّةِ

فَلَا يَتَأَلَّقُ فِيهَا بَرْقُ فِكْرٍ وَلَا يَتَرَقِّقُ^(٤) مِنْهَا

(١) الارتياذ : الطلب والتفقد ، والارتياء : الاختيار بعد تأمل

(٢) بصره الأمر : عرفه إياه (٣) نساور : أى نواصب ، والأرق :

السهر وعدم النوم والمض : الموضع المؤلم ، والأرقم : أخبث الحيات

وأطلبها للناس . وقيل : ما فيه سواد وبياض (٤) ترقق الشيء : جرى

جرياً سهلاً ، وتلاأ

وَدُقُّ^(١) ذِكْرٍ^(٢) ، وَشَدَّ مَا هِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّرَفِّهِ
وَالتَّسْلِيَةِ ، وَإِلَى التَّشْقِيفِ وَالتَّرْعِيَةِ^(٣) ، وَإِلَى النَّمَاءِ
وَالتَّغْذِيَةِ ، وَإِلَى الثَّقَلَةِ^(٤) مِنْ فُكَاهَةٍ إِلَى جِدٍّ ، وَمِنْ
غَوْرٍ إِلَى نَجْدٍ .

طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنٍ
وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدَنَانِي

وَلَعَلَّكَ قَدْ قَرَأْتَ — وَالْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ —
مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَقَدْ حَضَرَهُ
الْبُحْتَرِيُّ فَقَالَ : يَا أَبَا عُبَادَةَ ، أَمْسِلِمْ^(٥) أَشْعُرُ أَمْ

(١) الودق : المطر (٢) الذكر : التذكر . تقول هو على ذكر
منى أى فى ذاكرتى (٣) الترعية : إجابة الرعاية . ورجل ترعية : يجيد
رعاية الابل (٤) النقلة : بالضم ، اسم بمعنى الانتقال (٥) مسلم :
هو مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني

أَبُو نُوَّاسٍ . فَقَالَ : بَلْ أَبُو نُوَّاسٍ ، لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ
 فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَيَتَنَوَّعُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ، إِنْ شَاءَ
 جَدَّ ، وَإِنْ شَاءَ هَزَلَ ، وَمُسْلِمٌ يَلْزِمُ طَرِيقًا وَاحِدًا
 لَا يَتَعَدَّاهُ ، وَيَتَحَقَّقُ بِمَذْهَبٍ لَا يَتَخَطَّاهُ ، فَقَالَ
 لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ : إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْمَعْرُوفَ بِشَعْلَبٍ
 لَا يُوَافِقُكَ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ : لَيْسَ هَذَا
 مِنْ عِلْمِ ثَعْلَبٍ وَأَضْرَابِهِ مِمَّنْ يَحْفَظُ الشَّعْرَ وَلَا
 يَقُولُهُ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الشَّعْرَ مَنْ دُفِعَ إِلَى
 مَضَائِقِهِ ^(١) ، فَقَالَ : وَرَتْ بِكَ ^(٢) زِنَادِي يَا أَبَا عُبَادَةَ ،
 وَإِنَّ حُكْمَكَ فِي عَمَمِكَ أَبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ ، وَافَقَ

(١) المضيق : ما ضاق من الأماكن ، والمراد : أن العارف بالشعر هو
 المدفوع إلى مواطنه الصعبة السلوك (٢) وري الزند : خرجت ناره ،
 أى لا زلت نصيرى وباب نجحى

حُكْمَ أَبِي نُوَّاسٍ فِي عَمِّهِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ، فَإِنَّهُ
سُئِلَ عَنْهُمَا ، فَفَضَّلَ جَرِيرًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ
أَبَا عُبَيْدَةَ لَا يُوَافِقُكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : لَيْسَ
هَذَا مِنْ عِلْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ مَنْ
دُفِعَ إِلَى مَضَائِقِ الشَّعْرِ . وَلَعَلَّكَ قَدْ قَرَأْتَ
أَيْضًا - وَالْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ - مَا رَوَاهُ الْجَلَّاحُظُ
قَالَ : طَلَبْتُ عِلْمَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْأَصْمَعِيِّ فَوَجَدْتُهُ
لَا يَعْرِفُ إِلَّا غَرِيبَهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَخْفَشِ فَوَجَدْتُهُ
لَا يَتَّقِنُ إِلَّا إِعْرَابَهُ ، فَعَطَفْتُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ،
فَرَأَيْتُهُ لَا يَنْقُلُ إِلَّا فِيمَا اتَّصَلَ بِالْأَخْبَارِ ، وَتَعَلَّقَ
بِالْأَنْسَابِ وَالْأَيَّامِ ، فَلَمْ أَظْفَرْ بِمَا أَرَدْتُ ، إِلَّا عِنْدَ

أَدْبَاءُ الْكُتَّابِ ، كَالْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَعَلَّكَ بَعْدَ ذِكْرِكَ لِهَذَا الَّذِي قَرَأْتَهُ ،
وَاسْتَسَعَتْهُ ^(١) مِنْ مَقَالَاتِ ابْنِ يُوسُفَ ، وَعَمْرٍو ابْنِ
بَجْرِ الْجَاحِظِ ، لَا تَعْتَرِضُ عَلَى مَسْلِكِنَا مَعَكَ فِي
كِتَابِنَا هَذَا ، مِنْ انْتِقَالِنَا بِكَ مِنْ حَدِيثِنَا عَنْ شَيْخِنَا
حَمْزَةَ فَتَحَ اللَّهُ مُمَثِّلِ الْمُحَافِظِينَ وَالْقُدَمَاءِ ، إِلَى نَاطُورَةِ
تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ بَيْنَ هُوَءٍ لَاءٍ وَهُوَءٍ لَاءٍ ، إِلَى حَدِيثِنَا
عَنْ نَدْوَةٍ ^(٢) ثَرَوَتْ بِأَشَا ، إِلَى تَحْدِيثِنَا عَنْ أَدَبِ
الْفَرَنْجَةِ إِلَى كَلَامِنَا عَنْ أَدَبِ التَّرَاجِمِ ، فَأَدَبِ
الْعَصْرِ ، فَأَدَبِ الْقِصَّةِ ، وَهَكَذَا دَوَّالِيكَ مِنَ الْقَاهِرَةِ
إِلَى بَغْدَادَ ، إِلَى لُنْدُنَ إِلَى بَارِيسَ ... إِلَى الْعَالَمِ قَاطِبَةً :

(١) استساغ الشيء : ساغه ، والسائغ السهل المدخل من الطعام
والشراب (٢) الندوة : النادي « مجلس الاجتماع والمسامرة »

ثُمَّ لَعَلَّكَ : بَعْدَ ذِكْرِكَ لِهَذَا الَّذِي قَرَأْتَهُ ^{التماس المؤلف}
 وَاسْتَسَعْتَهُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ ، تَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا التَّوْفِيقَ
 فِيمَا أَنْتَوَيْنَاهُ لَكَ مِنْ الْإِكْبَابِ عَلَى إِفَادَتِكَ ،
 وَاقْتِطَاعِ سَاعٍ ^(١) رَاحَتِنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ ، وَاحْتِمَالِ
 الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ خَيْرِكَ وَنَفْعِكَ ، وَتَشْذِيبِكَ ،
 وَتَهْذِيبِكَ ، وَتَجْدِيدِ مَا أَنْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ لُغَتِكَ ،
 وَإِحْيَاءِ مَا عَفَتْ آثَارُهُ مِنْ تَوَالِفِ سَلَفِكَ ، فِي مَنْحَى
 يَتَّفِقُ وَذَوْقِ الْعَصْرِ ، وَمِنْهَاجِ يَتَمَشَّى وَعَقْلِيَّةِ الْجِيلِ ،
 وَأَخْذِ بِأَسْلُوبِ الْقِصَّةِ انْتِفَاءً لِمَلَالِكَ وَضَجْرِكَ ،
 وَارْتِيَاداً لِمَسَرَّتِكَ وَرَوْحِكَ ^(٢) ، وَابْتِغَاءً لِمَرْضَاتِكَ
 وَدَعَتِكَ ، وَاسْتِحْثَانًا لِعِزِّمَتِكَ وَقَابِلِيَّتِكَ ، وَاللَّهُ

(١) سَاع : جمع ساعة . (٢) الروح : الراحة .

كَأَلَيْكَ وَحَارِسُكَ وَمُؤَفِّقُكَ وَمُرْشِدُكَ وَمُسَدِّدُكَ
وَنَاصِرُكَ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ .

وَإِنِّي لَمُعْتَرِفٌ بِقُصْرِ بَاعِي ، وَقُصُورِ ذِرَاعِي فِيمَا
أَرُومُهُ ، قَدَمْتُهُ لَكَ - خَالِصًا مُخْلِصًا - مِنْ إِصْلَاحِ
وَتَشْذِيبِ ، وَثِقَافَةٍ وَتَهْذِيبٍ ، وَلَا أَنْيَكُرُ عَلَيْكَ
أَنِّي مُعْتَرِفٌ بِقَوْلِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ
فِي فُسْحَةٍ مِنْ عَقْلِهِ مَا لَمْ يَقُلْ شِعْرًا أَوْ يُصَنِّفَ كِتَابًا » ،
وَقَدْ كَتَبَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ
وَقَفَ عَلَى سَهْوٍ فِي كِتَابٍ وَرَدَ مِنْهُ : اتَّخِذْ كَاتِبًا
مُنْصِيفًا لِكُتُبِكَ فَإِنَّ الْمُؤَلِّفَ تَنَازَعُهُ أُمُورٌ ، وَتَعْتَوِرُهُ ^(١)
خُرُوقٌ ، تَشْغَلُ قَلْبَهُ وَتَشْغَبُ ^(٢) فِكْرَهُ ، مِنْ كَلَامٍ

(١) تعتوره : تتداوله ، وترد عليه (٢) تشعب : من باب قطع : تفرق

يَنْسِقُهُ^(١) وَتَأْلِيفٍ يَنْظِمُهُ^(٢) ، وَمَعْنَى يَتَعَلَّقُ بِهِ يَشْرَحُهُ ،
وَحُجَّةٌ يُوضِّحُهَا . وَالْمُتَصَفِّحُ لِلْكِتَابِ أَبْصَرُ بِمَوَاضِعِ
الْخَلَلِ مِنْ مُبْتَدِئٍ تَأْلِيفِهِ . وَأَنَا فَقَدْ اعْتَرَفْتُ
بِقُصُورِي فِيمَا اعْتَمَدْتُ عَنِ الْغَايَةِ ، وَتَقْصِيرِي
عَنِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى النَّهَايَةِ ، فَاسْأَلُ النَّاطِرَ فِيهِ أَلَّا
يَعْتَمِدَ الْعَنْتَ^(٣) وَلَا يَقْصِدَ قَصْدَ مَنْ إِذَا رَأَى حَسَنًا
سَتَرَهُ ، وَعَيْنًا أَظْهَرَهُ ، وَلَيْتَأَمَّلُهُ بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ ،
لَا الْإِنْحِرَافِ ، فَمَنْ طَلَبَ عَيْنًا وَجَدَ وَجَدَ ، وَمَنْ
افْتَقَدَ^(٤) زَلَّ أَخِيهِ بِعَيْنِ الرِّضَا فَقَدْ فَقَدَ ، فَرَحِمَ
اللَّهُ امْرَأً قَهَرَ هَوَاهُ ، وَأَطَاعَ الْإِنْصَافَ وَنَوَاهُ ،

(١) ينسقه : من باب نصر : يعطف بعضه على بعض (٢) ينظمه :

من باب ضرب : يجمعه ويؤلفه (٣) العنت : محرقة : المشقة

(٤) افتقد الشيء : طلبه عند غيبته ، وفقد الشيء : غاب عنه وعدمه

وَعَذَرْنَا فِي خَطَايَا إِن كَان مِنَّا ، وَزَلَلٍ إِن صَدَرَ عَنَّا ،
فَالْكَمَالُ مُحَالٌ لِغَيْرِ ذِي الْجَلَالِ ، فَالْمَرْءُ غَيْرُ مَعْصُومٍ ،
وَالنَّسِيَانُ فِي الْإِنْسَانِ غَيْرُ مَعْدُومٍ ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِ
الِاعْتِدَارِ عَنَّا وَالتَّصْوِيبِ ، فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ
مُصِيبٌ ، فَإِنَّا وَإِنْ أَخْطَأْنَا فِي مَوَاضِعَ يَسِيرَةٍ ،
فَقَدْ أَصَبْنَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، فَمَا عَلِمْنَا فِيمَنْ
تَقَدَّمَنا وَأَمَّنَا مِنَ الْأَعْمَةِ الْقُدَمَاءِ ، إِلَّا وَقَدْ نَظُمَ فِي
سِلْكِ أَهْلِ الزَّلَلِ ، وَأُخِذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخُطَلِ ،
وَهُمْ هُمْ ^(١) ، فَكَيْفَ بِنَا مَعَ قُصُورِنَا وَاقْتِصَارِنَا ،
وَصَرَفَ جُلَّ زَمَانِنَا فِي نَهْمَةٍ ^(٢) الدُّنْيَا وَطَلَبِ

(١) هُمُ هُمْ : أى المعروفون بكثرة علمهم وسعة إطلاعهم

(٢) نهمة الدنيا : حاجتها ، والشهوة فيها

الْمَعَاشِ ، وَنُمُو الرِّيشِ ، الَّذِي مُرَادُنَا مِنْهُ صِيَانَةُ
 الْعِرْضِ ، وَبَقَاءُ مَاءِ الْوَجْهِ لَدَى الْعَرَضِ .
 وَإِنِّي لَأَسْتَلِمُهُمُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، الْحَيَّ الصَّمَدَ ،
 سَدَادَهُ الْمُفَرَّقَ بَيْنَ حُلَاكَةِ الشَّكِّ الْمُرْدِي ،
 وَالضَّلَالِ الْمُوْدِي^(١) ، وَوَهْجَ الْيَقِينِ الْهَادِي ، وَنُورِ
 الْحَقِّ الْخَادِي ، بِمَا يَمْحُو ظُلُمَةَ الضَّلَالِ ، وَيُسْطِيعُ
 الرَّاجِعَ مِنَ الْمَقَالِ ، وَيُسَهِّلُ صَعْبَ الْمَنَالِ ، بِمُؤَافَاتِنَا
 بِحُسْنِ الْخِصَالِ ، وَسَنَى الْفِعَالِ ، وَمَحَامِدِ الرَّجَالِ ،
 بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَلْنَبْدَأُ بِكَ الْآنَ فِي مُعَاوَدَةِ الْكَلَامِ فِي
 مَقْرُوءَاتِ الشَّيْخِ - طَيِّبَ اللَّهُ ثَرَاهُ - فِيمَا كَتَبَهُ .
 عَبْدُ الْقَادِرِ الْجُرْجَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَنَوَدُّ أَنْ نَقُولَ

لَكَ : إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ يُمَثِّلُ دَوْرَ انْتِقَالِ جَدِّي فِي
حَيَاةِ الْبَلَاغَةِ الْعَرِيَّةِ ، وَكَانَ الزَّعِيمُ الْمُصْلِحُ
« مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ » بِهِ جَدٌّ مُعْجَبٌ ، وَلِأَثَارِهِ جَدٌّ
مُقَدَّرٌ ، وَلِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ ، وَسَعَةِ عَطْنِهِ ^(١) ، وَحُرِّيَّةِ
تَفَكُّيرِهِ جَدٌّ شَادٍ ^(٢) .

أَمَّا وَقَدْ انْتَهَيْنَا مِنْ حَدِيثِ مَقْرُوءَاتِنَا عَنْ
أُسْتَاذِي « الشَّيْخِ حَمْزَةَ فَتِيحِ اللَّهِ » فَقَدْ آتَيْنَا أَنْ
نُحَدِّثَكَ عَنْ تَلَامِيذِهِ حَدِيثًا أَرَوِيهِ تَفَكُّهَةً وَعِبْرَةً :
ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُطِنُ مَنْزِلَ وَالِدِي ، — الْقَدِيمَ
الْقَرِيبَ مِنْ حَيٍّ عَابِدِينَ — أُسْتَاذِي الْجَلِيلِ
الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَلِيلٍ — مَدَّ اللَّهُ فِي حَيَاتِهِ —

(١) يقال رجل رحب العطن : أي كثير المال ، واسع الرجل ،
رحب الذراع . والمراد وفرة علمه . وكثرة تواليقه . (٢) جد شاد :
أي مثناه في الاذاعة لآثاره وعلمه .

وَكَانَ - فِيمَا أَذْكَرُ - وَقْتُهَا مُدَرِّسًا بِمَدْرَسَةِ
 الْمُعَلِّمِينَ الْعُلِيَّا ، وَكَانَتْ رُقَّتُهُ الْأَعْلَامُ ، الَّذِينَ
 يَحْضُرُونَ لِدَوْرَةِ الْامْتِحَانَاتِ ، مِنْ مُخْتَلَفِ جِهَاتِ
 الْقَطْرِ ، يَتَّخِذُونَ مَسْكَنَهُ مَزَارًا ، لِأَدَبِهِ وَلُطْفِهِ ،
 وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ ؛ وَكَانَ مِنْ سَجِيَّةِ وَالِدِي وَطَبْعِهِ ،
 - رَحِمَهُ اللَّهُ - حُبُّ الْعُظَمَاءِ وَالْكِبَرَاءِ ، وَإِجْلَالُ
 الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ؛ فَكَانَ يَلْتَمِسُ مِنَ الْأُسْتَاذِ أَنْ
 يَدْعُوَ زُمَلَاءَهُ إِلَى مَائِدَتِهِ ، زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ
 وَالْخِفَافَةِ ، لِأَنَّهُمْ فِي دَارِ غُرْبَةٍ وَخِدْمَةِ عِلْمٍ ؛ وَكُنْتُ
 أَحْضُرُ الْفَيْئَةَ ^(١) بَعْدَ الْفَيْئَةِ اجْتِمَاعَاتِهِمْ ، وَإِنِّي
 لَأَذْكَرُ مِنْ يَبْنِيهِمْ حَضَرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ ، شَيْخِي

عَبْدِ الْخَالِقِ عُمَرَ ، وَمُنْتَصِرٍ ، وَالْمَرْحُومِينَ الْإِبْرَارِ
وَعَابِدِينَ ، وَغَيْرِهِمْ . فَبَذَرُوا فِي نَفْسِي هُمُ الْآخِرُونَ ،
مُنْذُ الصَّغَرِ : الْجَنُوحُ ^(١) إِلَى مَجَامِعِ الْعُظَمَاءِ ،
وَاتِّصَالَ بِمَجَالِسِ الْكِبَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَغَشَى ^(٢)
مُسْتَدَيَاتِ الْكُتَّابِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَتَوَطَّيْدَ عِلَاقَتِي
بِأَمْثَالِ « طَهَ حُسَيْنٍ » مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّبَّانِ ؛ وَلَقَدْ
كُونُوا فِي مُخَيَّلَتِي ، وَمَا زِلْتُ لَدُنَّ ^(٣) الْعُودِ ، طَرِيَّ
الْإِهَابِ : أَنَّ الْعَظِيمَ هُوَ الْعَالِمُ الْمُتَبَصِّرُ ، وَمَا
قِيَمَةُ الثَّرَاءِ لِلْأَغْيَاءِ ؛ وَكَمْ مِنْ لَهٍ ^(٤) فَهَ ذِي هَيْلٍ
وَهَيْلَمَانٍ ^(٥) ، يَعِيشُ كَالنَّعَامِ ، وَيَمُوتُ بِلَا مَقَامٍ .

(١) الجنوح : الميل والاتِّجاء (٢) غشى : دخول (٣) لدن : اللين

الطري (٤) له فه : لاعب عي (٥) هيل وهيلمان : مال كثير .

فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ يَكْ ذَا غِنًى
يَكُونُ كِذْيَ رَجُلٍ ، وَلَيْسَ لَهُ نَعْلٌ
وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ ، وَلَمْ يَكْ ذَا حِجْبٍ ^(١)

يَكُونُ كِذْيَ نَعْلٍ ، وَلَيْسَ لَهُ رَجُلٌ

وَكَانَتْ مَجَامِعُهُمُ الزَّهْرَاءُ : مَدْعَاةٌ ، هِيَ الْأُخْرَى ،
لِحُبِّ الْعَرَبِيَّةِ ؛ حَتَّى إِذَا مَا اخْتِيرَ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ
عَبْدُ الْعَزِيزِ جَاوِشٌ : مُحَرَّرًا لِصُحُفِ الْحَزْبِ الْوَطَنِيِّ ،
عَلَى أَثَرِ وِفَاةِ الْمَرْحُومِ مُصْطَفَى كَامِلٍ بَاشَا ؛ وَكَانَ
لِنَادِي الْمَدَارِسِ الْعُلْيَا : صَوْلَةٌ وَحْيَاةٌ ، رَأَيْتُ
وَقْتَنَدٍ أَنْ أَقْتَرَحَ إِنْشَاءَ مُتَنَدَى لِمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ ،
وَأَعَدَدْتُ كَلِمَةً لِنَشْرِهَا فِي صَحِيفَتِهِ ، فَرَأَاهَا أَحَدُ
الْأَصْدِقَاءِ ، مِنْ قَاطِنِي مَنْزِلِنَا ، فَأَبْدَى رَغْبَتَهُ فِي

(١) الحجى : العقل

إِصْلَاحِهَا وَتَهْذِيبِهَا ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ شَاكِرًا ، ثُمَّ أَعَادَهَا
إِلَيَّ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَقَدْ زَادَهَا مَا شَاءَ ، وَلَمْ أَكُنْ
لِأَذْرِي مَصْدَرَ الْإِضَافَةِ ، وَلَكِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي ، وَظَنَنْتُهُ
مُفْتَرِعَ عُذْرَتِهَا ، وَصَاحِبَ لَفْتِهَا ، فَقَدْ كَانَ يَعْلُونِي
سِنًا وَمَقَامًا ؛ وَنَشَرَ الْكَلِمَةَ الشَّيْخُ جَاوِشٌ ، مَمْهُورَةٌ
بِاسْمِي ؛ ثُمَّ تَبَيَّنَ بَعْضُ أَسَاتِذَتِي ، بِالْخُدْيَوِيَّةِ وَقَتْنَدِ ،
أَنَّ جُلَّهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ حَدِيثِ عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ ، فِي
كَلِمَتِهِ الرَّائِعَةِ عَنْ فَوَائِدِ الْمُسْتَدْيَاتِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ
مَدْعَاةً لِلْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَحَسْرٍ السَّاقِ^(١) لِلْجِدِّ ،
فِي التَّحْصِيلِ وَالْغَنَاءِ ؛ وَلَعَلَّ زُمَلَائِي فِي الدِّرَاسَةِ :
يَذْكُرُونَ مَا أَلْهَبَ الْهُوبِي^(٢) ، وَأَوْرَى جَذَوْتِي^(٣) ،

(١) حسر الساق : كناية عن الجدة (٢) ألّهب الهوبه : أشعل
اجتهاده وأوقد ذكاه (٣) أوري جذوتي : أوقدها .

وَمَا كَانَ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ مِنْ مُحَاضَرَاتٍ ، فِي حَقِيقَةِ
الْأَسْمَاكِ بِالْجِيزَةِ ، عَنْ حُمَاةِ الْإِسْلَامِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ

☆☆

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى ذَاتُ أَثَرٍ عَمِيقٍ فِي حَيَاتِي الدَّرَاسِيَّةِ
وَالْعَمَلِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ ، تِلْكَ هِيَ مُلَازِمَتِي الطَّوِيلَةُ
الْأَثَرِ ، لِلْأَسْتَاذِ الرَّوَائِيِّ الْكَبِيرِ « پَرِسِي وَيت »
إِذْ كُنْتُ ظِلُّهُ الظَّلِيلِ ، طِيْلَةَ عَهْدِهِ بِأُسْتَاذِيَّةٍ ،
الْآدَابِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ بِالْجَامِعَةِ ، كَمَا يَعْلَمُ رِفَاقِي
وَقَسِيْدِي ، وَفَضْلًا عَنْ كَوْنِي أَوَّلَ نَاجِحِي مَادَّتِهِ لِعَهْدِي ،
فَإِنِّي كُنْتُ بِمِثْلِي السَّابِقِ إِلَى الْآدَابِ الْغَرْبِيَّةِ ،
شَدِيدَ الْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ ، فِي تَعَرُّفِ الْمُلْحِجِ ^(١) وَالطَّرْفِ ،

(١) المُلْحِجُ جمع مُلْحَةٍ : وهى ما حسن من الكلام واستحسن . والطرف
جمع طرفة ؛ وهى الغريب المستحسن المعجب .

وَكَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ - كَثِيرًا مَا يُرْسِدُنِي إِلَى أُمَمَاتِ
الْكِتَابِ ، فِي آدَابِ تِلْكَ اللُّغَةِ ، وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَى
لَا يَقِلُّ عَنْ فَضْلِ أُسْتَاذِي الْخَاصِّينِ فِي الْمَنْزِلِ ،
« هَيْثُ » و « تَرَمِّمَتَا » الَّذِينَ كَانَ الْمَرْحُومُ الْوَالِدُ
أَخْتَارَهُمَا لِيُزِيدَ تَقْوِيَّتِي فِي اللُّغَاتِ ، وَتَمَكِّنِي مِنْهَا ،
نُزُولًا عَلَى مَشُورَةِ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ .

اعتراف
بفضل

وَأَخِيرًا أَرَى لِي زَامًا عَلَى ، وَوَفَاءً فِي عُقَّتِي ، أَنْ
أُعْتَرِفَ بِفَضْلِ أُسْتَاذِي الْكَبِيرِ الْمُرَبِّي الْعَالِمِ
« أَحْمَدَ لُطْفِي السَّيِّدِ بَكْ » إِذْ أَنَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ
الْخَالِدِ ، وَالْأَثَرِ الْبَالِغِ ، حِينَمَا أَذِنَ لِي مُنْذُ مِيعَةٍ ^(١)
الصَّبَا بِالْكِتَابَةِ فِي الْجَرِيدَةِ الْغُرَاءِ ، وَأَذْكَرُ أَنَّ
أَوَّلَ رِسَالَةٍ نَشَرَهَا لِي وَشَجَعَنِي فِي الْمِضَى فِي

(١) مِيعَةُ الصَّبَا : أَوَّلُهُ

الْكِتَابَةَ كَانَتْ « الشَّجَاعَةُ الْأَدِيبِيَّةُ » الْمُنَاسِبَةُ
 الضَّجِيجِ الَّذِي حَصَلَ أَثْنَاءَ عَوْدَةِ أُسْتَاذِي
 مَنْصُورٍ فَهَمِي مِنْ أَوْرُبَاءَ الْمُنَاسِبَةِ رِسَالَتِهِ ، فَكَتَبْتُ
 مَا كَتَبْتُ ، مُتَأَثِّرًا بِقِرَاءِ اتِي الطَّوِيلَةِ عَنْ « مَارَتَيْنِ
 لُوثَرُ » وَأَخِيهِ ، بِقِصَّةِ سُقْرَاطَ فَيْلَسُوفِ الْيُونَانِ ،
 شَارِبِ السَّمِّ . وَتَحْمُسِي الرُّوحَانِيَّ بِمَا كَانَ يَمْلِكُ عَلَى
 سَبِيلِ الْعِظَةِ مِنْ كَلِمَاتِ النَّبِيِّ أَوَّلَ بَعْثِهِ ، وَكَلَامِ
 أَبِي بَكْرٍ فِي حَرْبِهِ لِلرَّدَّةِ ، وَمَا لِحُمَاةِ الْإِسْلَامِ ،
 وَقَادَةِ الْفِكْرِ ، وَدُعَاةِ الْمَسَادِيءِ مِنْ ثَبَاتٍ وَذِيَادٍ ^(١) ،
 وَاسْتِيسَالِ وَجَلَادٍ ، وَصَلَابَةِ وَجِهَادٍ . وَلَقَدْ كَانَ
 كَرَمُ أُسْتَاذِي لَطْفِي بكَ مَعِي ، وَتَسَاحُحُهُ فِي تَقَبُّلِ

(١) ذِيَاد : دِفَاع .

حُرُوفِ الْهَجَاءِ ، الَّتِي كُنْتُ أَكْتُبُهَا مَدْعَاةً لِتَكْوِينِي ،
وَفُرْصَةً لِّتَنْشِئَتِي ^(١) .

قَدْ مَكَّنْتَ صَدِيقِ الْمَرْحُومِ فَرَحَ أَنْطُونِ ،
رَئِيسَ تَحْرِيرِ الْمُخْرُوسَةِ وَقَتْنَدِ ، أَنْ يَنْشُرَ لِي أَوَّلَ
افْتِتَاحِيَّةٍ فِي حَيَاتِي فِي صَحِيفَتِهِ بِعُنْوَانِ



« مُعَلِّمُ الْمَدْرَسَةِ وَبِسْمَارِكِ » تَرْجَمَتْهَا لَارِيفُورْمُ
فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، ثُمَّ تَعَرَّفْتُ بِالْأَسَاتِذَةِ فَارِسَ نَمِرٍ ،
وَيَعْقُوبَ صَرْوَفٍ ، وَخَلِيلَ ثَابِتٍ ، وَدَاوُدَ بَرَكَاتٍ ،
وَالشَّاعِرِينَ شَوْقِي ، وَحَافِظَ إِبْرَاهِيمَ ، وَغَيْرِهِمْ حِينَئِذٍ :
ثُمَّ أَوْصَلَتْنِي تِلْكَ الرَّعَايَةُ إِلَى الْمُؤَيَّدِ وَغَيْرِهِ ،
مِمَّا لَا نَسْتَطِرِدُ فِيهِ هُنَا

معلم
المدرسة

(١) تَنْشِئَتِي : تَرْبِيَّتِي . مَصْدَرُ نَشَأَ : رَبَاهُ .



اعتراف
ونخار

وَإِنِّي لَأَعْتَرِفُ فِي لَذَّةٍ وَنَشْوَةٍ ^(١) ، وَنَخَارٍ وَغِبْطَةٍ ،
وَإِكْبَارٍ وَاعْتِبَارٍ : أَنَّ أَثَرَ أَحَادِيثِ أَسْتَاذِي الْمُرْحُومِ
الشَّيْخِ حَمْزَةَ فَتَحَ اللهُ ، الْمُؤَثَّرَةَ فِي النَّفْسِ ، مِنْ
شَيْخٍ طَاعِنٍ ، وَعَالِمٍ مُعْتَزِلِ النَّاسِ ؛ وَمَا اكْتَفَاهَا
مِنْ حَادِثٍ صَدِيقِنَا الْجَارِ ؛ وَاجْتِمَاعِي مَعَ زَائِرِي
أَسْتَاذِي الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَلِيلٍ ، وَصِلَاتِي بِالْمُرْحُومِ
ثُرُوتٍ بَاشَا ، وَصَدَاقَتِي مُنْذُ عَهْدِ التَّامَّذَةِ بِطَهَ حُسَيْنٍ ،
وَعِشْيَانِي مَجَالِسِ شُيُوخِ الْأَدَبِ ، وَرِجَالَاتِ الصَّحَافَةِ ،
وَتَرْدَادِي عَلَى مُنْتَدَيَاتِ عِتَاقٍ ^(٢) النَّقْدَةِ ، وَنَاطُورَةِ
الْعُلَمَاءِ . كَانَ أَثَرُ ذَلِكَ جَمِيعِهِ : مَصْدَرُ إِكْبَابِي عَلَى

(١) النشوة : السكر أو أوله (٢) عتاق جمع عتيق : وهو القديم
وعتاق النقدة : النجباء منهم .

دَرَسِ الْعَرَبِيَّةَ ، عَلَى أُسْتَاذِي الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ حَمَزَةَ ،
مَا بَعَثَ فِي نَفْسِي الْإِنْطِلَاقَ بِجُمَاعِ حَوَاسِّي ، فِي
الْإِتِهَامِ كُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ نَظِيرِي .



وَلَقَدْ وَفَّقَنِي اللَّهُ ، وَلَمْ أَغْدُ الْعِشْرِينَ عَامًا
لِلتَّصَدِّي لِلْمَرْحُومِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَرِيفِ بَكْ ، نَاقِدًا
كِتَابَهُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي صَحِيفَةِ الْأَخْبَارِ ، حِينَمَا كَانَ
مُشْرِفًا عَلَيْهَا صَدِيقِي الصَّحْفِيُّ الْعَجُوزُ ، وَقَبْلَهَا فِي
كِتَابَةِ افْتِسَاحِيَّاتِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي عَهْدِ فَرَجِ أَنْطُونِ
بِإِمْضَاءِ بَاحِثٍ ، وَفِيمَا بَعْدُ فِي الْجَرِيدَةِ زَعِيمَةٍ
الثَّقَافَاتِ وَقَتْنِيذٍ ، بِإِمْضَاءِ مُنْتَسِبٍ بِالْجَامِعَةِ ، ثُمَّ

تقد
كتاب
ابن
الرومي

فِي الْمُوَيَّدِ حَيْثُ اخْتَارَنِي الْمَرْحُومُ ثَرَوْتُ بِأَشَا عَلَى
إِثْرِ سَفَرِ الْمَرْحُومِ سَيِّدِ كَامِلٍ بِكَ .

✱
✱ ✱

وَمِنْ ثَمَّتْ كَانَتْ الصَّلَاةُ يَبْنِي وَيُنِ دَوْلَتِهِ، فَاخْتَارَنِي
فِيمَا بَعْدُ نَامُوسًا لَهُ، وَكَاتِبًا لِسِرِّهِ، فِيمَا كَتَبْتُهُ مِنْ
اِفْتِاحِيَّاتٍ؛ هُوَ يَجْرِي دَتْنِي مِصْرَ وَكَوْكَبِ الشَّرْقِ،
وَعِغَرِهَمَا مِنْ مِثَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْمُبَاحِثِ فِي مُخْتَلَفِ
الشُّؤُونِ، وَمَا دُمْتُ فِي صَدَدِ ذِكْرِ الْمَرْحُومِ الْمُبْرُورِ
ثَرَوْتُ^(١) بِأَشَا، لَا أَرَى مَزَاحِلَ^(٢) وَمَنَادِحَ دُونَ إِثْبَاتِ
فَضْلِهِ عَلَىَّ، وَبِرِّهِ بِي، وَحُسْنِ تَرْعِيَّتِهِ لِشَخْصِي الضَّئِيلِ،
فَهُوَ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ الْأَوَّلِ، فِي تَكْلِيفِي بِكِتَابَةِ

(١) افتتاحية الأهرام ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨

(٢) المزاحل والمنادح : الأماكن البعيدة يرتحل إليها

اَفْتِاحِيَّاتِ مِصْرَ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ ، بِإِمْضَاءِ «هُوَ» عِنْدَ
مَطْلَعِ النَّهْضَةِ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ ، وَنَشْأَةِ الْوَفْدِ الْمِصْرِيِّ ،
ثُمَّ هُوَ هُوَ الَّذِي ذَادَ عَنِّي الْأَذَى ، عَلَى إِثْرِ مَقَالِي
« رِفَاقِ الْمُسْتَعْبِدِينَ » ، الَّتِي عَطَّلَتْ بِسَبَبِهَا
الْجَرِيدَةَ وَقَتَّيْدَ .



ثُمَّ هُوَ هُوَ ، الْخَافِزُ الْقَوِيُّ إِلَى تَأْلِيفِ كِتَابِي
عَصْرِ الْمَأْمُونِ . وَلِذَلِكَ قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ أُحَدِّثُكَ
بِهَا ، تَذَكُّرَةٌ وَعِبرَةٌ ، فَلَعَلَّكَ وَاقِعٌ فِي مِثْلِ
مُلَابَسَاتِهَا وَدَقَائِقِهَا ، وَأَسْرَارِهَا وَظُرُوفِهَا . ذَلِكَ أَنِّي
مِنْ أَوْلَيْكَ النَّفَرِ الرَّاسِخِ الْعَقِيدَةِ ، بِأَنَّ الشَّهَادَاتِ
الدَّرَاسِيَّةَ ، لَا تَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ كِفَايَةٍ ، وَلَا تَنْطِقُ

عصر
المأمون

بِنَبَاهَةِ نُبُوغٍ ، وَلَا تَقْطَعُ^(١) بِجِدَارَةِ أَهْلِيَّةٍ ، وَانْفِرَادِ
 مَزِيَّةٍ ، وَلَا تَشْهَدُ بِإِصَابَةِ ثِقَافَةٍ ، وَلَا أَصَالَةٍ
 حَصَافَةٍ^(٢) ، فَكُنْتُ بِسَجِيَّتِي لَا أَحْفِلُ بِهَا ، وَلَا
 أَبُهِ لِأَمْرِهَا ، مَعَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ انْتَهَيْتُ مِنْذُ
 سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ ، مِنْ جَوَازِ^(٣) شَتَّى فُرُوعِ دِرَاسَاتِ
 الْجَامِعَةِ ، بَلْ كُنْتُ الْأَوَّلَ فِي فُرُوعِ عَدِيدَةٍ ، مِنْهَا
 الْعِبَرِيَّةُ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا ، وَكُنْتُ قَدْ قَطَعْتُ
 سَنَوَاتٍ طَوَالًا فِي قِرَاءَةِ جَمِيعِ الْمَظَانِ^(٤) الْأَدَبِيَّةِ ،
 عَنْ ذَلِكَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِلثَّقَافَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، حَتَّى
 نَفَيْتُ^(٥) عَلَى السِّتِمَائَةِ مَرْجِعَ ، فَسَأَلَنِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ

(١) لا تقطع : لا تجزم ، والجدارة : الاستحقاق (٢) الحصافة : راحة
 العقل . (٣) جواز : أى اجتياز وعبور . (٤) المظان :
 المراجع والمصادر . (٥) نَفَيْتُ : زادت .

سِرِّ إِحْجَامِي^(١) عَنِ الْكِتَابَةِ ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ اسْتِيعَابِي
لِهَذِهِ الْمَطَوَّلَاتِ الْعَدِيدَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الثَّرَى^(٢)
مِنَ الثَّرِيَّا ، وَأَيْنَ الْغُرُرُ مِنَ الدَّرَرِ ، بَلْ أَيْنَ مَادَّتِي
مِنْ مَادَّةِ شُيُوخِ الْأَدَبِ مِنْ رُؤَاةِ الْعَرَبِ ،
بَلْ جَهَابِذَتِهِمْ وَمُؤَلِّفِيهِمْ .



وَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ الْمُبَارَكِ حَدِيث
الْكُوفِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِالرَّأَوِيَةِ ، وَهَكَ هُوَ
« قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ لِحَمَّادِ الرَّأَوِيَةِ ، بِمِ اسْتَحَقَّقْتَ
هَذَا اللَّقَبَ فَقِيلَ لَكَ الرَّأَوِيَةُ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي
أَرَوِي لِكُلِّ شَاعِرٍ تَعْرِفُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

حديث
حام
الراوي

(١) إجماعى : إعراضى (٢) الثرى : التراب . والثريا : النجم

أَوْ سَمِعْتَ بِهِ ، ثُمَّ أَرَوِي لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَعْرِفُ
 أَنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ ، ثُمَّ لَا أَنْشِدُ شِعْرًا
 لِقَدِيمٍ وَلَا مُحَدَّثٍ ، إِلَّا مَيَّزْتُ الْقَدِيمَ مِنْهُ مِنَ
 الْمُحَدَّثِ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ وَأَيُّكَ كَبِيرٌ ،
 فَكَمْ مِقْدَارُ مَا تَحْفَظُ مِنَ الشَّعْرِ ؟ فَقَالَ كَثِيرًا ،
 وَلَكِنِّي أَنْشِدُكَ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
 مِائَةَ قَصِيدَةٍ كَبِيرَةٍ ، سِوَى الْمُقَطَّعَاتِ مِنْ شِعْرِ
 الْجَاهِلِيَّةِ ، سِوَى شِعْرِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ سَأَمْتَحْنُكَ
 فِي هَذَا ، وَأَمَرَهُ بِالْإِنْشَادِ ، فَأَنْشَدَ حَتَّى ضَجَرَ
 الْوَلِيدُ ، ثُمَّ وَكَلَّ بِهِ مَنْ اسْتَحْلَفَهُ أَنْ يَصْدُقَهُ عَنْهُ ،
 وَيَسْتَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَنْشَدَهُ الْفَيْنِ وَتِسْعِمِائَةَ قَصِيدَةٍ

لِلْجَاهِلِيِّينَ ، وَأَخْبَرَ الْوَلِيدَ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ .

ثُمَّ أَيْنَ مَادَّتِي مِنْ مَادَّةِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ، شَارِحِ
كِتَابِ الْإِحْيَاءِ فِي عَشْرَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، مِمَّا قَرَأْنَا
مُقْتَطَفَاتٍ مِنْهُ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ الْمَحَلَّوِيُّ . وَالَّذِي
يُحَدِّثُنَا عَنْ مَرَاجِعِ كِتَابِهِ ، وَمَظَانِّ مَصَادِرِهِ ، بِتِلْكَ
الْكَلِمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيهِ وَتَقْرِيهِ ^(١) ، وَبِحُجَّتِهِ وَفَحْصِهِ ،
بِقَوْلِهِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ .



« وَهَذَا بَيَانُ الْكُتُبِ الَّتِي مِنْهَا أَخَذْتُ ، وَعَنْهَا

بِلَا وَاسِطَةٍ نَقَلْتُ وَاسْتَنْدَتُ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ فِي عِلْمِ

شَيْءٌ
مِنْ
الْمَرَاجِعِ

(١) تقريره : تتبعه .

اللُّغَةَ شَرَحِي عَلَى الْقَامُوسِ ، الَّذِي أَحَاطَ بِجَيِّدِ اللُّغَةِ
وَحُوشِيَّهَا ^(١) ، الَّذِي إِذَا رَأَاهُ الْمُنْصِيفُ الْبَعِيدُ عَنِ الْمِرَا ،
قَالَ : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) ، فَاسْتَعْنَيْتُ
بِمُرَاجَعَتِهِ عَنْ جُمْلَةٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْفَنِّ ،
وَأُورِدْتُ مِنْهُ كُلَّ مُسْتَحْسَنٍ ، وَلَمْ أَخْلُ مَعَ ذَلِكَ
نَظْرِي فِي كِتَابِ النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَائِقِ
لِلزَّيْنِ مُحَمَّدِيٍّ ، وَالْمُفْرَدَاتِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الرَّائِبِ ، وَعُمْدَةِ
الْحِفَاطِ لِلسَّمِينِ الْحَلَبِيِّ ، وَالتَّوْقِيفِ لِلْمَنَاوِيٍّ ، وَكِتَابِ
الزِّيْنَةِ لِأَبِي حَاتِمِ الرَّازِيٍّ ، وَمُشْكَلِ الْقُرْآنِ لِابْنِ
قُتَيْبَةَ ، فَرُبَّمَا اسْتَفَدْتُ مِنْهَا جُمْلًا كَثِيرَةً ، أُوْرِدْتُهَا

(١) الحوشي : الغامض من الكلام . (٢) كل الصيد في جوف
الفرا : الفرا : الحمار الوحشي ومَضْرَبُ الْمَثَلِ أَنَّ الْحَمَارَ الْوَحْشِيَّ أَكْثَمُ الْبَيْدِ .
فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ أَغْنَاهُ عَنْ كُلِّ صَيْدٍ . وَكَذَا مِنْ أَصَابَ خَيْرَ مَا يُطْلَبُ .

مَعَ مُنَاسَبَاتِهَا فِي مَوَاضِعِهَا ؛ وَمِنْ كُتُبِ أُصُولِ
الْفِقْهِ ، التَّوْضِيحُ لِصَدْرِ الشَّرِيعَةِ ، وَشَرْحُ التَّنْقِيحِ
لِلسَّيِّدِ الْجُرْجَانِيِّ ، وَالتَّلْوِيحُ لِلسَّعْدِ التَّقْتَزَانِيِّ ، وَالْمَنْهَاجُ
لِلْبَيْضَاوِيِّ ، وَشَرْحُهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ الْقَزْوِينِيِّ ، وَشِفَاهُ
الْغَلِيلِ فِي مَسَالِكِ التَّعْلِيلِ لِلْمُصَنِّفِ ؛ وَمِنْ كُتُبِ
الْحَدِيثِ الَّتِي احتَاجَ الْأَمْرُ إِلَى مُرَاجَعَتِهَا ، شَرْحُ
الْبُخَارِيِّ لِلْحَافِظِ بْنِ حَجَرٍ الْعَسْكَلَانِيِّ ، الْمُسَمَّى بِفَتْحِ
الْبَارِي ، وَهُوَ الْبَحْرُ الَّذِي تَقِفُ عِنْدَهُ الْأَفْهَامُ ،
وَتَعْتَرِفُ مِنْ فَيُوضَاتِهِ الْأَعْلَامُ ، مَعَ إِعَادَةِ النَّظَرِ
فِي كُلِّ مِنْ شُرُوحِ الْقَسْطَلَانِيِّ ، وَابْنِ الْمُلَقِّنِ
وَالْكُورَانِيِّ ، وَالزَّزَكَشِيِّ وَالسَّيُوطِيِّ ، وَالسَّنْدِيِّ
وَشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِمَنَاوِيِّ ، وَالسُّنَنِ لِكُلِّ

مِنْ الْبَيْهَقِيِّ وَالْدَّارَقُطْنِيِّ ، وَشَرَحَ الشُّيُوطِيُّ عَلَى
 التِّرْمِذِيِّ ، وَمِنْ الْمَسَانِيدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَعَبْدِ بْنِ
 حَمِيدَ ، وَمُسَدَّدَ ، وَابْنَ أَبِي شَيْبَةَ ، وَالذَّيْلَمِيَّ ؛ وَمِنْ
 الْمَعَاجِمِ ، الْكَبِيرُ وَالْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ ، وَلِابْنِ جُمَيْعٍ
 الْغَسَّانِيِّ ؛ وَمِنْ الْكُتُبِ الَّتِي اعْتَمَدُ عَلَى تَخْرِيجِ
 أَحَادِيثِ الْكِتَابِ عَلَيْهَا ، الْمُعْنَى عَنْ حَمَلِ الْأَسْفَارِ
 لِلْحَافِظِ الْعِرَاقِيِّ فِي مُجَلَّدٍ ، فَأَذْكَرُ كَلَامَهُ عَقِيبَ
 الْحَدِيثِ ، ثُمَّ أَزِيدُ عَلَيْهِ حَسْبَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي
 مُطَالَعَتِي لِكُتُبِ الْفَنِّ ، وَرُبَّمَا تَقَلْتُ فِي بَعْضِ
 الْمَوَاضِعِ مِنْ تَخْرِيجِهِ الْكَبِيرِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا
 عَلَى كَرَارِيسَ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْجَامِعُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ،
 وَالذَّيْلُ عَلَيْهِ ، الثَّلَاثَةُ لِلشُّيُوطِيِّ ، وَمَوْضُوعَاتُ ابْنِ

الْجَوْزِيَّ، وَاللَّائِي الْمَصْنُوعَةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ،
 اسْتَدْرَاكَ عَلَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ لِلْسِّيُوطِيِّ مَعَ الذَّيْلِ
 عَلَيْهِ لَهُ، وَنَوَادِرُ الْأُصُولِ لِلْحَكِيمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيِّ، وَالْعِلَلُ لِلدَّارَقُطْنِيِّ اثْنَا عَشَرَ
 مُجَلَّدًا، وَالْكَامِلُ لِابْنِ عَدِيٍّ نَحْوَ ذَلِكَ، وَالْإِصْلَاحُ
 عَلَى الْمُسْتَدْرَكِ لِلْعِرَاقِيِّ الْحَافِظِ بِخَطِّهِ، وَاقْتِضَاءُ الْعِلْمِ
 الْعَمَلِ، وَشَرْفُ الْأَصْحَابِ، كِلَاهُمَا لِأَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ
 الْحَافِظِ، وَتَارِيخُهُ الْكَبِيرُ الْحَافِلُ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ،
 وَالذَّيْلُ عَلَيْهِ لِلْبُنْدَارِيِّ فِي مُجَلَّدٍ، وَأَيْضًا لِابْنِ النَّجَّارِ
 الْحَنْبَلِيِّ فِي مُجَلَّدَاتٍ، وَتَجْرِيدُ الصَّحَاحِ وَالسَّنَنِ
 لِرَزِينِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعَبْدَرِيِّ السَّرْقُسْطِيِّ، وَالْقَوْلُ
 الْمُسَدَّدُ فِي الذَّبِّ مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، لِلْحَافِظِ بْنِ

حَجَرٍ ، وَتَخْرِيجُ أَحَادِيثِ الْأَذْكَارِ لَهُ ، وَحِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ
لِلْحَافِظِ أَبِي نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَتَخْرِيجُ أَحَادِيثِ الْمُنْهَاجِ
الْأَصُولِيِّ لِكُلِّ مَنِ التَّاجِ السُّبُكِيِّ ، وَابْنِ الْمُثَلِّقِ ،
وَالْتَذَكُّرَةِ لِلْبَدْرِ الزَّرْكَشِيِّ ، وَالْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ
لِلْحَافِظِ السَّخَاوِيِّ ، وَالْأَمَالِيُّ عَلَى مَسَانِيدِ أَبِي حَنِيفَةَ
لِلزَّيْنِ قَاسِمِ بْنِ قَطْلُوبَغَا ، الْحَنْفِيُّ الْحَافِظُ ، وَاللَّالِيُّ
الْمُسْتَنَارَةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ لِابْنِ طُولُونَ الْحَنْفِيِّ ،
وَأَصْرَافُ الْمَسَانِيدِ الْعَشْرَةِ لِلشَّهَابِ الْأَبُوصَيْرِيِّ ، وَجَمْعُ
الْفَوَائِدِ لِمُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَكِتَابُ الْعِلْمِ لِابْنِ خَيْشَمَةَ
زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ النَّسَائِيِّ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَفَدْتُ
مِنْ مَعَانِيهَا وَأَسْرَارِهَا ، كَشَرَحِ الْمُنْلَاعِلِيِّ عَلَى
مُخْتَصَرِ هَذَا الْكِتَابِ ، الْمُسَمَّى بِعَيْنِ الْعِلْمِ ، وَالذَّرِيعَةِ

إِلَى مُحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ، لِلْقَفَالِ الشَّاشِيِّ، وَالذَّرِيعَةِ إِلَى
مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الرَّاعِبِ، وَالْبَحْرِ الزَّائِرِ
لِأَبِي الطَّيِّبِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدَوَيْهِ، وَجَوَاهِرِ الْقُرْآنِ
لِلْمُصَنِّفِ، وَفَضَائِلِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ؛ وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ
بِأُصُولِ الدِّينِ وَالْإِعْتِقَادِ وَالْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، فَسَيَأْتِي
بَيَانُ مَا خِذَ كُلُّ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ، عَلَى مَا يَسَّرَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى فِي مُرَاجَعَتِهِ وَالْكَشْفِ عَنْ مَظَانِهِ،
فَإَذْكُرُ فِي كِتَابِ الْعُقَايِدِ مَا تَحَصَّلَ لَدَيَّ، وَفِي
الْعِبَادَاتِ كَذَلِكَ؛ وَأَمَّا التَّصَوُّفُ وَالرَّقَائِقُ، فَقَدْ
طَالَعْتُ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً، وَأَجَلَّهَا مِقْدَارًا، الرَّسَالَةُ
لِلْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ، وَشَرَحَهَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ
عَبْدِ الْمُعْطَى بْنِ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِيِّ، وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ

زَكَرِيَّا؛ وَقُوْتُ الْقُلُوبِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ، وَعَلَيْهِمَا
مَدَارُ كِتَابِ الشَّيْخِ غَالِبًا، وَمَنَازِلُ السَّائِرِينَ لِشَيْخِ
الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيِّ، وَعَوَارِفُ الْمَعَارِفِ لِلشَّهَابِ
السَّهْرَوَرْدِيِّ، وَالتَّعَرُّفُ لِأَبِي نَصْرِ الْكَلَابَازِيِّ، وَتَأْيِيدُ
الْحَقِيقَةِ الْعَلِيَّةِ، لِلْحَافِظِ السُّيُوطِيِّ، وَمَنَارَاتُ السَّائِرِينَ
وَمَقَامَاتُ الطَّائِرِينَ، لِلشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ دَايَّةَ، وَمُعِيدُ
الْعُلُومِ لِأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ، وَالذَّهَبُ الْإِبْرِينِيُّ فِي
مَنَاقِبِ سَيِّدِي عَبْدِ الْعَزِيزِ، تَأْلِيفُ أَفْضَلِ الْمُتَأَخِّرِينَ،
أَحْمَدُ بْنُ مُبَارَكٍ اللَّمَطِيُّ السَّلْجُمَاسِيُّ؛ وَمِنْ كُتُبِ
التَّارِيخِ، الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ لِلصَّلَاحِ الصَّفَدِيِّ، وَالطَّبَقَاتُ
الْكُبْرَى لِابْنِ السَّبْكِ، وَطَبَقَاتُ الْقُطْبِ الْخُضَيْرِيِّ،
وَالْحَافِظُ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ كَثِيرِ الدَّمَشْقِيِّ؛ وَفِي أَسْمَاءِ

الرَّجَالِ الْكَاشِفُ لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ وَالذَّيَّوَانُ لَهُ، وَالْمُسْتَبْتَهُ
 لَهُ، وَالْكُنَى لِابْنِ الْمُهَنْدِسِ، وَالتَّبَصِيرُ لِلْحَافِظِ بْنِ جَعْرِ؛
 وَأَمَّا مَا ثَقُلْتُ مِنْهُ مَسْأَلَةً أَوْ فَائِدَةً، أَوْ كَلِمَةً
 غَرِيبَةً أَوْ نَادِرَةً عَجِيبَةً، مِنْ أَجْزَاءِ وَمَعَاجِمِ، وَمَسَانِيدِ
 وَمَشِيخَاتٍ، وَرَسَائِلِ وَأَمَالِي، فَشَيْءٌ لَا أُحْصِيهِ الْآنَ،
 كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ عِنْدَ رَفْعِ السُّتُورِ عَنْ وَجْهِ الْبَيَانِ.

وَلَقَدْ نَاقَشَنِي رَحِمَهُ اللَّهُ طَوِيلًا فِي سَرَاحٍ وَرَوَاحٍ
 أَلَيْنَ نِقَاشٍ، وَنَاقَشَنِي فِي رَهَافَةٍ حَسَنَةٍ، وَظَرْفِ
 نَفْسٍ، مَعَ اسْتِهْوَاءٍ جَاذِبِيَّةٍ، وَعُذُوبَةٍ مَقَالٍ، وَدَمِثٍ^(١)
 خِصَالٍ، وَطَارِحِنِي مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، مِنْ لَيْنِ عَرِيكَةٍ
 وَقُوَّةِ إِقْنَاعٍ، فِي غَيْرِ ارْتِصَادٍ^(٢) لَتَعْنَتِ الْمُغْرَضُ

مع
ثروت
باشا

(١) دمث الأخلاق : حسنها وسهولها . (٢) ارتصاد : ترقب

الشَّهْوَانِ ، وَلَا جُنُوحَ لِكَبْرِيَاءِ ذِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ،
وَلَا غَطْرَسَةَ صَاحِبِ الْهَيْلِ وَالْهَيْمَانِ^(١) ، بَلْ فِي
لُغَةِ الْأَقْرَانِ وَالنَّدْمَانِ ، مُحَاوَلًا عِلَاجَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ
مِنْ بَلْبَلَةٍ وَإِحْجَامٍ ، مُثَبِّتًا مُضْطَرَبَ يَقِينِي ، مُرْهِفًا^(٢)
غِرَارَ عَزَمَتِي ، مُلْزِمًا لِي بِأَلَّا أُسَوِّفَ بَعْدُ فِي تَقْدِيمِ
كِتَابِي ، فَقُلْتُ فِي اقْتِنَاعِ الْمُتَعَلِّمِ الْمُسْتَزِيدِ ،
لَا الْمُصِرِّ الْعَنِيدِ ، لِلْجَاحِظِ شَيْخِ أَدْبَاءِ الْعَرَبِيَّةِ
كَلِمَةً مَأْثُورَةً ، وَكَانَ دَوْلَتُهُ بِهِ مُعْجَبًا ، وَلِدَائِرَةِ
مَعْلَمِهِ مُقَدَّرًا :

كلمة
الجاحظ
في
التأليف

✱
✱ ✱

« مَنْ أَلْفَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ »

(١) الهيل والهيومان : المال الكثير (٢) مرهفا : مشحذا .

وغرار السيف : حده . والمراد إرهاف عزيمته وإحداث ذهنه .

اسْتَظَرَفَ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْذِفَ ^(١) ، وَإِنِّي لَمْ
أَبْلُغْ بَعْدُ مَرْتَبَةَ السَّابِقِينَ ، لِأَكُونَ مِنْ مُجْمَلَةِ
الْمُؤَلَّفِينَ ، وَلَسْتُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ بِابْنٍ يَجْدَتَهَا ^(٢) ،
وَمُفْتَرَعِ ^(٣) عُذْرَتِهَا ، وَلَسْتُ فِي هَذِهِ الْحَلْبَةِ ^(٤) بِالْمُجَلِّي
فِي سِبَاقِهَا ، وَمَا أَنَا بِعُذِيقِهَا ^(٥) الْمُرْجَبِ ، وَلَا
جُذَيْلِهَا ^(٦) الْمُحَكِّكِ



فَأَجَابَنِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِ الْمُنَزَّعِ وَبِنَفْسِ
الْوَتِيرَةِ : « وَيَقُولُ الْجَاحِظُ فِيمَا أَظُنُّ ، فِي مَعْرِضِ

الجاحظ
أيضا

- (١) استقذف : مجهول استقذف : استوجب القذف . « السب »
(٢) ابن بجدة : العالم بالشيء والدليل الهادي (٣) مفترع عذرتها :
المفتض الزليل لبكارتها (٤) الحلبة : الميدان
(٥) من قول الجباب ابن المنذر : عذيقها تصغير عذقٍ للتعظيم وهو
النخلة مجملها . والمرجب : من رجب الشجرة اذا دعمها بما يمنع انكسارها
وسقوطها لثقل حملها . (٦) والجذيل : تصغير جذل وهو عود ينصب
للجربى من الابل لتحثك به . يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب
فيه المثل وهو به زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به

النَّكَاشِ لَا الْإِفْحَامَ ، وَكَأَنِّي بِهِ يَرُدُّ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ
الْكَلَامِ : إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ : مَا تَرَكَ الْأَوَّلَ
لِلْآخِرِ شَيْئًا ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْلِحَ . «
ثُمَّ وَفَّقَهُ اللَّهُ ، تَعَالَى فَاسْتَعْمَلَ مَكَانَتَهُ مِنْ نَفْسِي
الْوَفِيَّةِ ، وَقَلْبِي الْمُحِبِّ ، فَاضْطَرَّنِي اضْطِرَارًا ،
لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، أَنْ أُقَدِّمَ مَا أَعَدَّدْتُهُ ،
لِأَنَّهُ فَوْقَ الْكِفَايَةِ فِيمَا يَرَاهُ ، فَكَانَ لَهُ إِحْسَانُ
التَّمَامِ ، وَمِسْكُ اخْتِمَامٍ ، وَنِلْتُ (دَرَجَةَ فَائِقٍ)
وَقَسَدَ فِيمَا كُنْتُ - وَمَا زِلْتُ - أَرَاهُ بِمَثَابَةِ
مُحَاوَلَةِ أَوَّلِيَّةٍ ، فِي تَارِيخِ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِلْإِسْلَامِ ،
وَيَكْفِينِي عَزَاءً ، أَنَّنِي اتَّخَذْتُ شِعَارِي دَوْمًا ، تِلْكَ
الْحِكْمَةُ الْخَالِدَةُ لِابْنِ الْهَيْثَمِ ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

حكمة
ابن
الهيثم

« لَيْسَ خِطَابِي مَعَ هَذَا الْكِتَابِ لِجَمِيعِ النَّاسِ ،
بَلْ خِطَابِي لِرَجُلٍ مِنْهُمْ ، يُوَازِي أُلُوفَ الرِّجَالِ ،
بَلْ عَشْرَاتِ أُلُوفِ رِجَالٍ ، إِذْ كَانَ الْحَقُّ لَيْسَ هُوَ
بِأَنْ يُدْرِكَهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ هُوَ
بِأَنْ يُدْرِكَهُ الْفَهْمُ ^(١) الْفَاضِلُ مِنْهُمْ . »

ندوات
أدبية

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ ، أَرَى مِنْ
الْبَرِّ بِذِكْرَاهُ — طَيِّبَ اللَّهِ مَثْوَاهُ — أَنْ أَذْكَرَ حَلَقَتَهُ
الْأَدَبِيَّةَ الْفَقْهِيَّةَ ، الَّتِي كُنْتُ أَمْثُلُ ^(٢) فِي أَكْثَرِهَا ،
وَكَانَ يَحْضُرُهَا مَعَنَا شُكْرِي بَاشَا ، وَحِرْزُ بَاشَا ،
وَكَانَ قَارِئُهَا هُوَ الْمَرْحُومَ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا عَيْدًا مُحَلَّوِيَّ ،

(١) الفهم : الكثير الفهم . صيغة مبالغة (٢) أمثل : أحضر أمامه

عُضْوَ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْعُلْيَا ، وَكَانَ يَدْرُسُ لَنَا
 بَيْنَ آوَنَةٍ وَأُخْرَى ، فِي الْكَشَافِ وَالْأُلُوسِيِّ
 وَالْقَسْطَلَانِيِّ ، وَإِتْحَافِ السَّادَةِ لِلْسَيِّدِ الْمُرْتَضَى ،
 وَغَيْرِهَا مِنْ الْكُتُبِ الْفَقْهِيَّةِ ، الَّتِي كَانَ يَجْلِبُهَا لَهُ
 وَرَاقُهُ الْخَاصُّ ، الشَّيْخُ حَسَنُ الزَّيْبَانِيِّ الْكُتَيْبِيُّ ،
 وَلَا أَذْرِي أَحَى هُوَ الْآنَ أَمْ فِي عِدَادِ الْمَوْتَى ؟

*

وَشَدَّ مَا كَانَ الْمَرْحُومُ ثَرَوْتُ بَاشَا ، يَجْنَحُ إِلَى
 الْجَدَلِ وَالنَّقَاشِ ، وَإِلَى الْمُوَازَنَةِ ^(١) وَالْقِيَاسِ ، وَإِلَى
 الْإِسْتِنبَاطِ وَالتَّخْرِيجِ ، حَتَّى لَكَانَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ
 أَزْهَرِيَّ النَّشْأَةِ ، فَقْهِيَّ النَّزْعَةِ ، شَرْعِيَّ الْإِسْتِعْدَادِ ،
 جَدَلِيَّ السَّلِيلَةِ ، مَنْطِقِيَّ الْوَرَاثَةِ .

(١) الموازنة : المقارنة .

وَكَاثَتْ مِيزَتُهُ الْبَارِزَةُ فِيهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ - هِيَ تَذَوُّقُهُ
الطَّبِيعِيَّ ، لِلْأَدَبِ ، وَحُبُّهُ الْفِطْرِيَّ لِلْجَمَالِ النَّثْرِيِّ ،
وَالسَّحَرِ اللَّفْظِيِّ ، وَالْغِنَى الْمَعْنَوِيَّ ، وَهُوَ الَّذِي
أَشَارَ عَلَى بَقْرَاءَةِ كِتَابِ « تَيْن » فِي تَارِيخِ الْبَلَاغَةِ
الْأَنْجَلِيزِيَّةِ ، كَمَا أَهْدَانِي كِتَابِي غَرِيبَ الْقُرْآنِ
لِلْأَصْفَهَانِيِّ وَكِتَابِ (لَا مَتَس) عَنْ مُعَاوِيَةَ ،
وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْأَوَّلِ ، فِي حَمَلِ دَارِ الْكُتُبِ
عَلَى طَبْعِ كِتَابِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ، وَإِذَا لَمْ تَخْنِي
الذَّاكِرَةُ ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي تَحَدَّثَ إِلَى جَعْفَرٍ وَإِلَى بَاشَا ،
عُضْوِ مَجْلِسِ الدَّارِ الْأَعْلَى وَقَسَدِي ، بِرَجَاءِ تَحْقِيقِ هَذِهِ
الْأُمْنِيَّةِ ، بِجَمْعِ شَتَاتِ كِتَابِ تَارِيخِ قِيَمٍ ، عَنْ
فَتْرَةٍ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ ، مُبَعَثَرَةٍ هُنَا وَهُنَا ، بِلَا
رَابِطٍ وَلَا سِيَاقٍ ، وَفِي إِبْهَامٍ وَغُمُوضٍ .



ثُمَّ هُوَ هُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْأَوَّلِ ، فِي حَتَّى عَلَى رَفَعِ ^{المكتبة} ^{التاريخية}
 مُذَكَّرَتِي عَنِ الْمَكْتَبَةِ التَّارِيخِيَّةِ ، إِلَى سُدَّةِ حَضْرَةِ
 صَاحِبِ الْجَلَالَةِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ - حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ -
 وَأَوْصَى بِهَا خَيْرًا صَدِيقَهُ وَزِيرَ الْمَعَارِفِ وَقَتَّيْدِ ،
 حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْأُسْتَاذِ عَلِيِّ الشَّمْسِيِّ بِأَشَا .
 وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - نِعَمَ الْأُسْتَاذِ وَالْمُعَلِّمِ ، وَنِعَمَ
 الْمُرْشِدِ وَالْحَادِي ، وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَالْهَادِي ، نَزَاعًا
 لِلإِطْلَاعِ ، وَثَابًا إِلَى الْمَعَالِي ، حَاطًّا عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ ،
 دَافِعًا إِلَى الْإِسْتِزَادَةِ ، مُرْهِفًا لِلْعَزَمَاتِ ، مُقِيلًا
 لِلْعَثَرَاتِ ، فِي دِفَاعٍ عَنْ حُرِّيَّةِ الْفِكْرَةِ ، وَإِخْلَاصٍ
 لِحُرْمَةِ الْعَقِيدَةِ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَتْ تَمُتُّ إِلَى الْعِلْمِ .

بِسَبَبٍ ، أَوْ تَتَّصِلُ بِخَالِصِ الْإِقْتِنَاعِ بِوَشِيحَةِ^(١) .

✱

وَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَوْقِفَهُ التَّارِيخِيَّ ، إِزَاءَ حَادِثِ الدَّكْثُورِ طه
طَهَ حُسَيْنٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ إِقْبَالِهِ عَلَى دَرَسِ الْمَوْضُوعِ
مِنْ وَجْهِتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، مَعَ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ الْمَحَلَّلَاوِيِّ ،
وَمَا كَانَ مِنْ أَحَادِيثِهِ الْمُسْتَفِيضَةِ ، مَعَ زَمِيلِهِ
الْمَرْحُومِ عَدْلِي بَاشَا ، وَمَعَ حَضَرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ
عَلِيِّ الشَّمْسِيِّ بَاشَا ، وَعَبْدِ الْحَمِيدِ بَدَوِيِّ بَاشَا ،
وَأَحْمَدَ لُطْفِي السَّيِّدِ بَكْ .

✱

✱ ✱

وَلَقَدْ كَانَ شِعَارِي فِي قِرَاءَتِي كَلِمَةً « جُون لوك »
الْمَأْثُورَةَ : - « لَا تَفْعَلْ الْقِرَاءَةَ أَكْثَرَ مِنْ تَرْوِيدِ

شعار
المؤلف

(١) الوشيحة : صلاة القراءة .

الْعَقْلِ بِالْمَعْرِفَةِ ، أَمَّا التَّفَكِيرُ فِيمَا تَقْرَأُ ، فَهُوَ الَّذِي
يَجْعَلُ مَا تَقْرَأُ جُزْءًا مِنْ أَنْفُسِنَا .

إِنَّ مِنْ طَبِيعَتِنَا أَنْ نُنْعِمَ النَّظَرَ وَنُفَكِّرَ ، وَلَيْسَ
يَكْفِي أَنْ نُثْقِلَ أَنْفُسَنَا بِالْمَعْلُومَاتِ الْكَثِيرَةِ ،
نَكْدُسُهَا ، فَمَا لَمْ نَخْضَعُهَا وَنَهْضِمَهَا لَمْ تُغْذِّنَا ، وَلَمْ
تُكْسِبِنَا قُوَّةً .

وَلَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَوْ الْقَرَاءَاتِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ
الْحَدِيثَةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، بِرَأْيٍ وَسَطٍ بَيْنَ آرَاءِ
الْمُتَطَرِّفِينَ ، وَآرَاءِ الْمُحَافِظِينَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ
قَصَدْتُ بِهِ فَضْلًا مِنْ لُبَابٍ ، وَأَثَارَةً ^(١) مِنْ صَوَابٍ ،

وَقَبَسًا^(١) مِنْ حِكْمَةٍ ، وَنُورًا مِنْ هُدًى ، وَشِعَاعًا مِنْ
 حَقٍّ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا غِنَى لَنَا بَتَاتًا عَنْ
 اسْتِعَابِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ ، فِيهِ جَمَالٌ
 وَحِكْمَةٌ ، وَفِيهِ رِصَانَةٌ وَمَتَانَةٌ ، وَفِيهِ بَلَاغَةٌ
 وَطَلَاوَةٌ ، وَفِيهِ أُسْلُوبٌ وَمَوْعِظَةٌ ، وَفِيهِ سَدَادٌ
 وَتَجَرُّبَةٌ ، وَفِيهِ حَصَافَةٌ وَفِطْنَةٌ ، يَدَّ أَنَّهُ لَا غِنَى لَنَا
 بَتَاتًا أَيْضًا ، عَنِ الْإِصَابَةِ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ مِنَ الثَّقَافَاتِ
 الْأُورُوبِيَّةِ ، وَالْإِلْمَامِ بِمَا لَهُ مِنْ طُرُقٍ فِي الْبَحْثِ
 وَالِاسْتِقْرَاءِ ، وَالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِقْصَاءِ ، وَالْمُقَايَسَةِ
 وَالْمُوازَنَةِ ، وَالْمُعَادَلَةِ وَالْمُقَارَنَةِ ، مَعَ اسْتِخْدَامِ
 حَكِيمٍ ، وَاسْتِعْمَالِ وَئِيدٍ^(٢) ، وَاقْتِبَاسِ مَعْقُولٍ ، لِمَا لَهُمْ

(١) القبس : الجزء القليل (٢) وئيد : في تمهيل

مِنْ عُلُومِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ ، وَفَلَسَفَةِ تَارِيخِيَّةٍ ،
 وَطَرِيقَةِ دِيكَارْتِيَّةٍ مَنْطِقِيَّةٍ ، وَأَسَالِيبِ مَاكُولِيَّةٍ
 بَزُولِيَّةٍ ، وَمَنَاحِ لِدُوجِيَّةٍ عَصْرِيَّةٍ ، حِينَ الْكَتَابَةِ
 عَنْ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ . ثُمَّ وَجَدْتُ أُخِيرًا أَنَّهُ
 لَا غِنَى لَنَا بَتَاتًا عَنْ امْتِزَاجِ الْأَدَبِيِّنِ ، وَهَضْمِ الْمَادَّاتَيْنِ ،
 وَاسْتِيعَابِ الْوُجْهَتَيْنِ ، وَتَقْمِصِ^(١) الْعَقْلِيَّتَيْنِ ، وَالتَّوَلِيدِ
 مِنَ الْأَسْلُوبَيْنِ ، وَالتَّلْقِيحِ بَيْنَ الثَّقَافَتَيْنِ ، وَالتَّفَرُّيخِ
 مِنَ الْعُنْصُرَيْنِ ، وَفِي هَذَا الْجَوْ مِنْ الْقِرَاءَاتِ الْهَادِيَةِ
 الْمُطْمَئِنَّةِ ، الْمُثْمَرَةِ الْمُجْدِيَّةِ ، أَقْبَلْتُ - بِحَمْدِ اللَّهِ
 وَعَوْنِهِ - عَلَى وَضْعِ مُعْجَمٍ لِلْعَرَبِيَّةِ ، وَدَرَسٍ لِأَعْلَامِهَا ،
 وَتَحْلِيلٍ لِكِتَابِهَا ، وَتَقْصٍّ لِجِهَابِذَتِهَا ، وَشَرْحٍ لِمُبْهَمِ
 غَرْسِهَا ، وَتَوْضِيحٍ لِمَعْنَى لَفْظِهَا ، وَجَمْعٍ لِمُتَفَرِّقِ

(١) تقمص العقليتين : فهمهما

شَتَاتَهَا ، فِي مُثَابَرَةٍ وَاسْتِمْرَارٍ ، وَفِي إِمْعَانٍ نَظَرٍ
وَاسْتِذْكَارٍ ، وَفِي دَرْسٍ اسْتِسَاغَةٍ لَا تَكْلِيفٍ اضْطِرَارٍ .
وَالآنَ : يَحْلُولِي ، أَنَّ أَنْتَقِلَ بِكَ إِلَى أَشْهَى
الْأَلْفَافِ ، وَأُسَلِّسَ التَّعَايِيرَ ، وَجَلِّيَ الْمَقَالَ ، إِلَى
فَنِّ التَّرَاجِمِ . فَأَقُولُ :



عِبَادَةُ الْبُطُولَةِ قَدِيمَةٌ « قَدَمَ هَذَا الْعَالَمِ ، طَبِيعِيَّةٌ
أَنْدَجَتْ فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ الْخَلِيقَةِ ، وَرُكِّبَتْ
فِي غَرَائِزِهَا وَمَنَازِعِهَا ^(١) مِنْ بَدَايَةِ التَّكْوِينِ ،
بَلْ إِنَّ عِبَادَةَ الْأَبْطَالِ كَانَتْ جَوْهَرَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ،
مِنْ أْبَعَدِ عُصُورِ التَّارِيخِ ، إِذْ رَأَى النَّاسُ مِنَ الْبَدَاءَةِ

فن
التراجيم
وتدوين
سير
الأبطال

حِينَما تَكُونَتِ الْجَمَاعَةُ الْأُولَى ، فَرَدًّا فِيهِمْ يَسْمُو
 عَلَى مَجْمُوعِهِمْ فِي شِدَّةِ الْبَاسِ ، أَوْ قُوَّةِ الْمِرَاسِ ^(١) ،
 أَوْ الْإِسْتِخْفَافِ بِالْخَطَرِ ، وَالْإِسْتِهَانَةِ بِالْمَهَالِكِ
 وَالْمَتَالِفِ ، أَوْ يَفْعَلُ فِي نَفْسِهِمْ مَحْضَرَهُ فِعْلَ
 السَّحْرِ ، وَتَنْبَعِثُ مِنْ مُجَرَّدِ لِقَائِهِ ، أَوْ خَطَرَانِهِ ^(٢)
 بَيْنَهُمْ ، أَوْ كَلِمَاتِهِ فِيهِمْ ، حَاسَّةً الْإِسْتِضْعَافِ
 أَمَامَهُ ، وَالتَّأَثُّرِ الْخَفِيِّ بِهِ ، وَالشُّعُورِ بِالضَّآلَةِ
 دُونَهُ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، كَأَنَّهُ عُنْصُرٌ خَارِقٌ
 لِلْمَأْلُوفِ ، وَعَالَمٌ وَحْدَهُ ، خَارِجٌ عَنْ حُدُودِ
 عَالَمِهِمْ ، وَقُوَّةٌ قَاهِرَةٌ ؛ تَسْتَوْجِبُ الْخُضُوعَ وَالْإِذْعَانَ .

(١) المِرَاسُ، المرس : الجبل المفتول . يريد قوة الاحتمال . أو مصدر
 مارس : أى قوة معالجة الأمور . (٢) الخطران والخطير نوع من السير :
 وهو أن يمشى يرفع يديه ويضعهما .



عبادة
البطولة

وَقَدْ عَبْدُوا مِنْ قَبْلُ ، الْبُطُولَةَ مُصَوَّرَةً فِي
الْحَجَرِ ، وَخَضَعُوا لَهَا صُورًا فِي الْأَصْنَامِ ، وَتَهَاوِيلَ^(١)
فِي الْأَوْثَانِ ، كَمَا عَبْدُوهَا فِي الْأَخْيَلَةِ^(٢) الَّتِي خَالَتَهَا ،
وَالرُّمُوزِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي وَضَعُوهَا لَهَا ، فَجَعَلُوا لِكُلِّ
فَضِيلَةٍ إِلَهًا ، بَلْ لِكُلِّ رَذِيلَةٍ أَيْضًا إِلَهًا ، إِذْ
أَكْبَرُوا قُوَّةَ الْخَيْرِ فِي تَنَاهِيهِ^(٣) ، وَخَافُوا قُوَّةَ الشَّرِّ
فِي شَرِّ أَمْثَلَتِهِ ، وَأَرْهَبَ دَوَافِعِهِ وَخَوَافِيهِ ، فَكَانَتْ
دِيَانَةُ الْإِغْرِيْقِ ، هِيَ فِي الْوَاقِعِ عِبَادَةُ الْبُطُولَةِ فِي
مُخْتَلَفِ ظَوَاهِرِهَا ، وَمُتَعَدِّدِ صُورِهَا ، إِذْ صَوَّرُوا

(١) التهاويل : الألوان المختلفة ، زينة التصاوير والنقوش والحلي
الواحد : تهاويل (٢) الأخيلة : جمع خيال : وهو الظن والوهم
(٣) تناهيه : أى بلوغه النهاية

الْإِلَهَةَ تَصْوِيرًا بَشَرِيًّا ، وَجَعَلُوهَا تُشَارِكُهُمْ بِالْعَاطِفَةِ ،
وَتَمَاتْلُهُمْ وَتَحَاكِيهِمْ فِي أَنْفِعَالَاتِ الْوُجْدَانِ .

كَذَلِكَ أَكْبَرَ النَّاسُ الْقُوَّةَ وَالسُّمُوَّ عَنِ الْمُسْتَوَى
الْمَأْلُوفِ ، فِي كَافَّةِ مَظَاهِرِهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ . وَمِنْ
هَذَا الشُّعُورِ الْفِطْرِيِّ ، الَّذِي بَدَأَ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي أَوَّلِ
أَطْوَارِ الْخَلِيقَةِ وَمَبَادِيهَا ، نَشَأَتِ الْحَاسَةُ الْأَدَبِيَّةُ ،
الَّتِي رَبَطَتْ مَقَائِيسَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَأَغْرَتِ الْإِنْسَانَ
بِالتَّرَفُّعِ وَمُحَاوَلَةِ السُّمُوِّ ، وَبَغَضَتْ إِلَيْهِ الصَّغَارَ (١)
وَالْتَدَهَوْرَ ، وَحَفَزَتْهُ إِلَى الْإِقْتِدَاءِ بِالَّذِينَ ظَهَرُوا وَسَطَ
الْجَمَاعَةِ بِسُلْطَانٍ مِنْ قُوَّتِهِمْ ، وَسِحْرِ مِنْ سُمُوِّهِمْ ،
وَجَازِبِيَّةٍ خَفِيَّةٍ مِنْ تَرْكِيبِ خَلِيقَتِهِمْ ، فَأَخَذَتْ

(١) الصغار : الذل . والتدهور : السقوط .

الْجَمَاعَةُ مِنْهُمْ الرَّهْبَةُ لِجَهْلِ أَمْرِهِمْ ، وَسِرِّ شَأْنِهِمْ ،
 كَمَا أَخَذَتْهَا مِنْهُمْ انْبِعَاثَاتُ^(١) الْأَعْجَابِ إِلَى حَدِّ التَّقْدِيسِ ،
 وَالْخَوْفِ إِلَى حَدِّ التَّوَسُّلِ وَالضَّرَاعَةِ ، وَالْإِبْتِهَالِ
 وَالِدُّعَاءِ بِالسَّلَامَةِ ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ .



وَعَلَى مُبْتَدَأِ نَشْأَةِ الْحَاسَةِ الدِّينِيَّةِ ، جَاءَتْ الْأَدْيَانُ
 الْمُنَظَّمَةُ ، يَحْمِلُهَا إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْأَطْوَارِ الْأُولَى
 مِنَ النُّشُوءِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، أَفْرَادٌ أَكْبَرُ مِنْ عَصَرِهِمْ ،
 وَأَشْخَاصٌ خَارِقُونَ لِأُلُوفِ الْقُوَّةِ فِي حَيْطِهِمْ ،
 فَكَانَتْ وَسِيلَةً الْإِخْضَاعِ لِلْفِكْرَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي
 جَاءُوا بِهَا ، هِيَ إِبْرَازَ عَمَلٍ مُعْجَزٍ . وَإِتْيَانِ حَادِثٍ

الأديان
المنظمة

(١) انبعاثات الاعجاب : اندفاعاته

خَارِقٍ لِلطَّبِيعَةِ ، وَإِحْدَاثٍ فِعْلٍ يَزِيدُ ضَوْؤَ النَّاسِ
بُرُوزًا وَظُهُورًا .

وَقَدْ ظَلَّتِ الْفِكْرَةُ الدِّينِيَّةُ نَفْسَهَا تَتَنَقَّلُ فِي
أَطْوَارٍ مُتَعَابِقَةٍ ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى عَقِيدَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ ،
أَوْ إِلَى فِكْرَةِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ هُنَاكَ عَظِيمًا خَالِقًا فَوْقَ
كُلِّ الْعُظَمَاءِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَسُمُوءًا سَمَويًا فَوْقَ كُلِّ
سُمُوءٍ أَرْضِيٍّ ، وَقُدْرَةً أَعْلَى مِنْ مُتَنَاوِلِ الْقُوَّاتِ ،
وَلَكِنْ مَا مَنَعَ الْإِيمَانَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ بَقَاءَ عِبَادَةِ
الْبُطُولَةِ ، وَإِنْ جَرَّدَهَا مِنْ فِكْرَةِ الْعِبَادَةِ كَدِينٍ ،
وَقَصَرَهَا عَلَى فِكْرَةِ التَّقْدِيسِ كإِحْسَاسٍ إِنْسَانِيٍّ ،
يَحْتَرِمُ ذَاتَهُ فِي أَرْفَعِ قَوَالِبِهِ ، وَيُكَبِّرُ^(١) مَظَاهِرَهُ
فِي أَسْمَى أَشْكَالِهِ وَمَرَاتِبِهِ .

(١) يكبر : يعظم

تطور
الأديان



تدوين
أعمال
البطولة

وَمُنْذَ ظَهَرَ فِي الْجَمَاعَةِ الْأُولَى أَفْرَادٌ بِمَقَائِسٍ
تَكُونُ أَكْبَرَ مِنَ الْمَقْيَاسِ الْعَامِّ ، وَفِي مُسْتَوَى
مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَسْلَكِ وَالصِّفَاتِ الْفَرْدِيَّةِ فَوْقَ
الْمُسْتَوَى الْمَأْلُوفِ ، بَدَأَتِ الْعِنَايَةُ « بِتَدْوِينِ »
أَعْمَالِ الْبُطُولَةِ فِي الْأَحَادِيثِ ، كُلَّمَا اجْتَمَعَ الْجَمْعُ ،
وَفِي التَّهَامُسِ ^(١) بِأَوْصَافِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا مِنْ
الْخَوْفِ مِنْهَا ، أَوْ عَلَيْهَا ، وَفِي تَرْدِيدِ مَآثِرِهَا ،
وَمُذْهِشَاتِ فِعَالِهَا ، إِعْجَابًا بِهَا ، وَإِكْبَارًا لِشَأْنِهَا ،
وَاتَّسَعَ مَعَ الْوَصْفِ مِنَ الذَّاكِرَةِ الْمَجَالُ لِلْخِيَالِ ،
وَتَرَامَى ^(٢) الْمَدَى أَمَامَ النَّزْوَعِ إِلَى التَّجَسُّيمِ ، وَالْإِسْرَافِ

(١) التهامس: الكلام الخفي (٢) ترامى : اتسع . والمدى: الأمل والغاية .

فِي التَّصْوِيرِ ، وَجَعَلَتْ كُلُّ قِصَّةٍ تُتْلَى فِي الْمَجْمَعِ
 أَوْ الْمُسْتَدَى ، تَتَحَوَّلُ إِلَى حَلَقَاتٍ أُخْرَى غَيْرِهَا ، مَعَ
 مَزِيدٍ مِنَ الْأَوْصَافِ ، وَلَوْنٍ جَدِيدٍ مِنْ صُنْعِ الْأَخِيَلَةِ ،
 فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْرُ ، « شِعْرُ الْبِدْءَةِ » تَغْنِيًّا
 بِالْبُطُولَةِ ، وَتَمْدَاحًا ^(١) لِلْعَظَمَةِ ، وَإِشَارَةً بِخَوَارِقِ
 الْمَأْلُوفِ ، بَلْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ « هُوْمِيرُوسُ » ،
 مِنْ مَرَارِ الْبُطُولَةِ ، وَقِيَارَةُ الْفِعَالِ الْجِسَامِ ، وَعَظَائِمِ
 الْأَعْمَالِ ، فِي الْإِلْيَاذَةِ ^(٢) ، أَوَّلِ دِيَوَانٍ مِنَ الشَّعْرِ
 فِي عِبَادَةِ الْبُطُولَةِ ، وَالتَّغْنَى بِالْأَبْطَالِ ، فَإِنَّ سَرْدَ
 حُرُوبِ طِرْوَادَةِ ، وَبَسَالَةِ الشُّجْعَانِ الْمَغَاوِيرِ ^(٣) ،

(١) تمْداح مصدر مدح : وهو نهاية المبالغة في المدح . (٢) الإلياذة
 والأودسا : ديوانان جمعاً كل فنون الإغريق (٣) المغاوير : جمع مغوار ،
 وهو الكثير الغارات والوقائع .

وَقِصَّةَ الْغَرِيزَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي الْغَزْوِ وَالْفَتْحِ وَالْغِيلَةِ
وَالْعُدْوَانِ ، كَانَتْ أَوَّلَ تَدْوِينٍ لِتَرَاجِمِ النُّوَابِغِ ،
وَسِيرِ النَّابِهِينَ^(١) وَقَصَصِ حَيَاةِ الْخَارِقِينَ لِمَا لَوْفِ
الْبَيْئَةِ ، وَمَجْرَى الْمُحِيطِ .



وَلَكِنْ إِذَا رُحْنَا نَلْتَمِسُ كِتَابَةَ التَّرَاجِمِ كَفَنٍّ ،
أَوْ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الْأَدَبِ ، وَنَاحِيَةِ قَائِمَةٍ بِذَاتِهَا
مِنْ نَوَاحِي التَّفْكِيرِ ، وَنَطْلُبُ عَبْدَةَ الْبُطُولَةِ فِي
أَبْعَدِ عُصُورِ التَّارِيخِ ، انْبَرَى لَنَا كَأَوَّلِ كَاشِفٍ ،
وَأَسْبَقِ مُرْتَادٍ ، بِلَوْتَارِكْ - أَوْ « فِلوكَارخس » كَمَا
يُسَمِّيهِ الْعَرَبُ - فَقَدْ كَانَ هُوَ مُنْشِئَ أَدَبِ

بلوتارك

(١) النابهيين : جمع نابه ، وهو الذي اشتهر وكان ذا نباهة .

الْبُطُولَةِ . وَالتَّحَدَّثَ الْبَلِيغَ عَنْ عَظَمَةِ الْعُظَمَاءِ ،
وَقَدَاسَةِ الْأَبْطَالِ ، بَلْ هُوَ الْعَابِدُ الْأَوَّلُ فِي هَيْكَلِ
النُّبُوغِ ، وَالْمُورِّخُ الْمُؤَسِّسُ فِي سَيْرِ الْعَبَقَرِيِّينَ
وَالْأَفْذَازِ ، وَمِنْهُ عَرَفْنَا ، بِرَاسِيدَاسِ ، وَدَيُونِ ،
وَأَبَا مَنْوَنَدَاسِ ، وَسَيِيدُو . بَلْ لَهُ نَحْنُ مَدِينُونَ
بِالْفَضْلِ الْأَسْبَقِ فِي هَذَا النَّوْعِ الشَّيْقِ ، اللَّذِّ (١)

الْبَدِيعِ مِنَ التَّارِيخِ .



لَقَدْ وَضَعَ « فُلُوكَارْخُسُ » كِتَابَهُ « حَيَاةَ الْعُظَمَاءِ »
فِي أُسْلُوبٍ مِنْ أُسَالِيْبِ الْقَصَصِ ، فَكَانَ أَقْدَمَ
طَرِيقَةً رُؤَايِيَّةً فِي الْأَدَبِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَقَدْ جَعَلَ

حياة
العظماء

(١) اللذ : اللذيد الشهى .

الْبُطُولَةَ تَشِعُّ^(١) فِي كُلِّ تَرْجَمَةٍ مِنْ تَرَاجِمِهِ ؛ بُطُولَةُ
الْعَمَلِ وَالصِّفَةِ ، لَا بُطُولَةَ الدِّمِ وَالْأَنْسَابِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
وَوَصَفَ لَنَا نُفُوسَ الْقَادَةِ وَالنَّوَابِغِ وَالْعُظَمَاءِ ،
فِي صُورٍ مُجَسِّمَةِ الْمَعَالِمِ ، بَارِزَةِ الدَّقَائِقِ وَالْأَجْزَاءِ .

وَلَيْنِ أَغْفَلَ مُؤَلِّفُ كِتَابِ حَيَاةِ الْعُظَمَاءِ السِّيَاقَ
التَّارِيخِيَّ فِي تَرَاجِمِ شَخْصِيَّاتِهِ ، فَلَمْ يُرَاعِ التَّسْلُسَ
الطَّبِيعِيَّ لِلْحَوَادِثِ ، وَلَمْ يَجْرِ فِي وَصْفِ عُظَمَائِهِ
مَجْرَى الْمُحَدَّثِينَ ، فِي التَّرْتِيبِ وَالِاسْتِخْلَاصِ مِنْ
مَنْطِقِ الْحَيَاةِ ، وَالظُّرُوفِ وَالْعَوَامِلِ الْمُخْتَلِفَةِ ،
فَقَدْ عَوَّضَنَا عَمَّا أَغْفَلَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعْدِلُهُ وَيُجَاوِزُهُ
قِيَمَةٌ وَشَأْنًا ، إِذْ أَفْعَمَ تَرَاجِمُهُ حَيَاةً ، حَتَّى أَحَالَهَا

(١) تَشِعُّ : تَنْتَشِرُ وَتَتَفَرَّقُ - وَمِنْهُ شُعَاعُ الشَّمْسِ .

تَكَادُ تَخْتَلِجُ اخْتِلَاجًا ^(١) مِنْ دِقَّةِ الْوَصْفِ ، وَحَرَارَةِ
الْأَدَاءِ ، وَبَرَاةِ التَّصْوِيرِ .



كَذَلِكَ قَدَسَ « بِلَوْتَارِكُ » الْبُطُولَةُ ، وَفَتَحَ مِنْ
تَقْدِيسِ
الْبُطُولَةِ
أَجْلَهَا بَابًا جَدِيدًا فِي التَّارِيخِ ، وَأَنْشَأَ لَهَا نَاحِيَةً
خَاصَّةً مِنَ الْأَدَبِ ، وَهَدَى الدُّنْيَا إِلَى أُسْلُوبٍ
طَرِيفٍ فِي إِمْتِنَاعٍ ^(٢) الْأَذْهَانِ ، وَإِبْرَازِ قَوَالِبِ
الْفَضِيلَةِ ، وَتَقْدِيمِ أُمُثَلَةٍ عَلِيًّا لِلْحَيَاةِ ، فَنَشَأَتْ بَعْدَهُ
« الْقِصَّةُ » ، بَادِئَةً بِمُتَعِ الْحَوَادِثِ خَسْبُ ، وَمُجَرِّدِ
التَّسْلِيَةِ مِنَ التَّارِيخِ ، بِتَصْوِيرِ النَّوَابِغِ ، مُلَوَّكًا

(١) اختلجت العين اختلاجا : انتفضت أجفانها بحركة اضطرارية —
والمراد أنه صوّر التراجم تصويرا جعلها تتحرك كأنها من الأحياء .
(٢) إمتناع الأذهان : تمتعها وانتفاعها وتلذذها .

أَوْ فُرْسَانًا ، أَوْ شُجْعَانًا أَوْ إِخْوَانَ حُرُوبٍ ، ثُمَّ
 جَعَلَتْ^(١) تَتَطَوَّرُ مَعَ الْحَضَارَةِ وَالْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ،
 فَكَانَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ هَذِهِ الضَّرُوبُ الْجَدِيدَةُ
 مِنَ الْقَصَصِ ، قِصَّةُ الشَّخْصِيَّةِ ، أَوْ الْمَحْوَرِّ الدَّائِرِ
 حَوْلَ الْبَطَلِ ، امْرَأَةً أَوْ رَجُلًا ، وَالْوَصْفُ الَّذِي
 يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّحْلِيلُ النَّفْسِيُّ ، وَيَتَأَثَّرُ بِالتَّشْرِيحِ
 وَالتَّقْصِي لِلْخَوَالِجِ^(٢) ، وَالنَّرْعَاتِ وَالْأَحَالِيسِ .



وَتَطَوَّرَتْ كِتَابَةُ التَّرَاجِمِ مَعَ تَطَوُّرَاتِ الْعُصُورِ ،
 وَلَكِنَّ هَذَا الْفَنَّ الْمُسْتَقِلَّ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ ، وَجَدَ
 فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ نَابِغَتَهُ الْمُبَرِّزَ ، وَمِنْ مَارِهِ

توماس
كارلايل

(١) جعلت : أخذت وصارت (٢) الخوالج : ما يجيش في صدر الانسان

السَّاحِرَ ، وَرِيشَتَهُ الْبَارِعَةَ فِي التَّصْوِيرِ ، بَلْ وَجَدَتْ
الْبُطُولَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، الْعَابِدَ الْمُتَحَمِّسَ لَهَا ، وَالْمُقَدَّسَ
الْمُتَفَانِي فِيهَا ، وَالْمُتَغَنَّى الْمُرْتَلِّ لآيِهَا ^(١)
وَفِعَالِهَا ، وَهُوَ « توماس كارلايل » ، صَاحِبُ كِتَابِ
« الْأَبْطَالِ وَعِبَادَةِ الْبُطُولَةِ » ، ذَلِكَ الْكِتَابُ الْخَالِدُ ،
الْقَوِيُّ الْأَسْلُوبِ ، الْمُنَزَّعُ حَيَاةً وَرُجُولَةً ، الْمُتَعَمِّقُ
فِي أَغْوَارِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَخَوَالِجِهَا ، الْغَائِصُ فِي
لُبِّ الْعِظَمَةِ الْقَسِيَّةِ ^(٢) ، وَأَسْرَارِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالنُّبُوغِ ،
وَلَمْ يَقْصُرْ « كارلايل » تَصْوِيرَهُ لِلْعَبَقَرِيَّةِ ،
وَرَسَمَهُ لِلشَّخْصِيَّةِ الْخَارِقَةِ لِمَالُوفٍ ، عَلَى الْأَمْثَلَةِ
الَّتِي افْتَنَّ فِيهَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ مِنْ كُتَّابِ التَّرَاجِمِ ،

(١) الْآي : جَمْعُ آيَةٍ . وَهِيَ الْعَلَامَةُ . (٢) الْقَسِيَّةُ : الشَّدِيدَةُ .

أَمْثَلَةَ الشُّجْعَانِ وَالْمُقَاتِلَةِ ، وَالْقُوَادِ وَالْمُنَاجِرَةِ ،
وَالْأَقْيَالِ ^(١) وَالْقِيَاصِرَةِ ؛ وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ
أَلْوَانًا مِنَ النُّبُوغِ مُخْتَلِفَةً ، وَأَمْثَلَةً مِنَ الْعَبَقْرِيةِ مُتَعَدِّدَةً ،
يَبْدُو فِيهَا الشَّاعِرُ وَالْخَطِيبُ ، وَالْمُفَكِّرُ وَالْفَيْلَسُوفُ ،
بِجَانِبِ النَّبِيِّ ، وَالْقَائِدِ ، وَالْمَلِكِ ، وَالسِّيَاسِيِّ الْعَظِيمِ .

✱

✱ ✱

وَفِي الْقَرْنِ الْمَاضِي ، رَأَيْنَا كَاتِبًا فَرَنْسِيًّا ، يُحَدِّثُ
فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا دَاوِيًّا ، وَضَجَّةَ عَظِيمَةً ، وَحَدَثًا خَطِيرًا
لِلْغَايَةِ ، وَهُوَ وَضَعُ « تَرْجَمَةِ الْمَسِيحِ » مَا كَادَ النَّاسُ
يَتَنَاوَلُونَهَا حَتَّى بُهِتُوا بِهَا ، وَأَخَذَتْهُمْ رَوْعَتُهَا ، وَفَعَلَتْ
فِي نَفْسِهِمْ قُوَّتَهَا ، وَمَلَكَ أَلْبَابَهُمْ سِحْرُهَا وَجَازَ يَتِّيَّهَا ،

أرست
رينان
وترجمة
المسيح

(١) الأقيال : جمع قيل بالتخفيف : وهو الرئيس دون الملك الأعلى ،
سمى به لأنه يقول ما شاء فينفذ . ، ويجمع على أقوال أيضا

فَاعْتَرَفُوا لَهَا جَمِيعًا حَتَّى الْمُنْكَرُونَ لِإِنْسَانِيَّةِ الْمَسِيحِ ،
 كَمَا صَوَّرَهَا ذَلِكَ الْمُصَوِّرُ الْحَازِقُ الْمَاهِرُ ، بِأَنَّهَا عَمَلٌ
 أَدَبِيٌّ فَائِقٌ ، بَالِغٌ حَدَّ الْإِعْجَازِ ، مُتَجَاوِزٌ أَدَقَّ بَرَاعَةِ
 الْمُصَوِّرِينَ .

ذَلِكَ هُوَ « أَرْنِسْت رِينَانُ » ، فَإِنَّ كِتَابَهُ فِي
 « حَيَاةِ الْمَسِيحِ » ، تَرَكَ النَّاسَ ذَهَلِينَ يَوْمَ قَرَعُوهُ ، وَلَا
 يَزَالُ مَقَامُهُ فِي التَّرَاجِمِ ، مَقَامَ كِتَابِ خَالِدٍ ، بِجَانِبِ
 الْمَسِيحِيَّةِ ذَاتِهَا ، فَإِذَا مَا ذُكِرَتْ ذُكِرَ هَذَا الْكِتَابُ .

وَنَشَأُ بِجَانِبِ التَّرَاجِمِ ، يَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ
 الْبَرَّةُ^(١) فِي الْقَصَصِ ، وَالْمَهَرَةُ فِي التَّحْلِيلِ الدَّقِيقِ ،
 وَالَّذِينَ أُوتُوا قُوَّةَ الْمُلَاحَظَةِ ، وَالتَّغْلُغِ الْمُتَعَمِّقِ فِي

(١) البرعة : المهرة

أَغْوَارِ^(١) الْحَقَائِقِ، كُلُّهُ يَتَرَجِّمُ لِلشَّخْصِيَّةِ الَّتِي أَثَّرَتْ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ سِوَاهَا، وَيُدَوِّنُ حَيَاةَ النَّابِغَةِ الَّتِي يَرُوقُهَا، وَتَسْتَجِيبُ عَاطِفَتَهُ لِنَوْعِ نُبُوغِهِ، وَمَظْهَرِ تَفَوْقِهِ، وَتَتَلَاقَى نَفْسِيَّتُهُ بِنَفْسِيَّتِهِ فِي الْمَعَانِي، الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِمَا، وَيَتَشَكَّلُ بِهَا تَفَكِيرُهُمَا . . .

*
* *

نَشَأُ بِجَانِبِ هَذِهِ التَّرَاجِمِ. نَوْعٌ طَرِيفٌ مِنَ التَّارِيخِ الْخَاصِّ، كَانَ لَهُ شَأْنُهُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَمَكَانُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَلْوَانِ^(٢) الْأَدَبِ وَمَرَاتِبِهِ، وَهُوَ «كِتَابَةُ الْإِعْتِرَافَاتِ»، أَوْ تَرَاجِمِ النَّوَابِغِ بِأَقْلَامِهِمْ، وَقِصَّةِ حَيَاتِهِمْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، فَرَأَيْنَا مِنْ قَبْلُ «جَان جَاكُ رُوسُو» يَتَحَدَّثُ عَنْ حَيَاتِهِ وَمَاضِيهِ، مَعْنِيًا حَتَّى

جان
جاك
روسو

(١) أَغْوَار : أعماق (٢) الألوان : الأنواع والضروب .

بِالدَّقَائِقِ ، وَاصِفًا حَتَّى الْمَعَايِبِ ، وَنَوَاحِي النَّقْصِ فِيهِ ،
 ذَاكِرًا مَا كَانَ يَظُنُّ الْمَرْءُ أَنَّ الْكَاتِبَ يَتَحَامَى
 حَتَّى الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ ، فَرَأَتْ هَذِهِ الْإِعْتِرَافَاتُ ،
 وَنَزَلَتْ مِنَ النُّفُوسِ أَعْمَقَ مَنْزِلٍ ، لِرُوحِ الْأَمَانَةِ الَّتِي
 سَرَتْ فِي تَضَاعُيفِهَا ، وَظِلُّ الصِّدْقِ الضَّافِي عَلَيْهَا ،
 وَتَفْطِيحِ نَفْسٍ إِنْسَانِيَّةٍ أَمَامَ الدُّنْيَا ، عَارِيَةً مُتَجَرِّدَةً ،
 يَقْرَأُونَ خَوَاجِلَهَا ، وَأَحَاسِيسَهَا وَنَزَعَاتِهَا ، كَأَنَّهُمْ
 يَقْرَأُونَ فِي كِتَابٍ مَفْتُوحٍ .



وَالْيَوْمَ اشْتَهَرَ فَنُ كِتَابَةِ التَّرَاجِمِ ، وَأَصْبَحَ جُزْءًا
 مُسْتَقِلًّا ، تَوَفَّرَ عَلَيْهِ كُتَّابٌ لَمْ يَعُدْ أَدَبُهُمْ يَتَنَاوَلُ
 سِوَاهُ إِلَّا فِي النُّدْرَةِ ، وَأَضْحَى هُوَ لَاءٌ يَتَرَقَّبُونَ

شهرة
فن
التراجم

ظُهُورَ النَّوَائِغِ ، وَتَوَطُّدَ أَقْدَامِ الْبَارِزِينَ فِي الْعَالَمِ ،
وَأَصْحَابِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُتَجَلِّيةِ فِي حَلَبَاتِ الْحَضَارَةِ
مِنْ سِيَاسَةٍ وَاخْتِرَاعٍ ، وَاقْتِصَادٍ وَادَبٍ ، وَفَلَسَفَةٍ
وَعُلُومٍ ، فَيَنْبَرُونَ^(١) لِتَقْدِيمِهَا إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ،
مُصَوَّرَةً بِأَقْلَامِهِمْ ، مَرْسُومَةً بِرِيشَاتِهِمْ ، عَلَى
طَرِيقَةٍ مُبْتَكَرَةٍ فِي التَّحْلِيلِ ، وَأُسْلُوبٍ جَدِيدٍ فِي
التَّشْرِيحِ النَّفْسِيِّ ، وَمُتَابَعَةِ الْعَوَامِلِ الَّتِي هَيَّأَتْ
لَهُمْ سَبِيلَ النُّبُوغِ ، وَالنَّوَامِيسِ^(٢) الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي
سَاعَدَتْ عَلَى تَكْوِينِهِمْ ، وَسِيَاقِ الظُّرُوفِ ،
وَمَنْطِقِ الْحَوَادِثِ فِي إِبْرَازِ شَخْصِيَّاتِهِمْ ، وَقَدْ أَعَانَهُمْ

(١) أنبرى للأمر: اعترض وتصدى له (٢) النواميس: جمع ناموس،
وله عدة معان: لعل المناسب منها: التعاليم وضروب الأبحاث التي زاولوها
في إبان تعليمهم.

عَلَى الْإِجَادَةِ فِي هَذَا الْبَابِ ، أَنَّ الْمَوَادَّ الْأَوَّلِيَّةَ
لِلتَّرْجِمَةِ ، أَصْبَحَتْ مَوْفُورَةً فِي مُتَنَاوِلِ الْبَاحِثِ ،
وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي شَأْنِ نَوَابِغِ الْعُصُورِ
الْمَاضِيَةِ وَعُظَمَائِهَا ، فَكَانَ الْمُتَرْجِمُ يَعْمَدُ إِلَى اجْتِهَادِهِ ،
أَكْثَرَ مِنْ رُكُونِهِ إِلَى مَادَّةِ بَحْثِهِ ، لِنُدْرَتِهَا وَشَتَاتِ
أَجْزَائِهَا ، وَالشَّكُّ الْمُقْتَرِنُ بِدَقَائِقِهَا ، بَلْ قَدْ اسْتَبَقَ
الْكِتَابُ الزَّمَنَ وَمَدَارَهُ ، فَرَاخُوا يَضَعُونَ تَرَاجِمَ
وَصُورًا قَلَمِيَّةً لِلْمُعَاصِرِينَ الْأَحْيَاءِ ، نِهَايَةً فِي الْعِنَايَةِ
بِالنُّبُوغِ ، وَمُبَالَغَةً فِي الشَّغَفِ بِالْعُظَمَاءِ وَالْعَبَقَرِيَّةِ ،
وَالْأَعْمَدَةِ الْقَوَائِمِ فِي الْمُجْتَمَعِ ، وَالْكَوَاكِبِ
الْمُتَالِقَةِ فِي مَجْدِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ .



إميل
لدوفيج

وَقَدْ رَأَيْنَا « إميل لدوفيج » فِي صَدْرِ كِتَابِ
التَّرَاجِمِ ، وَمُصَوِّرِي الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ ، كَمَا
شَهِدْنَا « هيليريلوك » و « لاسكى » و « مورا »
وَأَمْثَلَهُمْ ، يَفْتَنُونَ^(١) فِي هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّأْلِيفِ ،
حَتَّى أَصْبَحُوا فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ مَزَامِيرَ لِلشُّبُوغِ ،
وَمَصَارِحَ^(٢) لِلْمَجْدِ وَالْعِظَمَةِ ، وَالسُّمُوِّ الْإِنْسَانِيِّ ،
فِي مُخْتَلِفِ آفَاقِهِ وَأَقْطَارِهِ .

*
* *

وَلَسْتُ تُبَالِغُ إِذَا قُلْتَ : نَحْنُ أَحْوَجُ إِلَى هَذِهِ
الْكَتُبِ وَالتَّرَاجِمِ وَالصُّوَرِ الْفَرَايِدِ ، مِمَّا إِلَى كُتُبِ
الْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَالْاِقْتِصَادِ وَالْاجْتِمَاعِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ

دراسة
الحياة
والإنسان

(١) هو من قولهم : افتن فلان في حديثه وفي خطبته افتنانا — أخذ في
فنون من القول ، وجاء بالأفانين — وأفانين الكلام : أساليبه وأجناسه ،
وطرقه . (٢) مصارح : صروح : قصور عالية جمع صرح .

الْمُؤَلَّفَاتِ ، لِأَنَّهَا فِي الْوَاقِعِ ، هِيَ دِرَاسَةُ الْحَيَاةِ فِي
 أَرْفَعِ صُورِهَا ، وَالتَّمَّاسُ الْقَوَالِبِ الرَّفِيعَةِ فِي مُخْتَلَفِ
 مَظَاهِرِهَا . وَقَدِيمًا قَالَ كَبِيرٌ مِنْ كِبَارِ شُعَرَاءِ
 الْإِنْسِكِلِيزِ فِي مَطْلَعِ إِحْدَى قَصَائِدِهِ « إِنَّ خَيْرَ
 دِرَاسَةٍ لِلْإِنْسَانِ ، هِيَ دِرَاسَةُ الْإِنْسَانِ » .



وَنَحْنُ مُقَدِّمُونَ بَعْدَ هَذَا ، إِلَى الْقَارِئِ فَصْلَيْنِ الْعُظْمَاءِ
 وَالنَّوَابِغِ الْمُتَعَيْنِ ، قِيَمَيْنِ نَادِرَيْنِ ، فِي فَضْلِ الْعُظْمَاءِ وَقِيَمِ
 النَّوَابِغِ ، وَسَيَرِ الْأَبْطَالِ ، وَالْمَوْهُوبِينَ^(١) النَّادِرِينَ ،
 حَتَّى يَتَجَلَّى شَأْنُ الْعُظْمَاءِ ، وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ فِيهِمْ ،
 وَنَوَابِغُ الْمُبْحُوثِ عَنْهُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْقَارِئُ

(١) المفاض عليهم من الحلقة والتكوين .

فِي سِيرَةٍ عَظِيمٍ ، أَوْ قِرَاءَةِ تَرْجَمَةٍ نَابِغَةٍ ، فَإِنَّ فَهْمَ
الْعُظْمَةِ فِي جَوْهَرِهَا ، وَإِدْرَاكَ كُنْهَهَا فِي عُمُومِيَّتِهَا ،
هُوَ خَيْرُ تَوْطِئَةٍ لِلدِّرَاسَاتِ الْخَاصَّةِ فِي عَالَمِ
الْبُطُولَةِ وَالنُّبُوغِ .

وَقَدْ يُلَوِّحُ الرَّأْيَانِ اللَّذَانِ جِئْنَا بِهِمَا ، مُتَعَارِضَيْنِ
عَلَى ظَاهِرِهِمَا ، وَلَكِنَّ الْمُتَنَاوَلَ فِي الْوَاقِعِ وَاحِدٌ ،
وَالنَّظَرَةُ مُتَشَابِهَةٌ ، وَدِقَّةُ الدِّرَاسَةِ فِيهِمَا عَلَى سَوَاءٍ .



وَنَبْدَأُ بِمَقَالِ « رَالْفِ وَالْدُرِ ايمِرْسُن » وَهُوَ
سَيِّدُ كِتَابِ أَمْرِيكَ ، فِي فَضْلِ الْعُظَمَاءِ ، ثُمَّ نَتَّبِعُهُ
بِمَقَالِ لِلنَّقَادَةِ الْإِنْكِلِيزِيِّ ، وَالْأَدِيبِ الْكَبِيرِ
« جيمس اتونى فروود » وَنَذِيلُ الْمُقَالَيْنِ بِكَلِمَةٍ

ايمرسن
وفروود

فِي مَعْنَى التَّارِيخِ « لَائِمِرْسُنْ » اسْتِكْمَالًا لِمَعْنَى الَّذِي
أَرَدْنَاهُ، مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الصَّغِيرَةِ .



وَنَحْنُ نُلَخِّصُ لَكَ هُنَا فَضْلًا قِيًّا ، حَفَلٌ ^(١)
بَارِقُ الْمَعَانِي ، وَأَسْمَى الْمَرَامِي ، عَقَدَهُ سَيِّدُ كِتَابِ
أَمْرِيكَ ، فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ ، وَهُوَ « رَالْفُ وَالْدَرُ »
إِيمِرْسُنْ « تَنَاوَلَ فِيهِ قِيَمَةَ التَّارِيخِ ، وَوُجُوهَ النَّظَرِ
إِلَيْهِ ، وَخَيْرَ مَنَاحِي دِرَاسَتِهِ ، وَاسْتِمْدَادِ الْفَائِدَةِ
مِنْهُ ، وَقَدْ صَدَّرَ هَذَا الْفَصْلَ الْمُتَمِّعَ بِأَيَّاتٍ فِي هَذَا
الْمَعْنَى : « لَا صَغِيرَ وَلَا عَظِيمَ عِنْدَ الرُّوحِ الْأَعْلَى
الَّذِي خَلَقَهُمَا ، وَالَّذِي أَنْبَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ ، وَصَدَرَ
كُلُّ شَيْءٍ عَنْهُ ، وَعَمَّ خَلْقُهُ كُلَّ مَكَانٍ » .

(١) حَفَلٌ : اِحْتَشَدَ وَاکْتَنَزَ .

« أَنَا مَالِكُ الْمُلْكِ ، وَالسَّبْعُ الطَّبَاقِ ^(١) ، وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانِ ^(٢) ، وَخَالِقُ يَدٍ قَيَّصَر ، وَعَقْلِ
أَفْلَاطُون ، وَقَلْبِ الْمَسِيح . وَمَا فِي شِكْسِيرٍ مِنْ
عَذُوبَةِ الْأَحْنَانِ »



يَقُولُ إِمْرَسُن :

مقال
إمرسن

لَيْسَ فِي الْعَالَمِ غَيْرُ عَقْلٍ وَاحِدٍ ، هُوَ الْمُؤْتَلَفُ
الْمُشَابَهُ لِعُقُولِ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَيْسَ إِلَّا
مَدْخَلًا إِلَى شَبِيهِهِ ، وَإِلَى جَمِيعِ أَشْبَاهِهِ ، وَمَتَى يَدْخُلُ
يَوْمًا رِحَابَ الْحَقِّ ، يُصْبِحُ السَّيِّدَ الْحُرِّ ، الطَّلِيقَ
الْإِرَادَةِ فِي الدَّوْلَةِ كُلِّهَا . وَمَا فَكَّرَ أَفْلَاطُونُ فِيهِ

(١) السبع الطباق : السموات والأرضين . لأن كلا سبع طباق .

(٢) حُسْبَان : بمقدار سوى ، وحساب معلوم .

فَلْيُفَكِّرْ ، وَمَا أَحْسَهُ الْوَلِيُّ الصَّالِحُ فَلْيُحْسِسْ بِهِ ،
 وَمَا وَقَعَ فِي أَىِّ وَقْتٍ لِرَجُلٍ ، قَدْ يَفْهَمُهُ وَيَتَصَوَّرُهُ
 وَيُدْرِكُهُ ، وَكُلُّ مَنْ يَتَّصِلُ بِهَذَا الْعَقْلِ الْكَوْنِيِّ
 الْعَامِّ ، يَكُنْ شَرِيكًا فِي كُلِّ الْخَلِيقَةِ ، مُسَاهِمًا فِي
 كُلِّ مَا قَدْ صُنِعَ ، أَوْ مَا هُوَ عَلَى الدَّهْرِ مَصْنُوعٌ ،
 لِأَنَّ هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ ، وَالْمَسْلَكُ الَّذِي
 لَا مَسْلَكَ سِوَاهُ .

إِنَّ التَّارِيخَ هُوَ سَجِلُ أَعْمَالِ هَذَا الْعَقْلِ ، وَمُدَوَّنُ
 فِعَالِهِ وَصَنَائِعِهِ ، وَإِنَّ عِبْقَرِيَّتَهُ لَتَصَوَّرُ وَتَتَمَثَّلُ
 فِي سِلْسِلَةِ الدَّهْرِ ، وَحَلَقَاتِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلَا
 يُفَسِّرُ الْإِنْسَانُ وَيُشْرَحُهُ غَيْرُ تَارِيخِهِ ، فَإِنَّهُ الشَّارِحُ
 الْأَوْحَدُ ، وَالْمُفَسِّرُ الْأَعْظَمُ ، وَأَكْبَرُ التَّأْوِيلِ .

النفس

إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لِتَسِيرُ فِي غَيْرِ عَجَلَةٍ ،
 وَتَمُضِي فِي غَيْرِ رَاحَةٍ مِنْ أَوَّلِ الطَّرِيقِ ، لِتُدمَجَ
 فِيهَا كُلُّ مَلَكَهٍ وَكُلُّ فِكْرَةٍ ، وَكُلُّ خَالِجَةٍ ^(١)
 تَتَّصِلُ بِهَا ، فِي تَنَاسُبِ الْحَوَادِثِ ، وَسِيَاقِ الصُّرُوفِ
 وَالْأَدْوَارِ ، وَلَكِنَّ الْفِكْرَةَ هِيَ أَبَدًا سَابِقَةٌ لِلْفِعْلِ ،
 وَكُلُّ حَقَائِقِ التَّارِيخِ وَوَقَائِعِهِ ، كَانَتْ مَوْجُودَةً
 فِي الْعَقْلِ كَقَوَانِينٍ . وَكُلُّ قَانُونٍ بِدَوْرِهِ ، إِنَّمَا
 يَقُومُ عَلَى ظُرُوفٍ قَاهِرَةٍ ، وَأَحْوَالٍ غَالِبَةٍ ، وَحُدُودٍ
 الطَّبِيعَةِ لَا تَأْذَنُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

الانسان

وَالْإِنْسَانُ هُوَ دَائِرَةٌ مَعَارِفِ الْحَقَائِقِ وَالْوَقَائِعِ

(١) الخالصة : ما يخرج في الصدر ، أى يحتمك مع الشك .

يَجْمَلَتِهَا . وَإِنَّ نُشُوءَ مِائَاتِ الْأَجَمِ ^(١) وَالْغَابِ ، هُوَ
 فِي بَذْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكُلُّ مِصْرَ وَالْيُونَانِ ، وَرُومَةَ
 وَالْغَالِ ، وَبَرِيطَانِيَا وَأَمْرِيكَ ، إِنَّمَا تَرَقُّدُ أَطْوَاءً ^(٢)
 وَثَنِيًّا فِي صَدْرِ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ . وَمَا الْعُصُورُ
 الْمُتَعَاقِبَةُ ، وَالْجُيُوشُ الْمُتَلَاخِقَةُ ، وَالْمَمَالِكُ بَيْنَ
 قَائِمَاتٍ وَدَائِلَةٍ ^(٣) ، وَالِدُّوْلُ بَيْنَ ارْتِفَاعٍ وَانْخِفَاضٍ ،
 وَالْجُمْهُورِيَّاتُ وَالْدِّيْمُقْرَاطِيَّاتُ جَمِيعًا ، إِلَّا مُجَرَّدُ تَطْبِيقِ
 النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، الْمُتَعَدِّدَةِ التَّضَاعِيفِ وَالشَّيَا
 وَالْأَطْوَارِ ، عَلَى الْعَالَمِ الْكَثِيرِ الْوُجُوهِ ، وَالْدُّنْيَا
 الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَشْكَالِ ، وَالْجِهَاتِ وَالْأَنْحَاءِ .

(١) الْأَجَمُ : الشجر الكثير الملتف ، واحده أجمة .

(٢) الْأَطْوَاءُ : جمع طوية ، وهي النية والضمير (٣) دائلة : زائلة .



العقل
البشرى

لَقَدْ كَانَ هَذَا الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ ، هُوَ الَّذِي كَتَبَ
التَّارِيخَ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَهُ ، كَمَا يَنْبَغِي
لِأَبِي الْهَوَلِ ، أَنْ يَحُلَّ لُغْزَهُ بِنَفْسِهِ ، وَإِذَا كَانَ
التَّارِيخُ بِجُمْلَتِهِ فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ
أَلَّا تَفْسِيرَ لَهُ ، وَلَا شَرْحَ لِأَبْوَابِهِ ، إِلَّا مِنْ طَرِيقِ
الْخَبْرَةِ الْفَرْدِيَّةِ ، وَالتَّجَارِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَيْنَ
سَاعَاتِ حَيَاتِنَا صِلَةً وَعَلَاقَةً بِقُرُونِ الدَّهْرِ ، وَأَحْقَابِ
الزَّمَنِ ، وَأَجْيَالِ الْأَبَدِ .

وَكَمَا أَنَّ الْهَوَاءَ الَّذِي أَتَفَسَّسُهُ ، مُسْتَمَدٌّ مِنْ خَزَائِنِ
الطَّبِيعَةِ وَمُسْتَوْدَعَاتِهَا . وَكَمَا أَنَّ الضَّوِّءَ الْمَشْعَّ (١)

(١) المشع : المنتشر ، المتفرق .

عَلَى كِتَابِي الْآنَ ، قَادِمٌ مِنْ كَوَكَبٍ عَلَى مَسَافَةٍ
 مِائَتِ الْمِثْلَيْنِ مِنَ الْأَمْيَالِ مِنْهُ . وَكَمَا أَنَّ جِسْمِي
 فِي تَوَازُنِهِ ، مُتَّصِلٌ بِتَوَازُنِ الْقُوَّةِ الْمُرَكِّزِيَّةِ
 الطَّارِدَةِ ، وَالْقُوَّةِ الْمُرَكِّزِيَّةِ الْجَازِبَةِ ، كَذَلِكَ
 تَعْمَلُ السَّاعَاتُ فِي الْأَجْيَالِ ، وَتَعْمَلُ الْأَجْيَالُ فِي
 السَّاعَاتِ . وَكُلُّ فَرْدٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا صُورَةً
 مُجَسِّمَةً مِنَ الْعَقْلِ الْعَامِّ ، فَكُلُّ خَوَاصِّهِ فِيهِ ، وَكُلُّ
 مَزَايَاهُ وَصِفَاتِهِ ، مِثْلُهُ لَدَيْهِ ، وَكُلُّ حَقِيقَةٍ جَدِيدَةٍ
 فِي تَجْرِبَتِهِ وَاخْتِبَارَاتِهِ الْخَاصَّةِ ، تُرْسِلُ ضِيَاءً عَلَى
 مَا صَنَعَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَتَى ^(١) الْجَمَاعَاتِ الْكَبِيرَةِ
 السَّالِفِينَ لَهُ ، وَكُلُّ أَرْمَاتِ حَيَاتِهِ فِي حُدُودِهِ ،

(١) وَأَتَى الْجَمَاعَاتِ الْخ : أَي مَا أَتَوْهُ . ، مصدر صريح .

تُسِيرُ إِلَى أَزْمَاتٍ عَامَّةٍ عَلَى مِثَالِهَا ، وَكُلُّ ثَوْرَةٍ
 كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فِكْرَةً فِي عَقْلِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ،
 فَإِذَا مَا وَقَعَتِ الْفِكْرَةُ بِرَجُلٍ آخَرَ ، كَانَ ذَلِكَ
 مِفْتَاحَ الْعَصْرِ ، وَمُنْبَثِقُ^(١) الثَّوْرَةِ ، وَمُنْفَجِرَ الْبَارُودِ .
 وَقَدْ كَانَ كُلُّ إِصْلَاحٍ مِنْ قَبْلُ رَأْيًا خَاصًّا ، فَإِذَا
 مَا سَرَى إِلَى خَوَاطِرِ الْغَيْرِ ، حَلَّ مُشْكَلَةَ الْعَصْرِ ،
 وَفَتَحَ مَغَالِيقَ^(٢) الزَّمَنِ وَالْجِيلِ .

*
* *

وَيَنْبَغِي فِي كُلِّ حَقِيقَةٍ ، أَنْ تُطَابِقَ وَتَسْتَجِيبَ
 لِشَيْءٍ فِي نَفْسِي حَتَّى يُمَكِّنَنِي تَصَدِيقُهَا ، وَيَتَسَرَّرَ
 لِي فِيهِمْهَا وَإِدْرَاكُهَا . وَنَحْنُ إِذْ نَقْرَأُ التَّارِيخَ ، يَنْبَغِي

الحقيقة

(١) منبثق الثورة : صدورها وخروجها . فهو مصدر ميمي ، وكذا
 منفجر . (٢) المغاليق : جمع مغلق ، وهو ما يعلق به الباب «الفعل»
 والمراد به يحل مشاكل الجيل ومعتقداته .

أَنْ نَكُونَ إِغْرِيقًا وَرُمَانِيْنِ ، وَأَثْرَاكَ وَقَسَاوِسَةً ،
وَمُلُوكًا وَشُهَدَاءَ وَجَلَّادِيْنَ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَرْبِطَ
هَذِهِ الصُّوَرِ ، بِحَقِيْقَةِ مَا فِي تَجَارِيْبِنَا الْخَاصَّةِ ،
وَاخْتِبَارَاتِنَا الْمَكْتُومَةِ الْخَافِيَةِ ، وَإِلَّا لَمَّا فَهَمْنَا مِنْ
التَّارِيخِ شَيْئًا عَلَى أَصُوْلِهِ ، وَلَا فَقِهْنَا مِنْهُ أَمْرًا عَلَى
صَوَابٍ فَهَمِهِ .



إِنَّ كُلَّ مَا وَقَعَ « لِأَزْدُرُوبَالِ وَسِيزَارِ بُورْجِيَا » ،
إِنْ هُوَ إِلَّا تَصْوِيرٌ لِقُوَى الْعَقْلِ وَمَظَاهِرِ عَجْزِهِ ،
كَالَّذِي وَقَعَ لَنَا نَحْنُ سَوَاءٌ ، بِسَوَاءٍ . وَلِكُلِّ قَانُونٍ
جَدِيدٍ ، أَوْ حَرَكَةٍ سِيَاسِيَّةٍ ، مَعْنَاهَا عِنْدَكَ ، وَمَغْزَاهَا
لَدَيْكَ ، وَإِنْ تَقِفْ أَمَامَ جَدَاوِلِهَا وَفَهَارِسِهَا ، فَقُلْ

تَحْتَ هَذَا الْقِنَاعِ تَحَجَّبَتْ طَبِيعَتِي ، وَاخْتَفَتْ وَتَلَشَّثَتْ
بِلِسَانِهَا ، وَهَذَا هُوَ مَا يُعَالِجُ مَا فِيْنَا ، مِنْ قُرْبٍ
شَدِيدٍ فِي أَنْفُسِنَا ، وَانْجِبَاسٍ وَثِيقٍ بِهَا ، بَلْ إِنْ
هَذَا هُوَ مَا يُلْقَى بِأَعْمَالِنَا فِي الْمُخَيَّلَةِ ، كَصُورِ مُجَسِّمَةٍ فِي
الذَّاكِرَةِ ، مُسْتَحْضَرَةٍ بِالْأَخْيَلَةِ ، مُسْتَعَادَةٍ بِالْبَصِيرَةِ ،
وَكَمَا تَفَقَّدَ الْعُقْرَبُ وَالْجُدَى وَالسَّرَطَانُ وَالْمِيزَانُ
مَعَانِيَهَا ؛ مِنْ ثَقُلِهَا كَعَلَامَاتٍ وَمَنَازِلَ فِي مَسَاجِحِ
الْأَفْلَاقِ ، وَدَائِرَةِ الْبُرُوجِ ^(١) ، أَسْتَطِيعُ كَذَلِكَ أَنْ
أُبْصِرَ مَسَاوِيئِي وَشُرُورِي ، وَآثَامِي وَمَعَايِبِي ، فِي
أَشْخَاصِ سُلَيْمَانَ وَالْيَسْتَبَايَدِيسَ ، وَكَاتَالِينَ .



(١) البروج : الأفلاك . جمع برج .

إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْعَامَّةَ ، هِيَ الَّتِي تَرْفَعُ مِنْ قِيَمَةِ الطَّبِيعَةِ
 أَشْخَاصٍ مُعَيَّنِينَ فِي الْحَيَاةِ ، كَمَا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُعْطِي
 الْخَطَرَ وَبَعْدَ الشَّأْنِ ، لِحَوَادِثٍ خَاصَّةٍ بِالذَّاتِ فِي
 الْعَالَمِ ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِاخْتَوَائِهَا عَلَى هَذَا
 الْعُنْصُرِ ، لَغَامِضَةٌ رَهِيْبَةٌ مُبْرَمَةٌ ^(١) لَا تَنْقُضِي وَلَا
 يُعْبَثُ بِهَا ، وَلَا تُنْتَهَكُ حُرُمَاتُهَا ، وَنَحْنُ نُسَوِّرُ
 عَلَيْهَا ، وَنُقِيمُ السِّيَاحَ حَوْلَهَا ، بِمَا نَصْنَعُ مِنْ
 زَوَاجِرَ وَعُقُوبَاتٍ ، وَشَرَائِعَ وَقَوَائِنَ .



وَمِنْ هُنَا : تَسْتَمِدُّ جَمِيعُ الْقَوَائِنِ الْحِكْمَةُ مِنْهَا ، الْقَوَائِنُ
 وَالْغَايَةُ الْقُصْوَى مِنْ اشْتِرَاعِهَا ، وَهِيَ جَمِيعًا تُعَبَّرُ

(١) مبرمة : مضجرة مملّة .

عَنْ نَاحِيَةٍ أَوْ أُخْرَى ، مِنْ سُلْطَانِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ
الرَّفِيعَةِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا وَلَا حَصْرَ . وَإِنَّ الشُّعُورَ
الْبَاطِنِيَّ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَهِيَ الْحِرْصُ عَلَى نِظَامِ
الْحَيَاةِ وَكَيَانِهَا ، هُوَ ضِيَاءُ نَهَارِنَا ، وَمَطْلَبُ مَطَالِبِنَا ،
وَأَكْبَرُ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا ، بَلْ هُوَ الْحُجَّةُ النَّاهِضَةُ ،
الْمُوجِبَةُ لِلْعِلْمِ وَالتَّوْبَةِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ،
وَالصَّدَاقَةِ وَالْحُبِّ ، وَالْمُمْلِيَّةُ عَلَى النُّفُوسِ الْقَوِيَّةِ
السَّامِيَةِ ، الْمُعْتَدَّةُ بِذَاتِهَا ، الْعَظِيمَةُ الثَّقَّةُ بِمَتَانَتِهَا ،
وَصَلَابَةُ أَعْوَادِهَا ، أَعْمَالُ الْبُطُولَةِ وَالْجَسَارَةِ ؛ وَفِعَالُ
الْعَظَمَةِ ، وَالرَّفْعَةِ وَالْمَجْدِ .



إِنَّ التَّارِيخَ الْعَامَّ ، وَأَقْوَالَ الشُّعْرَاءِ وَالْقُصَصِ

استطرد

وَالرُّوَاةِ ، فِي تَصْوِيرَاتِهِمُ الْفَخْمَةَ ، وَتَهَاوِيلِهِمْ ^(١) الْبَارِعَةَ ،
لِلْحَوَادِثِ الْمُخْتَلِفَةِ ، سَوَاءٍ فِي الْمَعَابِدِ ، حَيْثُ يَقُومُ
سُلْطَانُ الدِّينِ ، أَوْ فِي الْقُصُورِ حَيْثُ يَعْلُو سُلْطَانُ
الْمُلُوكِ وَالْأَكَاسِرَةِ ، وَفِي انْتِصَارَاتِ الْإِرَادَةِ
وَالْعَبَقَرِيَّةِ وَالشُّبُوحِ ، عَلَى كُلِّ مَا اعْتَرَضَ طَرِيقَهَا
وَنَاقَاهَا ، وَحَاوَلَ التَّغْلِبَ عَلَيْهَا - إِنَّ هَذَا كُلَّهُ الَّذِي
يُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ بِهِ ، هُوَ الَّذِي يَسْتَهْوِينَا . وَلَا يُشْعِرُنَا
بِأَنَّنَا مُتَطَفِّلُونَ غُرَبَاءُ ، وَلَا يَحْمِلُنَا عَلَى الْإِحْسَاسِ
بِأَنَّهُ مَقْصُودٌ لِّغَيْرِنَا ، وَمَنْ هُمْ أَفْضَلُ مِنَّا ، وَلَكِنْ
يَجْعَلُنَا كَأَنَّنَا شُرَكَاءُ فِيهِ ، وَكَأَنَّمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ عَنَّا ،
وَيُنَوِّهُ بِنَا ، وَإِنَّا لَنَشْتَرِكُ بِكُلِّ عَاطِفَتِنَا ، فِي
أَكْبَرِ حَوَادِثِ التَّارِيخِ ، وَأَرْهَبِ لَحْظَاتِهِ ، وَأَعْظَمِ

(١) التهاويل : الألوان المختلفة ، وزينة التصاویر والنقوش .
التعليق (٧)

مَرَّاحِلِهِ وَفَتَرَاتِهِ ، فِي الْمُكْتَشَفَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَمَوَاقِفِ
الدَّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ النَّادِرَةِ الرَّائِعَةِ ، وَالتَّوْفِيقَاتِ
الْعَجِيبَةِ ، وَحَوَادِثِ الْفَوْزِ الْمُبِينِ ، وَالنَّجَاحِ الْبَاهِرِ ،
لَأَنَّ الْقَانُونَ فِي هَذَا كُلِّهِ قَدْ تَنَفَّذَ ، وَالنَّامُوسَ قَدْ
جَرَى سُلْطَانُهُ ، وَالْبَحْرَ قَدْ كُشِفَتْ سَوَاحِلُهُ ،
وَالْأَوْقِيَانُوسَ قَدْ اهْتَدَى إِلَى ضِفَافِهِ ، وَالْأَرْضَ
الْمُجْهُولَةَ قَدْ عُرِفَتْ ، وَالضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةَ قَدْ ضُرِبَتْ ،
وَالدَّفَاعَ الْبَاسِلَ الْعَظِيمَ قَدْ دُوفِعَ ، وَقَدْ تَمَّ هَذَا ،
وَكَانَنَا كُنَّا حَاضِرِيهِ ، بَلْ جَرَى كَأَنَّهُ كَانَ مِنْ
أَجْلِنَا ، بَلْ لَوْ كُنَّا فِي الْمَوْضِعِ ذَاتِهِ ، وَالْمَوْطِنِ
بِعَيْنِهِ ، لَفَعَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا هَذَا التَّصَرُّفَ
بِعَيْنِهِ ، أَوْ صَفَّقْنَا لَهُ رِضْوَانًا بِهِ وَإِعْجَابًا .

اتجاه
الأدب
في هذا
العالم

نَحْنُ جَمِيعًا نَحْفِلُ^(١) وَنُعْنَى بِعَامِلِ الظُّرُوفِ وَفِعْلِ
الْأَشْخَاصِ ، وَنَتَأَثَّرُ بِالصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ ، وَنُعْجَبُ
بِالظَّرْفِ وَالْمَظْرُوفِ ، وَإِنَّا لَنَمَجِّدُ الْأَغْنِيَاءَ ، لِأَنَّ
لَدَيْهِمْ فِي الظَّاهِرِ أَنْعَمَ^(٢) الْحُرِّيَّةِ ، وَالْقُوَّةِ وَالنُّفُوذِ ،
وَالْمَقْدِرَةِ الَّتِي تَشْعُرُ بِأَنَّهَا حَقٌّ لِلْإِنْسَانِ ، أَوْ
بِالْحُرَى^(٣) حَقٌّ لَنَا ، وَمِنْ شَمَّ كَانَ كُلُّ مَا يَقُولُهُ
الْفَلَسَفَةُ ، سِوَاهُ مِنْهُمْ الرُّوَاقِ^(٤) فِي فَلَسَفَةِ الْيُونَانِ ،
أَوْ الْحَكِيمِ الشَّرْقِيِّ فِي فَلَسَفَةِ الْهِنْدِ وَالْإِسْلَامِ ،
أَوْ الْكَاتِبِ الْعَصْرِيِّ ، وَالْفِيلَسُوفِ الْمُحَدِّثِ فِي

(١) نَحْفِلُ : من باب ضرب : نبالي ونهتم . (٢) أَنْعَمَ الحرية :
جمع نعمة ، وهي ما أعطاه الله العبد مما لا يتسنى لغيره أن يعطيه إياه .
(٣) الحرى : الخلق والجدير (٤) الرواق بيت كالفسطاط —
والرواقيون . تلاميذ زينون الفيلسوف لأنه كان يعلمهم في رواق . وشيعة
من اليهود تقول بالتناسخ .

هَذَا الزَّمَانِ ، فِي تَحْدِيدِ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ ،
 إِنَّمَا يَصِفُونَ بِهِ لِلنَّاسِ أَنْفُسَهُمْ وَيُصَوِّرُونَ أَشْخَاصَهُمْ ،
 بَلْ يَصِفُونَ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، الَّتِي لَمْ تُحَقِّقْ بَعْدُ
 غَايَتَهَا ، وَلَمْ تَبْلُغْ بَعْدُ نِهَايَةَ حُدُودِهَا ، وَلَكِنْ
 فِي الْإِمْكَانِ أَنْ تَبْلُغَهَا . وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ
 تَصِلَ إِلَيْهَا ، وَكُلُّ اتِّجَاهِ الْأَدَبِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ،
 قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَتَجَّهُ نَحْوَ هَذَا الْغَرَضِ ، وَهُوَ تَحْدِيدُ
 صِفَةِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ ، وَتَدْوِينُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَافَرَ
 فِيهِ ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَكْمَلَ لَدَيْهِ ، وَهَذِهِ الْكُتُبُ
 وَالتَّمَاثِيلُ ، وَالذُّمَى ^(١) وَالتَّصَاوِيرُ ، إِنَّ هِيَ إِلَّا الصُّورُ
 الَّتِي يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجِدَ فِيهَا مَعَالِمَ الْإِنْسَانِ

(١) الذُّمَى : جمع دُمية : وهى الصورة من العاج ونحوه

الْمَطْلُوبِ مِنْهُ أَنْ يَكُونَهُ ، وَالْفَرْدِ الَّذِي يَصِحُّ أَنْ
يَرْسِمَ نَفْسَهُ عَلَى غِرَارِهِ ^(١) .

*
* *

وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ وَالشَّابِّ ، وَالْمُتَطَلِّعِ إِلَى
وَأَجِبِ الطَّالِبِ
مَكَانٍ بَارِزٍ لَهُ فِي الْجُمَاعَةِ ، وَمَوْضِعٍ ظَاهِرٍ لَهُ فِي
الْعَالَمِ ، أَنْ يَقْرَأَ التَّارِيخَ قِرَاءَةً عَمَلِيَّةً ، لَا قِرَاءَةً
سَلْبِيَّةً ، قِرَاءَةً تَطْبِيقٍ وَإِجَابٍ ، لَا قِرَاءَةً مَعْرِفَةً
فَاتِرَةً ^(٢) ، وَجُمُودٍ وَمُجَرَّدٍ نَظَرٍ ، قِرَاءَةً شَخْصٍ يَعْتَبَرُ
حَيَاتَهُ هِيَ مَادَّةَ التَّارِيخِ نَفْسِهِ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الْكُتُبَ
الَّتِي يَقْرَؤُهَا ، إِنَّمَا هِيَ التَّعْلِيقَاتُ عَلَيْهَا وَالشُّرُوحُ
وَالْتَّعْقِيبَاتُ ^(٣) .

(١) غراره : بكسر أوله : مثاله وطريقته .

(٢) الفاتر : الضعيف ، والمراد المعرفة غير الثابتة . (٣) التعقيبات :
استدراك ما فيها من أخطاء .

إِنَّ قِرَاءَةَ التَّارِيخِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْإِيجَابِيّ ،
 مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَجْعَلَ رُوحَ التَّارِيخِ تَسْكُبُ فِي
 أَسْمَاعِنَا ، مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَفْصَحُ الْخُطْبَاءِ أَنْ يُسْمِعَنَا
 مِنْ فَوْقِ ذُرَا الْمَنَابِرِ ، وَيُلْقِيَ عَلَيْنَا مَا لَا مَثِيلَ
 لَهُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَسِحْرِ التَّرْغِيبِ
 فِي الْبُطُولَةِ وَالْخُضِّ عَلَى عِظَائِمِ الْفِعَالِ .

وَلَيْسَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْرَأُ التَّارِيخَ عَلَى صِحَّةٍ ،
 وَيُطَالِعُهُ عَلَى صَوَابٍ ، أَوْ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطَالَعَ ،
 مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا كَانَ فِي الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ ، مِنْ
 أَعْمَالِ أَفْرَادٍ دَوَى ذِكْرِهِمْ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُمْ ، لَا يُشَبِّهُ
 مَا هُوَ الْيَوْمَ صَانِعٌ وَلَا يُقَارَنُ بِمَا هُوَ الْيَوْمَ

مُحَاوِلٌ ، وَأَنَّ الْحَاضِرَ هِيَ هَاتِ أَنْ يَبْلُغَ مَا بَلَغَهُ
الْمَاضِي بِأَحْدَاثِهِ ^(١) وَعَظَائِمِهِ .



ثقافة
العالم
للغرد

إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يُوَجَدْ إِلَّا لِتَرْبِيَةِ كُلِّ فَرْدٍ
وَتَهْدِيَةِ ، وَتَعْلِيمِهِ وَتَأْدِيَةِ ، فَمَا مِنْ عَصْرِ وَلَا
جِيلٍ ، وَلَا حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمُجْتَمَعِ ، فِي سَالِفِ
الزَّمَنِ وَمَاضِيهِ ، وَمَا مِنْ وَجْهِ مِنْ وُجُوهِ الْعَمَلِ ،
وَلَا حَادِثٍ مِنْ الْحَوَادِثِ الْمُدَوَّنَةِ فِي التَّارِيخِ ،
إِلَّا وَاجِدَةٌ مُقَابِلَهَا أَوْ شَبِيهَا وَنَظِيرَهَا ، فِي حَيَاةِ
الْإِنْسَانِ الْيَوْمَ وَحَاضِرِهِ ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّمَا
يَخْتَرِلُ نَفْسَهُ ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بِخُلَاصَةٍ فَضِيلَتِهِ ،

(١) جمع حدث . وهو الأمر الخطير .

وَصُورَةَ مَزَايَاهُ ، وَحِكْمَتِهِ ، فَلَيْسَ عَلَى الْفَرْدِ إِلَّا أَنْ
يُؤْمِنَ بِأَنَّ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَعِيشَ مَدَى التَّارِيخِ كُلِّهِ
فِي دَائِرَةِ حَيَاتِهِ ، وَيُطَبِّقَ التَّارِيخَ بِجُمْلَتِهِ عَلَى أَفْقِهِ
الْمَحْدُودِ فِي ذَاتِهِ ، لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَجْلِسَ فِي
دَارِهِ فَيَفْتَحَ كُتُبَ التَّارِيخِ ، غَيْرَ حَافِلٍ بِقِصَصِ
الْمُلُوكِ وَالْأَفْيَالِ^(١) ، وَالسَّلَاطِينِ وَالذَّهَاقِينِ^(٢) وَلَا عَابِيَّ
بِتَوَارِيخِ الدُّوَلِ وَالْمَمَالِكِ ، وَالْإِمْبِرَاطُورِيَّاتِ الْفِسَاحِ
الْأَرْجَاءِ ، وَلَا نَاضِرٍ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُتَضَائِلًا مُنزَوِيًا ،
مُسْتَصْغِرًا شَأْنَهُ بِالنِّسْبَةِ لِشَأْنِهِمْ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ
يُدْرِكَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ الْجُغْرَافِيَا ، وَمِنْ كُلِّ
حُكُومَاتِ الْعَالَمِ فِي التَّارِيخِ وَدَوْلِهِ ، وَأَنْ يَنْقُلَ

(١) جمع قَيْل . وهم ملوك حمير وقيل الرئيس دون الملك .

(٢) الذَّهَاقِين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحي العجم ورئيس الافليم .

وَجِهَةَ النَّظَرِ ، الَّتِي يُطَالَعُ^(١) النَّاسَ مِنْهَا التَّارِيخُ
عَادَةً مِنْ رُومَةٍ ، وَأَتَيْنَا وَلَنَدَنَّ إِلَى نَفْسِهِ هُوَ ،
وَرَأْيِهِ وَحُكْمِهِ وَوَجِهَةَ نَظَرِهِ .

وَلَا يُنْكَرَنَّ عَلَى نَفْسِهِ حَقُّهُ كَقَاضٍ ، وَالْعَالَمُ
بِمَاضِيهِ كُلِّهِ مُحْتَكِمٌ إِلَيْهِ بَلْ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَذَا الْحَقِّ
كُلَّ الْإِيمَانِ . وَإِذَا كَانَ عِنْدَ انْجِلْتِرَا ، أَوْ عِنْدَ
مَضَرِّ الْقَدِيمَةِ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ ، فَسَوْفَ يَنْظُرُ
فِيهِ ، وَيُرَاجِعُ الْقَضِيَّةَ بِسَبِيلِهِ ، وَيَحْكُمُ بِرَأْيِهِ فِيمَا
تَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فَلَتَسْكُتَ ، وَلَتَلْتَزِمَ الصَّمْتَ
أَمَامَهُ ، لِيُدْلِيَ بِحُكْمِهِ فِي الْقَضِيَّةِ وَقَرَارِهِ .

✱

✱ ✱

لَقَدْ قَالَ نَابُولِيُونُ : « مَا هُوَ التَّارِيخُ ؟ لَعَمْرُكُمْ »
نابليون والتاريخ

(١) يطالع : يكشف عنها

إِنَّ هُوَ إِلَّا خُرَافَةٌ اصْطُلِحَ عَلَيْهَا « وَفِي الْوَاقِعِ أَنَّ
 حَيَاتِنَا هَذِهِ لَتَحْفُ^(١) بِهَا مِصْرُ وَالْيُونَانُ وَالْغَالُ ،
 وَانْجَلَّتِ الرَّحْبُ وَالْحَرْبُ وَالِاسْتِعْمَارُ ، وَالْكَنِيسَةُ وَالْقَضَاءُ
 وَالتَّجَارَةُ . كَمَا تَحْفُ عَدِيدُ الْأَزَاهِرِ وَمُخْتَلَفُ
 الزِّيِّنَاتِ ، يَبْنِي رَهِيْبٌ وَمُفْرِحٌ ، وَحَزِينٌ وَسَارٍ ،
 وَقَاتِمٌ وَأَزْهَرٌ ، وَمُجَلَّلٌ^(٢) وَفَاتِحُ الْأَلْوَانِ ، وَلَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ لَهَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا الْحِسَابِ عِنْدِي ،
 وَلَا أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الْمِقْدَارِ ، لِأَنِّي أَوْ مِنْ بِالْأَبَدِيَّةِ ،
 وَفِي إِمْكَانِي أَنْ أَجِدَ الْيُونَانَ وَآسِيَا ، وَإِطَالِيَا
 وَأَسْبَانِيَا وَالْجُزْرَ ، بَلْ فِي وَسْعِي أَنْ أَجِدَ رُوحَ كُلِّ
 مِنْهَا وَعَمَقَرِيَّتَهُ وَنَوَازِعَ^(٣) نَمُوهِ ، وَمَبَادِي تَطَوُّرَاتِهِ ،

(١) لتحف بها مصر الخ : أى تحيط بها . من باب نصر .

(١) المجلل : ذو الجلل ، وهو الياسمين ، والورد أحمره وأبيضه وأصفره .

(٢) نوازع : جمع نازعة : وهى العوامل ذات الأثر فى مبدأ الحياة والتكوين

بَلْ فِي مَيْسُورِي أَنْ أَجِدَ رُوحَ الْعُصُورِ جَمِيعًا
وَحَوَافِزَهَا وَدَوَافِعَهَا ، فِي أَعْمَاقِ خَاطِرِي نَفْسِهِ وَلُبِّ
مَشَاعِرِي ، وَأَغْوَارِ^(١) عَقْلِي وَإِدْرَاكِ ، وَنَحْنُ فِي الْوَاقِعِ
نَلْمَسُ دَائِمًا كُلَّ حَقَائِقِ التَّارِيخِ فِي تَجَارِينَا الْخَاصَّةِ
وَمُشَاهَدَاتِنَا ، حَتَّى لَا وَجُودَ لِلتَّارِيخِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ
لِلْكَلِمَةِ وَإِنَّمَا تُوْجَدُ الْيُوجَرَفِيَا أَيْ التَّرَاجِمُ وَسِيرُ
الْعُظَمَاءِ ، أَوْ حَيَاةُ الْفَرْدِ فَحَسْبُ . فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ
أَمْرٍ أَنْ يَعْرِفَ الدَّرْسَ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ ، وَيُدْرِكَ
الْعِبْرَةَ بِجُمْلَتِهَا لِدَاتِهِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُعَايِنَ الْأَرْضَ ،
وَيَتَفَقَّدهَا وَحْدَهُ ، وَيُفْتَشِّهَا وَيَنْقَبِهَا^(٢) بِمُفْرَدِهِ ،
فَمَا لَا يَرَاهُ وَمَا لَا يَتَحَقَّقُهُ لَا يَقْرَهُ وَلَا يُبَالِيهِ^(٣) .

(١) أغوار : جمع غور : وهو القاع من كل شيء وداخله ، والمراد
بواطن العقل ، وقوى إدراكه . (٢) التنقيب : البحث والتفتيش
(٣) أي يبالي به ، حذف الجار فاقصل الضمير .



كيف
ننظر الى
التاريخ

يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى التَّارِيخِ عَلَى هَذَا الْإِعْتِبَارِ ،
وَالَا فَلَا مَعْنَى لِلتَّارِيخِ وَلَا وُجُودَ ، إِنَّ كُلَّ قَانُونٍ
تَضَعُهُ الدَّوْلَةُ يُشِيرُ إِلَى حَقِيقَةٍ فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ،
فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُبْصِرَ فِي أَنْفُسِنَا مَنْطِقَ كُلِّ حَقِيقَةٍ ،
وَبَاعِثَهَا وَضَرُورَتَهَا . بَلْ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَقِفَ
حِيَالَ كُلِّ جِيلٍ ، وَقُبَالَةَ (١) كُلِّ عَمَلٍ ، وَإِزاءَ كُلِّ
حَادِثٍ ، سِوَاهُ أَكَانَتْ خُطْبَةً مِنْ خَطِيبٍ كَبِيرٍ أَمْ
اِتِّصَارَةً مِنْ اِتِّصَارَاتِ « نَابُولِيُون » ، أَمْ تَضَحِيَّةً
مِنْ تَضَحِيَّاتِ الشُّهَدَاءِ ، كَسِيرِ ثَوَمَاسْ مُورْ ،
أَوْ م . سِدْنِي ، أَوْ م . رُوبِنْصُونْ ، بَلْ سِوَاهُ أَكَانَ

(١) قبالة : أى تجاه

ذَلِكَ أَمَامَ ثَوْرَةِ فَرَنْسِيَّةٍ ، أَمَ حُكْمِ إِرْهَابٍ ، أَمَ
إِعْدَامِ سَحَرَةٍ ، أَمَ اضْطِهَادِ دِينِي . وَلَيْكِنِ اعْتِقَادُنَا
إِزَاءَ كُلِّ هَذَا وَنَظَائِرِهِ أَنَّنَا لَوْ كُنَّا تَحْتَ التَّأْثِيرِ
ذَاتِهِ ، لَتَأَثَّرْنَا تَأَثَّرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَتَصَرَّفْنَا كَمَا
تَصَرَّفُوا ، وَفَعَلْنَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلُوا ، بَلْ لِنَجْعَلَ
غَرَضَنَا ، أَنْ نَقْتَفِي الْأَثَرَ ذَاتَهُ . فَإِمَّا أَنْ نَبْلُغَ
الشَّأَوَ الرَّفِيعَ الَّذِي بَلَّغُوا ، أَوْ نَهْوِيَ إِلَى الدَّرَكِ الَّذِي
هَوَوْا إِلَيْهِ .



إِنَّ كُلَّ بَحْثٍ فِي التَّارِيخِ ، أَوْ كُلِّ فُضُولٍ ^{كشفت}
لَا سِتْطِلَاعٍ سِرِّ الْأَهْرَامِ ، وَكَشَفِ دَفَائِنِ الْآثَارِ ، ^{ما خباها}
وَحَفْرِ الْحَفَائِرِ ، هُوَ الرَّغْبَةُ فِي مَحْوِ لَفْظَةٍ « هُنَاكَ » ^{التاريخ}

وَكَلِمَةٍ « حِينَ ذَاكَ » وَاسْتَبْدَاهِمَا بِلَفْظَتِي « هُنَا ،
وَالآن » وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ الْأَثَرِيِّينَ لَيَحْفَرُونَ الْأَرْضَ ،
وَيَتَفَحَّصُونَ أَهْرَامَ طَبِيعَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكُوا نِهَايَةَ الْفَرْقِ
بَيْنَ ذَلِكَ الْعَمَلِ الرَّهِيْبِ ، الْمُخِيفِ الضَّخْمِ الْعَظِيمِ ،
وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ الْحَاضِرِ ، أَوْ بَيْنَ الْقُدَمَاءِ وَبَيْنَ
أَنْفُسِهِمْ هُمْ ، وَبَنَى عَصْرَهُمْ وَجِيلَهُمْ . وَيَوْمَ يَقْتَسِعُ
الْعَالَمُ الْأَثَرِيَّ عَامَّةً وَتَفْصِيلاً ، وَاجْمَالاً وَتَحْدِيداً ،
أَنَّ ذَلِكَ الْأَثَرَ أَوْ الْهَيْكَلَ ، أَوْ الْبِنَاءَ أَوْ التَّشَالَ ،
إِنَّمَا صَنَعَهُ فُلَانٌ فِي الْعَصْرِ الْفُلَانِيِّ ، وَهُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُهُ ،
كَانَ لَهُ نَفْسٌ أَسْلِحَتُهُ وَوَسَائِلُهُ ، وَفِي نَفْسِهِ ذَاتٌ
دَوَافِعِهِ ، وَبِدَاعَتِهِ ^(١) وَحَوَافِزِهِ .

(١) البداعة : ما كان مخترعاً على غير مثال سابق .

وَاللِّغَايَةَ بِعَيْنِهَا ، الَّتِي كَانَ هُوَ كَذَلِكَ مُحَاوِلًا
 الْعَمَلَ لَهَا ، وَالسَّعَى فِي تَحْقِيقِهَا ، وَالْمُضَى نَحْوَهَا ،
 نَعَمْ . يَوْمَ يَقْتَنِعُ الْإِنْسَانُ الْحَاضِرُ بِهَذَا كُلِّهِ ، وَيُؤْمِنُ
 بِهِ ، فَقَدْ انْحَلَّتِ الْمَشْكَلَةُ ، وَأَصْبَحَ وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ
 فِي التَّارِيخِ كُلِّهِ ، وَتَتَّصِلُ حَيَاتُهُ بِكُلِّ الْمَعَابِدِ
 فِيهِ ، وَاهْلِيَا كُلِّ وَالتَّمَاثِيلِ وَالتَّهَاوِيلِ ، وَالْأَصْنَامِ
 وَالْأَوْتَانِ ، وَيَمُرُّ بِهَا جَمِيعًا ، وَيَخْتَرِقُهَا اخْتِرَاقًا ،
 بَلْ كَأَنَّهَا هِيَ الْأُخْرَى حَيَّةٌ عَالِشَةٌ قَائِمَةٌ فِي
 الْخَاطِرِ ، مَاثِلَةٌ الْآنَ مُثُولًا .



إِنَّ كُلَّ الْفَرْقِ بَيْنَ بَعْضِ النَّاسِ وَبَعْضٍ ، أَوْ
 بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْأُمَمِ وَالْجَمَاعَاتِ ، هُوَ مِنْ حَيْثُ

التفاوت
في النظر

الْمُبْدَأُ ، الَّذِي يَتَّبِعُونَهُ فِي نَظَرِهِمْ إِلَى الْأَشْيَاءِ
 وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا ، فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ يُمَيِّزُونَ الْأَشْيَاءَ
 حَسَبَ أَلْوَانِهَا وَحُجُومِهَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ
 ظَوَاهِرِهَا وَسُطُوحِهَا ، وَمِنْهُمْ آخَرُونَ يَفَرِّقُونَ بَيْنَهَا
 بِحَسَبِ قِيَمِهَا الْجَوْهَرِيَّةِ ، وَأَقْدَارِهَا فِي ذَاتِهَا ، أَوْ
 مِنْ حَيْثُ صَلَتْهَا بِالْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ ، وَلَيْسَ نُمُوُّ
 الذَّهْنِ ، وَلَا تَقَدُّمُ الْعَقْلِ ، إِلَّا وَلِيدَ النَّظَرِ إِلَى
 الْعِلَلِ ، وَالتَّغْلُغِ ^(١) إِلَى الْأَسْبَابِ ، بَغْضِ الْبَصَرِ
 عَنِ الْفُرُوقِ السَّطَحِيَّةِ ، وَالْخَوَاصِّ الظَّاهِرَةِ ، وَفِي
 عَيْنِ الشَّاعِرِ ، وَالْفَيْلَسُوفِ ، وَالْعَالِمِ الدِّينِيِّ ، كُلُّ
 الْأَشْيَاءِ تَلُوْحٌ مُحِبَّةٌ مُقَدَّسَةٌ ، وَكُلُّ الْحَوَادِثِ تَبْدُو

(١) التغلغل في الشيء : الدخول فيه على تعب ومشقة .

نَافِعَةٌ صَالِحَةٌ . وَكُلُّ الْأَيَّامِ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَةٌ ، وَكُلُّ
 الْخَلْقِ وَالنَّاسِ أَطْهَارًا بَرَّةً أَخْيَارًا ، لِأَنَّ الْعَيْنَ إِنَّمَا
 تَسْتَقِرُّ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَلَا تَعْبَأُ بِالظُّرُوفِ . وَإِنَّ كُلَّ
 مَادَّةٍ كِيمَاءِيَّةٍ ، وَكُلِّ نَبَاتٍ ، وَكُلِّ حَيَوَانٍ فِي سَيْرِ
 نُمُوِّهِ ، إِنَّمَا يُعَامِنَا وَحْدَةَ الْعِلَّةِ ، وَاخْتِلَافَ الظَّوَاهِرِ
 وَأَسْطِحَةِ الْأَشْيَاءِ ، فَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ فِي مُحِيطٍ تَكْتَنِفُهُ
 الطَّبِيعَةُ الْخَلْقَةُ فِي مُخْتَلَفِ مَظَاهِرِهَا ، فَلِمَ إِذَا ؟
 وَآيَةُ ضَرُورَةٍ تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَكُونَ الْأَغْيَاءَ
 الْحَقِّقِيَّةَ ^(١) ، فَنُعْظَمَ أَشْكَالًا مُعَيَّنَةً ، وَنُجَسِّمَ وَنُضَخِّمَ
 أَشْيَاءَ بِالذَّاتِ دُونَ سِوَاهَا . وَلِمَ إِذَا نَحْسِبُ حِسَابًا
 لِلشَّكْلِ وَالْهَيْئَةِ ، وَالْمَظْهَرِ وَالصُّورَةِ ، مَعَ أَنَّ

(١) الحققي : جمع أحقق وهو قليل العقل ، أو من لا عقل له .
 التعليق (٨)

النَّفْسُ لَا تَعْرِفُ هَذِهِ الْفُرُوقَ ، وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ
يَلْهُو بِهَا لَهْوُ الْوَلِيدِ بِلَحِيَّةِ الشَّيْخِ ، بَلْ إِنَّ الْعَقْلَ
السَّلِيمَ ، لَيَدْرُسُ الْفِكْرَةَ السَّبِيَّةَ ، وَيَكْشِفُ مِنْ
صَمِيمِ الْأَشْيَاءِ وَجُوفَهَا ، الْأَشْعَةَ وَالْخُيُوطَ الْمُنْبَعَثَةَ
مِنْ كُلِّ قُرْصٍ ، الْمُنْبَثِقَةَ مِنْ كُلِّ فَلَكَ وَمَدَارِهِ ،
وَالَّتِي تَنْعَكِسُ وَتَتَوَزَّعُ^(١) ، وَتَتَشَعَّبُ كُلَّمَا سَقَطَتْ ،
كَأَنَّمَا وَقَعَتْ عَلَى أَقْطَارِ دَوَائِرٍ لَا حَدَّ لَهَا وَلَا حَصْرَ ،
وَإِنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ لَيُرَاقِبُ تَطَوُّرَاتِهِ وَرِحَالَاتِهِ
عَبْرَ^(٢) الزَّمَانِ فِي مُخْتَلَفِ أَلْتِمَتِهِ^(٣) وَقُنْعِهِ ، وَعَدِيدِ

(١) تتوزع : تتفرق . (٢) عبر الزمان : مصدر استعمل ظرفا

لاضافته إليه ، أى مدة قطع الزمان (٣) أَلْتِمَتُهُ : جمع لثام ، وقنعه جمع
قناع : واللثام ، ما كان على الفم من النقاب ، والقناع : ما تقنع به المرأة رأسها
أى تغطى . والمراد غواشى الزمان وحجب الحوادث .

مُسْتَعْشَاهُ وَمُسْتَحْفَاهُ ، وَهُوَ يَدْرُسُ أَفَاعِيلَ الطَّبِيعَةِ
وَأَطْوَارَهَا الْمُتَعَاقِبَةَ . وَهُوَ — أَيْ الْعَقْلُ السَّلِيمُ —
لَيْسَتْشِفٌ^(١) مِنْ غِلَالِ الذَّبَابَةِ ، وَالذُّودَةِ وَالْعَلَقَةِ
وَالْبَيْضَةِ ، الْفَرْدَ الدَّائِمَ لَا انْقِطَاعَ لِتَوَلِّدِهِ ، وَقَفْسِهِ
وَأَنْبِعَاثِهِ وَظُهُورِهِ ، كَمَا يَسْتَشِفُّ مِنَ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ
لَا عِدَادَ لَهُمْ ، التَّوَعَّ الْمُعَيَّنَ وَالْفَضِيلَةَ الثَّابِتَةَ ،
وَالْجِنْسَ الْمَحْدُودَ ، كَمَا يَسْتَشِفُّ مِنْ خِلَالِ النَّوْعِ
وَالْفَضِيلَةَ وَالْجِنْسَ ، الْأَصْلَ وَالْبِدَايَةَ ، وَمِنْ خِلَالِ
سَائِرِ عَوَالِمِ الْحَيَاةِ الْمُنْتَظِمَةِ . الْوَحْدَةَ الْأَبَدِيَّةَ ،

✱

✱ ✱

وَأِنَّ الطَّبِيعَةَ كَالسَّحَابَةِ الْمُتَقَلِّبَةِ الْخَوَلِ^(٢) الْمُتَغَيِّرَةِ

تطور
الطبيعة

(١) يستشف الخ : ينظر ما وراءه ويتبينه . وغلال الذبابة : الأغشية
الرفيعة التي تغطي جسمها . (٢) كثيرة التحول .

لَا تَتَشَابَهَ يَوْمًا ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا تَسْتَقِرُّ
 عَلَى شَأْنٍ ، وَإِنَّمَا تَصُبُّ الْفِكْرَةَ الْوَاحِدَةَ فِي عَدَدٍ
 عَدِيدٍ مِنَ الْأَشْكَالِ ، كَمَا يَصْطَنِعُ الشَّاعِرُ بِمَغْزَى
 وَاحِدٍ عِشْرِينَ نَادِرَةً وَنَادِرَةً ، وَهَذَا هُوَ بِالذَّاتِ
 مَا يُشَاهَدُ فِي التَّارِيخِ ، وَيَتِمَثَّلُ فِيهِ ، فَعَلَى الظَّاهِرِ
 مِنْهُ تَبَايُنٌ لَا حَدَّ لَهُ ، وَلَكِنْ فِي جَوْهَرِهِ وَمَرْكَزِهِ
 وَلُبَّابِهِ ، تَبْدُو بَسَاطَةُ السَّبَبِيَّةِ بِكُلِّ مَعَانِيهَا ، فَكَمْ
 مِنْ أَعْمَالٍ وَفِعَالٍ لِلْإِنْسَانِ ، تَنْجَلِي خِلَالَهَا عَلَى تَنَوُّعِهَا
 الظَّاهِرِ ، شَخْصِيَّتُهُ الْوَاحِدَةُ ، وَخَلِيقَتُهُ ذَاتَهَا ؟



إِلَيْكَ مَثَلُ الْعَبْقَرِيَّةِ الْإِعْرَاقِيَّةِ ، فَلَدَيْنَا لِذَلِكَ
 الشَّعْبِ التَّارِيخُ الْمَدَنِي ، نَسْتَقِيهِ مِنْ رِوَايَاتِ

العبقريّة
الاعراقية

هَيْرُودُونَ ، وَيُيُوسُودِيدَ ، وَزَيْنُوفُدَنَ ، وَفُلُوطَارْفِسَ .
 فَإِنَّ ذَلِكَ وَحْدَهُ كَافٍ لِنَعْرِفَ مِنْهُ ، أَيْ شَعْبٍ كَانَ
 أَوَّلُكَ الْإِغْرِيقُ ؟ وَآيَ فِعَالٍ فَعَلُوا ؟ ثُمَّ لَدَيْنَا فِي
 الْوَقْتِ ذَاتِهِ تَارِيخُهُمُ الْأَدَبِيُّ ، كَمَا يَبْدُو فِي مُطَوَّلَاتِ
 أَشْعَارِهِمْ ، وَمَلَاحِمِ^(١) قَصَائِدِهِمْ ، وَغِنَائِيَّ أَيْيَاتِهِمْ ،
 وَمَسْرَحِيَّاتِهِمْ^(٢) وَفَلَسَفَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَيْضًا يَكْشِفُ لَنَا
 الْعَقْلِيَّةَ ذَاتَهَا ، وَالصِّفَاتِ وَالْمَزَايَا الْقَوْمِيَّةَ بَعِيْنَهَا ،
 فِي شَكْلِ تَامٍّ ، وَنَاحِيَّةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، وَقَالَ بِ مُنْفَرِدٍ
 مُكْتَمَلٍ ، وَلَا يَزَالُ يَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ فِي نَاحِيَّةٍ
 أُخْرَى مِنْ حَضَارَتِهِمْ ، وَهِيَ نَاحِيَّةُ الْعِمَارَةِ ، أَوْ
 فَنِّ الْبِنَاءِ ، فَإِنَّ هُنَا جَمَالًا يُوحِي إِلَى النَّفْسِ فِكْرَةَ

(١) ملاحم : جمع ملحمة ، والمراد بها منظوماتهم في ذكر الملاحم والوقائع
 العظيمة ، كالإيالة والأودسا . (٢) مسرحياتهم : الروايات التي تمثل
 على المسرح .

الِإِعْتِدَالِ ، وَالبَسَاطَةِ الْمُنْحَصِرَةِ فِي الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَالشَّكْلِ الْمُرَبَّعِ ، وَبِجَانِبِ هَذَا نَاحِيَةٌ رَابِعَةٌ ،
تَتَجَلَّى فِيهَا تِلْكَ الْعُقْلِيَّةُ بِالذَّاتِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَ
الشَّكْلُ ، وَتَبَايَنَ الْمَظْهَرُ ، وَهِيَ نَاحِيَةُ النَّحْتِ ،
وَصِنَاعَةُ التَّمَاثِيلِ ، فَإِنَّ البَسَاطَةَ الطَّبِيعِيَّةَ بَادِيَةٌ
عَلَيْهَا ، حَتَّى أَنَّهَُا لَوْ أُعْطِيتْ لِسَانًا لَنَطَقَتْ .



وَهَكَذَا تَجَدُّ أَنَّ لَدَيْنَا بِسَبِيلِ مَظَاهِرِ عِبْقَرِيَّةِ
شَعْبٍ وَاحِدٍ ، أَرْبَعَةٌ وَجُوهٌ تُصَوِّرُهَا مِنْ جِهَاتِهَا ،
فِي أَشْكَالٍ وَقَوَالِبَ ، وَصِيغٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ
مِنْ حَيْثُ الْفِكْرَةُ ، وَالْمُنْبَعْتُ وَالْمَنْزَعُ وَالْمُتَّجِهُ
فِي الْجَمِيعِ ، وَهَذَا هُوَ مَا يُثَبِتُ ذَهَابَنَا إِلَى أَنَّ

مظاهر
العبقريّة

الطَّيِّعَةُ هِيَ دَائِمًا تَكَرَّرُ لِبِضْعَةٍ نَوَامِيسَ ، وَتَرْدِيدُ
لِمَجْمُوعَةِ قَوَانِينِ ، كَأَنَّمَا تُغْنِي الْوَفَا مِنْ الْأَلْحَانِ ،
بِبِضْعَةِ أَنْعَامٍ ، وَهِيَ أَبَدًا مَلَأَى بِوُجُوهِ لَا عَدَّ
لَهَا ، مِنْ التَّشَابُهِ وَالتَّمَاثُلِ فِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ عَمَلِهَا ،
وَكَأَنَّمَا يَلِذُّ لَهَا أَنْ تُقَاصِنَا بِالشَّيْءِ الْوَاحِدِ مُكَرَّرًا
تَكَرَّرًا خَفِيًّا مِنْ نَاحِيَةٍ لَمْ تَكُنْ مُتَوَقَّعَةً ، وَأَمْرٌ
لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ ^(١) .



أصلية
تاريخ
الفرد

إِنَّ التَّارِيخَ الْاجْتِمَاعِيَّ ، وَالتَّارِيخَ الطَّيِّعِيَّ ، بَلْ
تَارِيخَ الْفُنُونِ وَالْآدَابِ ، كُلُّ أُولَئِكَ يَنْبَغِي أَنْ
تُشْرَحَ وَتُفَسَّرَ مِنْ نَاحِيَةِ التَّارِيخِ الْفَرْدِيِّ ، أَيْ

(١) الحسبان : بكسر الحاء ، الظن .

تَارِيخِ الْإِنْسَانِ كَفَرْدٍ ، وَإِلَّا ظَلَّ التَّارِيخُ مُجَرَّدَ
 كَلَامٍ وَأَلْفَافٍ ، إِذْ لَا شَيْءَ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ
 مُنْتَسِبٌ إِلَيْنَا ، مُتَّصِلٌ بِنَا ، وَجَمِيعُ أَصُولِ الْأَشْيَاءِ
 هِيَ فِي الْإِنْسَانِ . وَمَا الْقَصِيدَةُ الصَّادِقَةُ إِلَّا
 عَقْلُ الشَّاعِرِ الَّذِي وَصَفَهَا ، وَالسَّفِينَةُ الْكَامِلَةُ فِي
 مَعْنَى السَّفِينِ ^(١) إِلَّا مَظْهَرُ رُوحِ الْبِنَاءِ الَّذِي صَنَعَهَا ،
 وَنَفْسِيَّتِهِ وَتَكْوِينِ عَقْلِهِ ، وَنِظَامِ خَاطِرِهِ . وَلَوْ اسْتَطَعْنَا
 أَنْ نُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ وَنُعَرِّيَهُ وَنُبْدِيَهُ خَالِصًا عَلَى حَقِيقَتِهِ ،
 لَرَأَيْنَا فِيهِ ، أَوْ فِي أَعْمَاقِ فِكْرِهِ وَعَقْلِهِ ، وَشُعُورِهِ
 وَحِسِّهِ ، أَثَرَ الْبَاعِثِ لَهُ عَلَى تَشْكِيلِ عَمَلِهِ ، فِي الشَّكْلِ
 الْمُعَيَّنِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ ، وَإِفْرَاجِهِ فِي الْقَالْبِ الْأَخِيرِ الَّذِي

(١) السَّفِينُ : صُنْعُ السَّفِينَةِ . —

صَبَّ فِيهِ . كَمَا أَنَّ كُلَّ فَقَّارٍ^(١) أَوْ لَوْنٍ فِي الصَّدْفَةِ
 أَوْ الْمَحَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ ، كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مَوْجُودَةً فِي
 الْأَعْضَاءِ الْمُفْرَزَةِ ، الَّتِي تَكُونَتْ فِي السَّمَكَةِ ، بَلْ إِنَّ
 كُلَّ تَارِيخِ الْفُرُوسِيَّةِ فِي الْعَالَمِ ، وَعُصُورِ الشَّهَامَةِ
 وَالنَّجْدَةِ ، مُتَمَثِّلٌ فِي آدَبِ التَّحِيَّةِ وَاللِّيَاقَةِ^(٢) ، الَّتِي
 اصْطَلَحْنَا نَحْنُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤَدَّبَ الْيَوْمَ ،
 لَيَنْطِقُ بِاسْمِكَ فِي كُلِّ الْإِحْتِرَامِ وَالتَّجْمِيلِ وَالتَّحْلِيلَةِ ،
 الَّتِي كَانَتْ فِي وَسْعِ آدَابِ الْفُرُوسِيَّةِ فِي الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ
 أَنْ تُضَيَّفَهَا إِلَيْهِ ، وَتَجْعَلَهَا تَذْيِيلًا لَهُ .

وَلَوْ رَدَدْنَا جَمِيعَ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ وَالْحَقَائِقِ
 إِلَى هَذَا الْمَرَدِّ ، وَأَرْجَعْنَاهَا مِنْ عُمُومِيَّتِهَا إِلَى مُنْبَعِهَا

(١) الْفَقَّارُ : مَا تَضُدُّ مِنْ عِظَامِ الصَّلْبِ مِنْ لَدُنِ الْكَاهِلِ إِلَى الْعَجَبِ ، وَهُوَ
 خِرَزَاتُ الظَّهْرِ ، وَاحِدُهُ فَقَّارَةٌ (٢) عَمَلٌ مَا يَلِيْقُ مِنَ التَّقَالِيدِ الْمِصْطَلَحِ عَلَيْهَا

الأصلي في الفرد ، لأصبح التاريخ بذلك صحيحاً صادقاً
وأضحت البيوجرافيا — أى ترجمة حياة الفرد —
رائعة عميقة جليلة القدر .



وَنَحْنُ نَعَجِبُ عَادَةً لِاحْتِفَالِ النَّاسِ ، بِدِرَاسَةِ
تَارِيخِ الإِغْرِيقِ ، وَتَفْضِيلِ اسْتِذْكَارِهِ عَلَى سِوَاهُ ،
وَنَتَسَاءَلُ عَنْ سِرِّ هَذِهِ الْعِنَايَةِ الْخَاصَّةِ بِالْحَضَارَةِ
الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، مِنْ حَيْثُ آدَابُهَا وَفُنُونُهَا ، وَفِي
كُلِّ مَرَاكِزِهَا وَأَدْوَارِهَا . مِنْ عَصْرِ الْبُطُولَةِ أَوْ الْعَصْرِ
الْهُوَيْدِيِّ ، إِلَى الْحَيَاةِ الْوَادِعَةِ الْمُنَزِّلِيَّةِ السَّاجِيَةِ^(١)

الحضارة
اليونانية
القديمة

فِي أَثِينَا وَإِسْبَارْطَةَ ، بَعْدَ ذَلِكَ الْعَصْرِ الْبُطُولِيَّ
بَارْبَعَةَ أَوْ خَمْسَةَ قُرُونٍ ؟

وَلَكِنَّ سِرَّ ذَلِكَ وَبَاعِثُهُ ، هُوَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ
مِنَّا ، يَمُرُّ شَخْصِيًّا فِي نَفْسِ ذَلِكَ التَّارِيخِ ، وَيَقْطَعُهُ
بِشُعُورِهِ قَطْعًا ، وَيَخْتَرِفُهُ بِجِسِّهِ وَنُزُوعِهِ الْفِطْرِيِّ
اخْتِرَاقًا ، فَقَدْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ الْإِغْرِيقِيَّةُ هِيَ عَهْدَ الطَّبِيعَةِ
الْبَدَنِيَّةِ ، عَهْدَ اسْتِكْمَالِ الْخَوَاسِ ، عَهْدَ امْتِزَاجِ
النَّفْسِ وَالْبَدَنِ فِي وَحْدَةٍ وَثِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي الْحَيَاةِ
الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَجَدْتَ تِلْكَ الْأَشْكَالَ الْإِنْسَانِيَّةَ ،
الَّتِي أَمَدَّتِ الْمَثَالَ بِنَمَاذِجِ هِرَقْلٍ ، وَغَيْرِهِ مِنْ غَرَائِبِ
الدُّمِيِّ ، وَبَدَائِعِ التِّمَاطِيلِ .

لَقَدْ كَانَتْ آدَابُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، آدَابُ

الْبَسَاطَةِ وَالْعِزَّةِ مُجْتَمِعَتَيْنِ ، وَكَانَ الْإِحْتِرَامُ الْعَامُّ هُوَ
لِلصِّفَاتِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَالْمُزَايَا الْفَرْدِيَّةِ ، مِنْ شَجَاعَةٍ
وَبَسَالَةٍ وَأَدَبٍ خِطَابٍ ، وَضَبْطِ نَفْسٍ ، وَعَدْلٍ ،
وَشِدَّةِ بَأْسٍ ، وَخِفَّةٍ ، وَسُرْعَةٍ ، وَجَهَارَةٍ صَوْتٍ ،
وَعَرَاضَةٍ صَدْرٍ ، وَمَنَاقِبَ وَأَكْتَفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ
التَّرَفُّ مَعْرُوفًا ، وَلَا الطَّرَاوَةُ^(١) فِي الْأَخْلَاقِ .



إِنَّ تَفَرُّقَ السُّكَّانِ أَشْتَاتًا ، وَدَافِعَ الْحَاجَةِ
وَالضَّرُورَةِ ، هُمَا اللَّذَانِ يَجْعَلَانِ كُلَّ فَرْدٍ فِي الْمُجْتَمَعِ
خَادِمَ نَفْسِهِ وَطَاهِيَهَا ، وَجَزَّارَهَا وَبَدَّالَهَا ، وَجُنْدِيَهَا
وَمُحَارِبَهَا ، وَإِنَّ كِفَالََةَ الْفَرْدِ حَاجَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، هِيَ

الاعتماد
على
النفس

(١) طراوة الأخلاق : قربها من أخلاق النساء لفرط لينها .

الَّتِي تُرَبِّيهِ ، وَتَشْدُ بَدَنَهُ ، وَتُعِينُهُ عَلَى آدَاءِ أَكْبَرِ
 الْفِعَالِ ، وَتُغْرِيه بِعِظَائِمِ الْأُمُورِ - وَكَذَلِكَ كَانَ
 النَّاسُ كَمَا وَصَفَهُمْ « هُومِيْرُوسُ » بَلْ كَذَلِكَ كَانَتْ
 الصُّورَةُ الَّتِي صَوَّرَ « زِينْفُونُ » بِهَا نَفْسَهُ وَمُوَاطِنِهِ
 فِي وَصْفِهِ هَزِيمَةَ الْأُلُوفِ الْعَشْرَةِ إِذْ يَقُولُ :
 بَعْدَ أَنْ جَاَزَ الْجَيْشُ نَهْرَ « تَنِيْبُوسَ » فِي أَرْمِينِيَا ،
 سَقَطَ الْجَلِيدُ ، فَاضْطُرَّ الْجُنْدُ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى أَدِيمِ
 الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْإِغْيَاءِ ^(١) ، وَجَعَلَ الْجَلِيدُ يُعْطِطُهُمْ
 بِرُكَامِهِ ^(٢) ، وَكَتَلَ جَلَامِيدَهُ الشَّلْجِيَّةَ وَزَمْهَرِيرَهُ ^(٣) ،
 وَلَكِنْ زِينُوفُونُ ، نَهَضَ عَارِيًّا فَتَنَاوَلَ فَأْسًا ، وَرَاحَ
 يَقْطَعُ بِهِ خَشَبًا لِيَسْتَدْفِيَ بِالْوَقُودِ ، فَلَمْ يَكْدُ يَفْعَلُ ،

(١) الاعْيَاءُ : التعب (٢) الرُّكَامُ : السحاب المتراكم .

(٣) الزمهرير : شدة البرد

حَتَّى اسْتَوَى ^(١) الْجُنُودُ جَمِيعًا عَلَى سُوقِهِمْ ، وَرَاحُوا
يَحْتَدُونَ حَذْوَهُ وَيَفْعَلُونَ فِعْلَهُ .



وَهُوَ يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَ التَّرْخُصُ ^(٢) لِأَفْرَادِ الْجَيْشِ
فِي الْكَلَامِ مَعًا وَالْحَوَارِ وَحُرِّيَّةِ الْحَدِيثِ ، وَكَيْفَ
كَانُوا يَشْتَجِرُونَ ^(٣) عَلَى الْأَسْلَابِ ؟ وَيَتَحَاوَرُونَ فِي
أَمْرِ الْغَنَائِمِ ، وَيَتَشَادُونَ مَعَ قَوَادِمِهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ
يُصْدِرُونَهُ ، أَوْ تَعَالِيمٍ يُلْقُونَهَا عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي
لَا يَرَى فِي جَمْعٍ كَهَذَا ، مَظْهَرَ عُصْبَةٍ مِنَ الْفِئَةِ
وَالشَّبَابِ ، لَا مَظْهَرَ جَيْشٍ مِنْ الْجِيُوشِ ، كَمُلِ

الجيش
وحرية
الرأى

(١) استوا على سوقهم : نهضوا قائمين جمع ساق (٢) الترخص :
الاذن والسماح (٣) يشتجرون ويتشاجرون : يتنازعون ويتخالفون ،
والأسلاب ، الغنائم

شأنهم للطبيعة في غير تكلف ، والفطرة في غير
اصطناع لهم من قوانين الفضيلة والشرف ، وتعاليم
الضبط والربط ، ومضطلحات القيادة على ترائخه
وتسهله ، ما للشبان الكبار عادة ، والفتيان
في الحياة .



إن إعجابنا بالقديم ليس إعجاباً بالقدم في ذاته ،
ولكنه الإعجاب بالطبيعة وسلامة الفطرة ، ولم
يكن اليونان القدماء كبار الأذهان ، ولا أقوياء في
التفكير ، ولكنهم كانوا كاملين في الحواس ،
وفي المشاعر ، وفي الصحة . وقد أقاموا أبدع نظام
رياضي في العالم ، وكانت الرجال فيهم يعملون

نظرة
في القديم

وَيَتَصَرَّفُونَ فِي بَسَاطَةِ مَسَلِكِ الْأَطْفَالِ ، وَجَمَالِ
حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، فَاصْطَنَعُوا الْأَوَانِي وَالْقَصَصَ
الْمُسْرَحِيَّ ، وَالتَّمَاثِيلَ بِرُوحٍ وَاحِدٍ ، رُوحِ الْخَوَاسِّ
السَّالِمَةِ ، وَالذَّوْقِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، جَامِعِينَ فِي ذَلِكَ
كُلَّهُ ، يَبْنِي نَشَاطِ الرُّجُولَةِ ، وَبَرَاءَةَ الطُّفُولَةِ وَخَاطِرِ
الْحَدَاثَةِ وَالشَّبَابِ .

وَمَا وَجْهُ الْإِعْجَابِ بِهَذِهِ الْأَدَابِ ، إِلَّا لِأَنَّهَا
أَوْثَقُ شَيْءٍ اتِّصَالًا بِالْإِنْسَانِ ، وَلِأَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ مِنْ
كُلِّ إِنْسَانٍ ، لِكَوْنِهِ كَانَ فِيهَا مَضَى مِنَ الْعُمُرِ
طِفْلًا ، وَكَانَ فِيهَا سَبَقُ الرَّجُلَةِ ^(١) حَدَثًا ، فَضْلًا
عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ عَصْرُهُ مِنَ الْعُصُورِ مِنْ أَفْرَادٍ

(١) الرجلة : بفتح الراء ويكسر ، اسم من الرجل .

انْحَازُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ بِخَوَاصِّ مُعَيَّنَةٍ ، وَمَزَايَا مُتَّفَرِّدَةٍ ،
لَمْ تَكُنْ لِسَائِرِ النَّاسِ .

وَلَكِنَّ كُلَّ فَرْدٍ الْيَوْمَ ، أَوْ فِي هَذِهِ الْعُقَلِيَّةِ
الطُّفُولِيَّةِ ، أَوْ هَذِهِ الْعَبَقَرِيَّةِ الْحَدِثَةِ ، وَتِلْكَ
الْقُوَّةُ الْفِطْرِيَّةِ ، وَالنَّشَاطُ الْمُنْبَعِثُ فِيهِ ، مِنْ سَلَامَةِ
الطَّبِيعَةِ هُوَ يُؤَنَانِي ، يُعِيدُ إِلَيْنَا حَضَارَةَ الْيُونَانِ .



عَلَى ضِيَاءِ هَاتَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ إِذَنْ ، وَهُمَا أَنَّ الْعَقْلَ
الَّذِي يُسِيرُ الْعَالَمَ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى الْيَوْمِ وَاحِدٌ ،
أَوْ أَنَّ الْفَرْدَ فِي الْوَاقِعِ هُوَ الْمَحْوَرُ وَالْمَدَارُ لِأَحْدَاثِ
الدُّنْيَا وَشُؤُونِهَا ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ الْمَوْصُولَةُ بِهِ ،
وَالْمُظْهِرَةُ لَهُ ، وَالْمُعَدَّةُ لِمَظَاهِرِهِ ، وَالْمُنْشِئَةُ لِكَثْرَةِ

كيف
تدرس
التاريخ؟

صَيْغِهِ وَقَوْلِهِ — عَلَى ضِيَاءِ هَاتَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ يَنْبَغِي
أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةُ التَّارِيخِ — وَيَجِبُ أَنْ تَسِيرَ عَلَى
هُدَاهُمَا دِرَاسَتُهُ .

بَلْ هَكَذَا تَرْتَكِزُ الرُّوحُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، فِي جَمِيعِ
أَشْكَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَتُخْرِجُ كُنُوزَهَا وَخَبَائِهَا ،
وَدَفَائِنَهَا لِكُلِّ طَالِبٍ وَبَحَّاثَةٍ ، وَمُطَّلِعٍ وَمُنْقِبٍ ،
لِأَنَّهُ هُوَ كَذَلِكَ سَيَمُرُّ خِلَالَ الدَّائِرَةِ ذَاتِهَا ، وَيَجْرِبُ
التَّجَرُّبَةَ نَفْسَهَا . وَسَيَجْمَعُ فِي مَرْكَزٍ وَاحِدٍ سَائِرَ أَشْعَةِ
الطَّبِيعَةِ ، وَخُيُوطَهَا الْمُتَشَعِّبَةِ ، وَيَوْمَئِذٍ لَنْ يُصْبِحَ
التَّارِيخُ كَمَا هُوَ الْيَوْمَ ، كِتَابًا سَقِيمًا مُمَلًّا مَمْجُوجًا^(١) .

(١) ممجوج : مكروه تمجه الأسماع وتقذفه وهو مجاز ، من مج الشراب

أى رمى به

بَلْ يَسْتَحِيلُ مُجَسِّمًا ، مَا ثَلَا بَارِزًا ، فِي كُلِّ رَجُلٍ عَاقِلٍ ،
وَأِنْسَانٍ حَكِيمٍ ، وَامْرِئٍ عَادِلٍ ، وَأَنْتَ فَلَنْ تُحَدِّثَنِي
يَوْمَئِذٍ بِاللُّغَاتِ وَالْعَنَاوِينَ وَالْقَوَائِمِ وَالْفَهَارِسِ ،
عَمَّا قَرَأْتَ فِي الْكُتُبِ ، وَطَالَعْتَ فِي التَّوَارِيخِ ،
وَلَكِنَّكَ سَوْفَ تُشْعِرُنِي يَوْمَئِذٍ ، أَيَّ عُهُودِ الزَّمَنِ
عِشْتَ ؟ وَأَيَّ أَجْيَالِ الدَّهْرِ اجْتَرْتَ ؟ وَخِلَالَ أَيِّ
الْحَقَبِ وَالْقُرُونِ مَرَرْتَ فِي طَرِيقِكَ ، وَسَيُصْبِحُ
الْإِنْسَانُ هُوَ مَعْبَدَ الشُّهُرَةِ ، وَهَيْكَلُ^(١) الْمَجْدِ ،
وَسَيَمْشِي كَمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ . تِلْكَ الْإِلَآهَةُ ، فِي رِدَاءِ
انْتَقَشَتْ عَلَيْهِ صُورُ أَغْرَبِ الْأَحْدَاثِ ، وَارْتَسَمَتْ
عَلَى أَدِيمِهِ^(٢) رُسُومُ أَعْجَبِ التَّجَارِيِبِ وَالِاخْتِبَارَاتِ ،

(١) بناؤه وصورته (٢) سطحه الظاهري

وَسَوْفَ يَجِدُ فِيهِ الْعَالَمَ فِي نَشْأَةِ خَلِيقَتِهِ ، وَالْعَصْرَ
 الذَّهَبِيَّ فِي طُفُولَتِهِ ، وَتَقَاحَةَ الْمَعْرِفَةِ فِي آدَمِيَّتِهِ ،
 وَالطُّوفَانَ فِي رِحْلَتِهِ الْبَحْرِيَّةِ وَسِيَاحَتِهِ ، وَدِينَ إِبْرَاهِيمَ ،
 وَبَنَاءَ الْكَعْبَةِ ، وَظُهُورَ الْمَسِيحِ ، وَبِعْثَةَ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ .
 وَالْقُرُونِ الْوُسْطَى ، وَإِحْيَاءَ الْعُلُومِ ، وَالْكَشْفَ
 الْجُغْرَافِيَّ وَاخْتِرَاعَاتِ الْعُلُومِ .



ذَلِكَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَكْتُبَ فِيهِ
 التَّارِيخَ أَحْسَنَ وَأَوْسَعَ وَأَعَمَّقَ مِمَّا كَتَبْنَاهُ ، يَوْمَ
 نَكْتُبُهُ بِرُوحٍ جَدِيدٍ ، وَضَمِيرٍ أَسْلَمَ ، وَحَسٍّ أَقْوَى
 وَأَصَحَّ ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ أَصْدَقَ تَعْبِيرًا عَنْ
 طَبِيعَتِنَا ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنَّا إِلَى مُخْتَرَعَاتِ

متى
نكتب
التاريخ؟

التَّهْوِيلِ وَالْخِيَالِ ، بَدَلًا مِنْ هَذَا التَّارِيخِ الْعَتِيقِ
الَّذِي لَيْسَ إِلَّا سَجِلًا لِسِلْسِلَةِ حَوَادِثِ الْأَنَانِيَةِ ،
وَفِعَالِ الْأَثَرَةِ ، وَمَظَاهِرِ الْكِبْرِيَاءِ .

وَالآنَ رُبَّمَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَصَوَّبِ لَكَ وَلَنَا ،
وَاللِّعْلَمِ وَالْأَدَبِ ، وَلِلتَّارِيخِ وَالْمَنْطِقِ ، أَنْ نَسْتَقْرِيَّ
سَوِيًّا ، بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ التَّمْهِيدِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ،
مَا نَرَاهُ مِنْ صُورٍ عَنِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي شَتَّى
عُصُورِهَا ، شَيْئًا عَنْ فُنُونِ الْقِرَاءَةِ ، وَالْكِتَابِ ،
وَالثَّقَافَةِ ، لِمَا لَهَا مِنْ كَبِيرِ صِلَةٍ بِمَوْضُوعِنَا فَنَقُولُ :

مِنْ أَعْجَبِ الْفُرُوقِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَتَنَاقُضِ
الْقِيَمِ ، وَقِلَّةِ التَّنَاسُبِ فِي الْأَقْدَارِ ، وَالسُّخْرِيَّةِ

حظ
الكتب

اخْفِيَةً فِي تَفَاوُتِ الْأَخْطَارِ^(١) ، وَتَبَايُنِ الْأَسْعَارِ ،
 أَنَّ الْكُتُبَ لَا تَزَالُ تُعَانِي فِي الْحِظِّ التَّعَسِّ وَالْعِثَارِ ،
 وَتُقَاسَى هَوَانَ الْقِيَمَةِ وَالصَّغَارِ^(٢) ، فَهِيَ وَاللَّهِ ، عَلَى
 مَا يُزْعَمُ لَهَا مِنَ الذُّيُوعِ ، وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا مِنْ
 سَعَةِ الْإِنْتِشَارِ ، غَيْرُ وَاحِدَةٍ الْيَوْمَ قِيَمَتِهَا ، وَلَا
 مُصِيبَةٌ صَحِيحَ قَدْرِهَا ، وَلَا تَزَالُ قِيَمَتُهَا فِي الْأَسْوَاقِ
 غَيْرَ مُتَعَادِلَةٍ ، وَشَأْنُهَا فِي ذَاتِهَا ، وَسِعْرُهَا فِي الْمَكَاتِبِ
 غَيْرَ مُتَكَافٍ وَسِعْرُهَا الرُّوحِي ، فِي حِكْمَةِ وَجُودِهَا ،
 وَمَعْنَوِيَّةِ حَيَاتِهَا ، وَمَهْمَا بَلَغَ الْكِتَابُ الصَّالِحُ فِي
 السُّوقِ رِفْعَةً ثَمَنٍ ، وَجَوْدَةً سِعْرِ ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
 مُتَخَلِّفٌ^(٣) فِي قَوَائِمِ السَّلْعِ ، حَائِزٌ مُتَرَدِّدٌ فِي تَسْعِيرَاتِ

(١) الأخطار كالأقدار وزناً ومعنى (٢) الهوان (٣) متأخر

الْعُرُوضِ ، وَلَمْ تُفِدِ الْكُتُبُ فِي الْوَاقِعِ شَيْئًا بِهَذَا
 الَّذِي دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مَدْخَلَ الْحُضَارَةِ ، مِنْ رَوَاجِ
 الطَّبْعِ وَانْتِشَارِهِ ، وَمَا سَمَّوْهُ بِالْأَدَبِ الرَّخِيسِ لِتَمْوِينِ
 الْكَافَّةِ ^(١) ، وَتَغْذِيَةِ الْجُمْهُورِ ^(٢) ، فَإِنَّ أَقْلَ ثَوْبٍ مِمَّا
 تَصْنَعُ مَيُوتُ الْأَزْيَاءِ ، وَأَبْسَطُ غِلَالَةٍ مِمَّا تَبْتَكِرُ
 أَفَانِينَ الْحَاكَةِ ^(٣) ، وَإِنَّ زُجَاجَةَ الشَّرَابِ ، أَوْ آيَةَ
 الْعِطْرِ ، أَوْ طُرْفَةَ النَّضْدِ ^(٤) ، أَوْ حِلْيَةَ الْمُشْكَ ،
 أَوْ مِنْدِيلَ الزَّيْنَةِ ، أَوْ جَوْرَبَ الدَّلِّ ^(٥) وَالْخَفْرِ ،
 لَتَسْمُو فِي السَّعْرِ فَوْقَ الْكِتَابِ ، كَأَنَّمَا كَانَ ،
 وَتَعْلُو فِي الْقِيَمَةِ الْمَادِّيَّةِ عَلَى السَّفْرِ ، وَقَدْ يَكُونُ

(١) عامة الناس (٢) الجمهرة : معظم الناس (٣) جمع حائك : النسيج
 (٤) النضد : محرقة : ما نضد من المتاع ، أو خياره (٥) الدل : التيه
 والدلال ، والخفر : شدة الحياء

مِنْ نَوَادِرِ أَسْفَارِ الزَّمَانِ . وَمَا نَشَرَ الْأَدَبُ الرَّخِصُ
 فِي الْغَرْبِ كُتُبًا ، وَلَكِنَّهُ رَوَّجَ أَشْبَاهَ الْكُتُبِ
 وَإِنْ حَطَّ مِنْ أَسْعَارِهَا ، حَتَّى لَمْ تَعُدْ كُتُبًا ،
 وَلَكِنْ وَرَقًا مَطْبُوعًا ، وَحَلَالًا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ
 يَرُوحَ مَمْنُوعًا ، وَبَقِيَتْ أُمّهَاتُ الْكُتُبِ مِنْ قِلَّةِ
 التَّعَهُّدِ جِياعًا ، يَنْمَ أَوْلَادُهَا الصَّغَارُ . فِي رَتْعٍ ^(١)
 وَاسْتِيقَ ، وَنَفَاقٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَرَوَّاجٍ وَتَلَاقٍ .
 وَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا أَفَادَ الْكُتَّابُ وَإِنْ نَبَغُوا ، وَلَا
 رَبِحَ الْمُؤَلِّفُونَ وَإِنْ طَالَتْ شُهُرَتُهُمْ فِي عَالَمِ
 التَّوَالِيفِ ، وَإِنَّ الرَّابِحِينَ فِي الْحَقِّ مِنْهُمْ ، لَأَقَلُّ فِي
 ذَلِكَ مِنْ سِوَاهُمْ ، وَدُونَ غَيْرِهِمْ فِي غَيْرِ الْكُتُبِ

(١) مَرَحٌ وَمَسَابَقَةٌ : وَذَلِكَ كُنْيَاةٌ عَنِ الرَّوَّاجِ وَالذَّبَّاعِ

وَسُوقِهَا ، وَإِنَّ التَّاجِرَ فِي سِلْعَةٍ مِنْ السِّلَعِ ، إِذَا
 نَفَقَتْ ^(١) سِلْعَتُهُ لَا كَسْبُ مِنْ أَعْجَدِ كَاتِبٍ ،
 وَأَجْزَلُ رِبْحًا مِنْ أَنْبَغِ مُؤَلِّفٍ ، لِأَنَّ الْكُتُبَ
 لَا تَزَالُ كَمَا لَا يَجَانِبُ الْحَاجَّةُ ، وَفَضْلًا إِلَى جَانِبِ
 الْعَيْشِ وَمَطَالِبِهِ ، وَمَهْمَا قِيلَ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ عَرَفُوا
 لِلْكِتَابِ قَدْرَهَا ، وَأَقْبَلُوا مَعَ انْتِشَارِ الْعِرْفَانِ
 وَالنُّورِ عَلَى اقْتِنَائِهَا وَإِثَارِهَا ، فَهِيَ لَمَّا تَبْلُغُ فِي
 التَّقْدِيرِ الصَّحِيحِ مَحَلَّهَا ، وَلَمْ يَنْتَصِفْ فِي بَابِ
 الْمُسَاوَمَةِ مَهْرُهَا ، وَلَمَّا يُرَاعَ فِي سِعْرِهَا سِعْرُ الْجُهْدِ
 وَالْأَلَمِ فِي إِخْرَاجِهَا وَإِظْهَارِهَا ، وَمَا نَحْسَبُ النَّاسَ
 يَحْسِبُونَ ذَوْبَ النَّفْسِ الْمُحْتَرَقَةِ فِي أَسْطَارِهَا ،

وَعُصَارَةَ الْحَيَاةِ الْمُنْبَثَّةِ^(١) فِي تَضَاعِيفِهَا وَأَشْطَارِهَا ،
وَأِنَّمَا هُمْ يَنْسَوْنَ ذَلِكَ كُلَّهُ ، غَيْرَ ذَاكِرِينَ إِلَّا أَنَّ
فِي أَيْدِيهِمْ كُتُبًا هُمْ الْحُكَّامُ فِي إِقْدَارِهَا ، بِسِعْرِ
الْأَسْوَاقِ ، لَا بِسِعْرِ النُّفُوسِ ، وَبِشَمَنِ الْأَوْرَاقِ ،
لَا بِشَمَنِ الْمُهْجِ وَاحْتِرَاقِ الرُّؤُوسِ ، وَلَا مُقَدَّرِينَ
ضِرَامَ تِلْكَ الْأَذْهَانِ ، الَّتِي اسْتَنْفَدَتْ قُوَاهَا فِي
رُوحَانِيَّةِ^(٢) الْكِتَابِ ، وَأَلْقَتْ خُلَاصَتَهَا وَمِزَاجَهَا
فِي ثَنَايَا الْفُصُولِ مِنْهَا وَالْأَبْوَابِ .

وَقَدْ انْتَشَرَ كُلُّ شَيْءٍ فِي مَدَنِيَّتِنَا الْحَدِيثَةِ ،
أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْتَشَرَ ، إِلَّا الْكُتُبُ ،
فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ دُونَ حَقِّهَا شُهْرَةً ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهَا قَدْ

(١) المنبثة : المنتشرة المتفرقة . (٢) أى أسرارها وعناصره

أَصَابَتْ كِفَاءَهَا^(١) ، وَلَقِيتُ جَزَاءَهَا ، وَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا
عَلَيْهَا أَيْمًا إِقْبَالٍ ، وَكَادَتْ فِي ذَلِكَ تَبْلُغُ حُدُودَ
الْكَمَالِ .



وَلَقَدْ شَكَرَ رَجُلٌ مِنْ خَيْرَةِ الْكُتَّابِ الْمُحَدِّثِينَ ^{أوغسطين}
فِي انْجِلِيتْرَا ، وَهُوَ « سِيرُ أَوْغُسْطِينِ بِيرِيل »
وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَارِفِينَ بِأَقْدَارِ الْكُتُبِ -
مِنْ كِسَادِ^(٢) أَسْوَاقِهَا فِي بِلَادِهِ ، وَتَدَهُّورِ حُظُوظِهَا ،
عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ ذُبُوعِهَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَفَرَطِ
انْتِشَارِهَا ، وَإِنَّهُ لَيَرِثِي لِهَذَا وَيَحْزَنُ لَهُ ، وَيَقُولُ
فِيهِ : إِنَّ النَّاسَ لَا يَشْعُرُونَ بِوُجُودِهِمْ ، لِقَلَّةِ كُتُبِهِمْ ،

(١) الكفاء : حالة يكون بها شيء مساويا لشيء آخر (٢) بوارها

وَأَنَّ مَنْ يَمْلِكُ كُتُبَهُ ، هُوَ فِي الْوَاقِعِ مِلْكٌ لِكُتُبِهِ ،
لِأَنَّ الْكُتُبَ تَمْلِكُ كَمَا تَمْلِكُ ، وَتَسْتَحْذُ^(١) عَلَى
مُقْتَنِيهَا اسْتِحْوَاذَهُ هُوَ عَلَيْهَا ، وَمَا ضَعُفَ سُلْطَانُهَا ،
إِلَّا لِأَنَّ النَّاسَ آثَرُوا أَنَّ يَكُونُوا أَحْرَارًا ، وَإِنْ
ظَلُّوا مِنْ خِيفَةِ تَمْلِكِ الْكُتُبِ لَهُمْ جُهْلَاءُ .



وَقَدْ رَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ ، قِلَّةَ انْتِشَارِ الْكُتُبِ
الصَّالِحَةِ ، وَكَسَادَ الْأَسْفَارِ الْقِيَمَةِ ، إِلَى فَوْضَى الْقِرَاءَةِ ،
وَهِيَ حَقِيقَةٌ^(٢) أَنَّ تَكُونَ فَنًّا ، وَأَنْ تَكُونَ التَّغْذِيَّةُ
النَّفْسِيَّةُ بِهَا عَلَى نِظَامٍ حَسَنٍ ، خَوْفَ الْبُطْنَةِ^(٣) ،
أَوْ خَشْيَةِ الْهَزَالِ الرُّوحِيِّ ، وَالْمَسْغَبَةِ^(٤) النَّفْسِيَّةِ ،

فوضى
القراءة

(١) تستحوذ : تستولى وتغلب (٢) خليقة وجديرة (٣) مرض
البطن من كثرة الأكل والمراد كلال الذهن وإتاعبه (٤) الجوع

وَلَكَيْلًا يَسْتَحِيلَ الْمَرْءُ نَهْمًا أَوْ كَوْلًا ، مُلْتَمِهًا طَعُومًا ،
وَيُضْحِي « أَوْ مُنِيفُورَ » - كَمَا يَقُولُونَ - يَأْكُلُ
كُلَّ شَيْءٍ ، وَيَلْتَمِهِمْ كُلَّ طُعْمَةٍ ، وَيَتَغَدَّى بِكُلِّ
صِنْفٍ وَلَوْنٍ ، فَيَفْسُدُ مَذَاقُهُ ، وَتَعَطَّلُ مَلَكَتُهُ
اخْتِيَارُهُ . وَقَدِيمًا قَالَ أَحَدُ الْفَلَاسِفَةِ : إِذَا قَرَأْتَ
فَلَا تَقْرَأْ لِتُعَارِضَ وَتَسْخَرَ ، وَتَسْتَزِرِّي^(١) مَا أَنْتَ
قَارِئٌ . وَلَا تَقْرَأْ لِتَنْتَقِدَ فِي غَيْرِ بَحْثٍ ، وَتُسَلِّمَ
بِغَيْرِ دَرَسٍ ، وَتُفَرِّطَ فِي ذِهْنِكَ فِي غَيْرِ حِرْصٍ .
وَلَا تَقْرَأْ لِتَلْهُوَ وَتُحَدِّثَ ، أَوْ تَسْتَدْفِي وَتَتَشَمَّسَ .
وَلَكِنْ اجْعَلْ قِرَاءَتَكَ لِتَزِنَ وَتُفَكِّرَ ، وَتَتَرَوَّأَ^(٢)

(١) تستهزئ به (٢) رَوَّأَ في الأمر تروئة وترويثاً : نظر فيه
وتأمل وتفكر وتعقبه ، ولم يجعل بجواب ومنه الروبة في الأمر .

وَتَتَدَبَّرَ ، وَتَتَقَصَّى وَتَنْظُرُ ، وَتَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيْثُمَا
يَنْبَغِي أَنْ يُوضَعَ ، وَتَحُلُّهُ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يُحُلَّ .



وَقَدْ قَالَ « يَكُونُ » : مِنَ الْكُتُبِ مَا يَسْتَحِقُّ يَكُونُ
وَالْكِتَابُ
فَقَطُّ أَنْ يُذَاقَ ، وَيَذُوقَهَا مَا هُوَ أَوْلَى بِأَنْ يُزْدَرَدَ
وَيُلْتَهَمَ ، وَلَكِنَّ أَجَاوِيدَهَا وَكِرَامَتَهَا ، وَأَحْسِنَهَا
وَأَخْيَارَهَا ، مَا يُجْتَرُّ وَيُطْحَنُ وَيُضْرَسُ ^(١) بِالْأَنْيَابِ ،
لِيُهْضَمَ وَيُنْتَفَعَ بِهِ ، بَلْ مِنَ الْكُتُبِ مَا يَنْبَغِي
أَنْ يُقْرَأَ تَجْزِئَةً ، أَوْ يُؤْخَذَ مِنْهُ قَدْرُ الْجُرْعِ ،
وَيُتَنَاوَلَ مِنْهُ بَعْضُ النَّهْلِ ^(٢) ، وَمِنْهَا مَا يُتَصَفَّحُ

(١) يضرس : يطحن ويفرى (٢) النهل : الرى

تَصَفْحًا ، وَيُنْظَرُ فِيهِ مُجَرَّدَ نَظَرٍ ، وَيَمُرُّ بِهِ كَرِيمٌ
 مَرٌّ ، وَيَيْنَهَا مَا يُسْتَوْعَبُ اسْتِيعَابًا ، وَيَسْتَوْجِبُ
 الْعِنَايَةَ اسْتِيجَابًا ، وَيَقْتَضِي إِنْعَامَ النَّظَرِ فِيهِ جَيِّتَةً
 وَذَهَابًا ، وَمِنْ الْكُتُبِ أَيْضًا ، مَا يُقْرَأُ بِالْوَسَاطَةِ ،
 وَيُطَالَعُ بِالمُسَاعَدَةِ ، وَيُنْظَرُ فِيهِ بِالدَّلِيلِ الْهَادِي ،
 وَيُدْرَسُ بِالشُّذُورِ مِنْهُ وَالْقُطُوفِ ، وَالشُّرُوحِ لَهُ
 وَالتَّفَاسِيرِ ، وَالتَّعْلِيلِ لَهُ وَالتَّدْلِيلِ ، وَيَيْنَهَا الْكُتُبُ
 « الْمُقَطَّرَةُ » وَهِيَ أَشْبَهُ بِالمَاءِ الْمُرْشَّحِ الْمُقْطُورِ ،
 مُنْعَدِمَةٌ الطَّعْمِ خَلِيَّةٌ مِنَ الْمَذَاقِ ، لَا تَنْقَعُ غُلَّةً ،
 وَلَا تُرَوَّى ظَمًا ، وَلَا تَشْفِي مِنْ أَوَامٍ ^(١) .

وَلْتَعَمَنَّ أَنَّ الْقِرَاءَةَ تَخْلُقُ الْمَرْءَ الْكَامِلَ ، عَلَى

(١) الأوام : بالضم حرارة العطش

حِينَ يَخْلُقُ الْحَدِيثُ الْمَرَّةَ الْمُسْتَعِدَّ الْمُجَهَّزَ الْمُهَيَّأً ،
 كَمَا تَخْلُقُ الْكِتَابَةُ الْمَرَّةَ الْمُسْتَوْفَى التَّامَّ الدَّقِيقَ ،
 وَمِنْ ثَمَّ ؛ فَمَنْ يَكْتُبُ قَلِيلاً ، يَحْتَجُّ إِلَى سَعَةِ
 الْحَافِظَةِ ، وَقُوَّةِ الذَّاكِرَةِ ، وَمَنْ يُقِلُّ فِي الْحَدِيثِ ،
 يَحْتَجُّ إِلَى حُضُورِ الْبَدِيهَةِ ، وَعَفْوِ^(١) الْخَاطِرِ ، وَمَنْ
 يَقْرَأُ هَوْنًا مَا^(٢) ، فَمَا لَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَكْرِ
 غَنَى ، لَكِنِّي يُجِيدُ التَّظَاهَرَ بِالْعِلْمِ ، وَيُحَسِّنُ التَّرَائِي
 بِكَثْرَةِ الْمَعْرِفَةِ .



وَقَدْ وَصَفَ « يَكُونُ » الْكُتُبَ وَخَوَاصَّهَا ،
 وَمَزَايَا أَنْوَاعِهَا ، فَقَالَ : إِنَّ كُتُبَ التَّارِيخِ تُوسِّعُ

(١) ما يرد على الخاطر عفواً كأنه الوحي أو الإلهام (٢) قليلاً

الْمَدَارِكُ ، وَتَعَلَّمُ النَّاسَ الْحِكْمَةَ ، وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ،
وَدَوَّلِينَ الشَّعْرَ تَصْقُلُ الذِّكَاءَ ، وَتُحْدِثُ^(١) الْقَرَائِحَ ،
وَتُرْهِفُ الْخَاطِرَ . وَكُتِبَ الْفَلَسَفَةِ ، تَجْعَلُ قُرَاءَهَا
بَعِيدِي^(٢) الْغُورِ ، مَنَاطِقَةَ إِخْوَانٍ وَقَارٍ وَرَزَانَةٍ ،
وَقُوَّةَ عَارِضَةٍ وَذَكَوَّةٍ ، وَشِدَّةَ مِرَاسٍ فِي فُنُونِ الْجَدَلِ
وَالْحِجَابِ^(٣) . وَمَا مِنْ عِلَّةٍ فِي الْعَقْلِ إِلَّا وَجَدَتْ
فِي الْكُتُبِ أَشَافِيهَا^(٤) ، وَأَدْوِيَتَهَا ، كَمَا تَكُونُ الْوَصَفَاتُ
لِأَمْرَاضِ الْجُسُومِ وَعِلَلِ الْأَبْدَانِ .

وَالْقِرَاءَةُ — عَمَرَ كُمْ اللَّهُ — رِيَاضَةٌ نَفْسِيَّةٌ وَعِلَاجٌ
عَقْلِيٌّ وَمُتَعَةٌ رُوحِيَّةٌ ، تَسْتَجِمُّ^(٥) بِهَا الْأَذْهَانُ ، وَتَعْتَذِرُ

(١) تشجدها ، من الحدة (٢) عميق التفكير في القضايا مقدمات
ونتائج (٣) الحاجة والمناظرة (٤) علاجها (٥) تستجمع قوتها
وترتاح من جمت البئر إذا اجتمع ماؤها

مِنْهَا الْمَشَاعِرُ وَالْوُجْدَانُ ، وَتُنْفَى بِهَا الْوَحْشَةُ ، وَتُعَالَجُ
بِهَا السَّامَةُ ، وَتُشْتَرَى بِهَا سَكِينَةُ الرُّوحِ ، وَتُسْتَمَدُّ مِنْهَا
ضِمَادَةُ ^(١) الْجِرَاحِ ، بَلْ إِنَّ الْقِرَاءَةَ لَذَاتُ مَزَايَا ثَلَاثٍ
قَوَائِمَ بِذَاتِهَا ، فَهِيَ لِلْمَسَرَّةِ وَالتَّسْلِيَةِ وَالتَّرْوِيحِ ^(٢) ،
وَهِيَ لِلتَّفَقُّهِ وَالْفَائِدَةِ وَالتَّهْذِيبِ ، وَهِيَ لِلْجَمَالِ
وَالتَّجَمُّلِ وَالْحِلْيَةِ وَالتَّحَلِّيِ ، وَالْمُظْهَرِ وَالزَّيْنَةِ وَالرُّوَاءِ ،
وَسُرُورِهَا فِي سَاعِ الْخُلُوةِ ، وَلَهْوِهَا فِي نَوَابِتِ
الْكَاتِبَةِ وَالْبَرَمِ ^(٣) بِالْحَيَاةِ ، وَجَمَالِهَا أَكْثَرُ مَا يَبْدُو
فِي السَّمَرِ وَالْحَدِيثِ ، وَالْمُطَارَحَةِ ^(٤) وَالتَّنَادُرِ ، وَنَفْعُهَا
وَصَلَاحِيَّتُهَا فِي تَفْتِيْقِ الْعُقُولِ ، وَإِبْرَازِ مَقْدِرَةِ

(١) ما تضمد به من أربطة ودواء (٢) إذهاب عناء النفس

(٣) السَّامَةُ والضَجَرُ . (٤) المطارحة : المناظرة والمجاجة وتبادل

الأسئلة ، والتنادر : ذكر النوادر والفكاهات

الْأَذْهَانِ ، وَصَهْرٍ مَعَادِنِ النَّفُوسِ ، وَشَحَذِ الْعُقُولِ ،
وَمَضَاءِ الْأَحْلَامِ ، وَبُلُوغِ مَرَاتِبِ الْمَعْرِفَةِ ، وَاجْتِيَازِ
مُخْتَلِفِ آفَاقِ الثَّقَافَةِ ،



وَعَسَيْتَ تَسْأَلَنَّ مَا حَدُّ الثَّقَافَةِ وَمَا وَجْهُهَا ؟ ،
وَإِنِّي لَقَائِلُ لَكَ : إِنَّ الثَّقَافَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ فِي
كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ وَحْدَهَا ، وَلَكِنْ فِي وَقَرَةِ الرُّوحِ
مَعَهَا ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِمُفْرَدِهَا ، مِعْوَانٌ عَلَى الثَّقَافَةِ ،
وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ خَالِقَتَهَا وَلَا مُنْشِئَتَهَا ، وَمَا هِيَ
كُلُّ أَمْرِهَا وَقِصَّتِهَا ، وَإِنَّمَا هِيَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ
كُلُّهُ ، الْأُسْتِعْدَادُ الطَّيِّبُ ، وَالتَّرْبَةُ الْخَصِيبَةُ ،
وَالنَّفْسِيَّةُ السَّلِيمَةُ ، كُلَّمَا تَعَهَّدَتْهَا الْقِرَاءَةُ بِسَقِيهَا

نكمل
الثقافة ؟

وَرِيَّهَا ، صَلَحَتْ مَنَبَتَا ، وَطَابَتْ مَغْرِسًا ، وَأَخْرَجَتْ
أَحْسَنَ الثَّمَرِ .

✱ ✱

وَمَا أَصْلَحَ الْقِرَاءَةَ الْحَسَنَةَ الْمُتَخَيَّرَةَ ،
وَالْيَانِعَةَ ^(١) الثَّمَرِ ، إِذَا هِيَ تَوَافَرَتْ أَطْيَبَ مُتَوَفَّرٍ ،
لِلْخَاطِرِ الْمُتَّسِعِ الْمَدَى ، وَالْأَفْقِ الذَّهْنِيِّ الرَّحِيبِ
الْمُطَارِحِ ، الْمُتَرَامِي الْمُنَادِحِ ، الْبَعِيدِ الْهَدَفِ ،
الْمُضْطَرِّمِ الشَّغَفِ ، وَلَكِنِّي يَكُونُ الْمَرْءُ أَخَا ثِقَافَةٍ ،
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا أَخَا نَفْسٍ طُلَعَةٍ ^(٢) ، وَصِنُو
هِمَّةٍ مُسْتَحْصَدَةٍ ^(٣) ، وَلِضَوْءٍ عَزْمَةٍ مُرْهَفَةٍ ، وَقَرِينِ
صَبْرٍ عَلَى الْقِرَاءَةِ ، وَزَمِيلِ إِدْمَانٍ لِلْمُطَالَعَةِ ، وَظَلِيلِ
إِحْلَاحٍ عَلَى ارْتِيَادِ الْعُقُولِ ، فِي غَيْرِ اصْطِحَابِ سَفَرٍ ،

أثر
القراءة
المتخيرة

(١) الثمرة اليبانة : هي التي نضجت ودنت للقطوف (٢) طلعة : بضم
فتح أي تكثر التطلع إلى الشيء (٣) قوية . من حصد الحبل : إذا أحكم قتله

أَوْ اعْتِمَادٍ عَلَى رُقَقَاءِ تَجَوَّابٍ^(١) ، وَصَبِ طَرِيقٍ ،
وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ كَاشِفًا الْمَجْهُولَ ، مُلْتَمِسًا الْمُتَعَةَ
وَحَدَّهُ ، بَاحِثًا عَنِ الْجَدِيدِ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً ، وَكُلَّمَا
قَرَأَ ، أَوْفَى^(٢) عَلَى الثَّقَافَةِ ، وَلَمْ يُدَلِّمْ بِهَا ، لِأَنَّ
الْمُتَقَفَّ الْكَامِلَ ، كَالْعَاقِلِ الْكَامِلِ ، لَيْسَ لَهُ إِلَى
الْيَوْمِ وَجُودٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يُفَرِّطْ فِي
اسْتِغْلَالِهِ الذَّهْنِيَّ ، أَوْ يَفْقِدَ فَضُولَهُ الْمُقَدَّسَ — وَإِنَّ
لِلْفُضُولِ أَوْ الشَّوْقِ الْعَقْلِيَّ لَقَدَاسَةً ، أَيْةً قَدَاسَةً —
فَهُوَ وَلَا رَيْبَ الْمُنْصَرِفِ عَنِ الثَّقَافَةِ ، الْجَاهِلُ بِقِيَمَةِ
الْمَعْرِفَةِ ، وَيَوْمَئِذٍ يُصْبِحُ مُجَرَّدَ كِتَالُوجٍ ، أَوْ
فِهْرِسِ كُتُبٍ لَيْسَ أَكْثَرَ ، وَمَنْ تَكُنْ هَذِهِ ،
هِيَ دَرَجَتُهُ وَمَحَلُّهُ مِنَ الثَّقَافَةِ ، فَهُوَ الْمُسْتَوْمُ

(١) جاب البلاد تجواباً — قطعها (٢) أشرف عليها

مِنْهُ ، الْمَتَّبِعُ^(١) عَنْهُ ، الدَّعَى^(٢) فِي الْعِلْمِ ، الْبَعِيدُ مِنْ
حَظِيرَةِ الْأَدَبِ وَأَهْلِهِ .



أرنولد
والثقافة

وَلَقَدْ قَالَ « مَا تَبِوْ أَرْنُولْد » فِي تَحْدِيدِ الثَّقَافَةِ : إِنَّهَا
« الْإِتِّصَالُ بِأَفْضَلِ مَا قِيلَ ، وَأَحْسَنِ مَا كُتِبَ ،
وَأَبْدَعَ مَا أُخْرِجَ الْفِكْرُ » وَنَحْنُ قَائِلُونَ فِي بَيَانِ هَذَا
التَّحْدِيدِ ، وَصِحَّةِ مَدَاهُ ، إِنَّ هَذَا الْإِتِّصَالَ ، يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ تَفَانِيًا وَامْتِزَاجًا كُلِّيًّا ، بَلِ اتِّصَالًا رُوحِيًّا ،
تَنْبَعُثُ مِنْهُ مُنْعَةٌ لِلذَّهْنِ ، وَصَفَاءٌ لِلْقَرِيحَةِ ، وَيَشْعُرُ
الْمَرْءُ ، أَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَ فَوْقَ نَفْسِهِ ، وَسَمَا عَلَى طَبِيعَتِهِ ،
وَعَاوَرَ أَفْقَهُ^(٣) ، مُحَلِّقًا فِي جَوْ بَعِيدٍ .

(١) المتباعد عنه (٢) الدعى : الذى ينتسب إلى القوم ليس منهم .

(٣) غاور أفقه : أغار عليه ، وظهر عليه

وَمِنَ النَّاسِ كَثِيرُونَ ، أَطَالُوا الْقِرَاءَةَ وَكَانَهُمْ
لَمْ يَقْرَءُوا ، وَأَسْرَفُوا فِي الْمُطَالَعَةِ ، وَمَا تَحْسِبُهُمْ
إِذْ تَخْتَبِرُهُمْ قَدْ طَالَعُوا شَيْئًا ، لِأَنَّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ
بِالْقِرَاءَةِ فَحَسْبُ . وَلَكِنْ فِي الرُّوحِ الَّتِي تَتَشَرَّبُ
مَا تَقْرَأُ ، وَالتَّقْسِ الَّتِي تَسْمُو بِمَا تُطَالِعُ ، وَالدَّهْنِ
الَّذِي يَزْدَادُ التِّمَاعًا وَضِيَاءً ، كُلَّمَا مَسَحَتْ الْكُتُبُ
الْقِيَمَةَ ، وَالتَّوَالَيْفُ الصَّالِحَةُ ، عَلَى غِشَاءِ خَاطِرِهِ ،
وَمَعْدِنِ إِدْرَاكِهِ ، وَصَفْحَةِ مَشَاعِرِهِ .



الْكِتَابُ الصَّالِحُ إِذَنْ هُوَ الْقِنِيَّةُ^(١) الصَّالِحَةُ ، الْكِتَابُ
وَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا صَالِحًا فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ ، فَلْيَعْلَمْ
أَنَّ مَعْدِنَهُ أَصَمُّ لَا يَسْتَجِيبُ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ

(١) القنية : بالكسر والضم : ما اكتسب وما اقتنى وادخر

يَقْرَأُ ، فَهُوَ غَيْرُ مُحْسِنٍ أَنْ يَخْتَارَ لِحَيَاتِهِ ، وَيَقْتَنِي
لِعَيْشِهِ ، وَلَا يَأْتِي الذَّوْقُ فِي مَعْرِفَةِ الْكُتُبِ ،
إِلَّا بِامْتِحَانِ صُنُوفِهَا ، فَإِذَا لَمْ يَكْتَسِبْ مِنْ صُنُوفِهَا
ذَوْقًا رَفِيعًا ، فَلْيَكْفَ عَنِ الْكُتُبِ ، فَإِنَّهَا لَمْ
تُخْلَقْ لِمِثْلِهِ .

✱
✱ ✱

الْكِتَابُ الْمُتَمِّعُ فِي نَظَرِي ، بِمَثَابَةِ الْعُرُوسِ
الْمَجْلُوءَةِ^(١) ، وَالذَّرَّةُ الثَّمِينَةُ الْمُفْدَاةُ ، وَذَخِيرَةُ الْأَدْبَاءِ
وَالْكُمَاةُ^(٢) ، بَلْ هُوَ اللَّطَافَةُ مُسَيَّرَةٌ ، وَالْبَلَغَةُ
مُسَطَّرَةٌ ، وَالطَّلَاوَةُ مُحَبَّرَةٌ ، بَلْ هُوَ شُرُوقُ إِفْصَاحِ ،
وَعُذُوبَةُ رَاحِ^(٣) ، وَبَهْجَةُ انْشِرَاحِ ، بَلْ هُوَ دِقَّةُ

منزلة
الكتاب
المتع

(١) المجلوة : المهيأة للزفاف إلى بعلها (٢) الكمأة : جمع كمى وهو
الشجاع ، أو متقلد السلاح ، والمراد فرسان البلاغة وعباقرة الأدباء
(٣) الراح : اسم من أسماء الخمر

فَقَرٍ ، وَبَهْرُهُ نَظَرٍ ، وَفِتْنَتُهُ سَحَرٍ .
 مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَكَادُ الْمَيِّتُ يَفْهَمُهُ

حَسَنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 بَلْ هُوَ عُشُّ الْأَدَبِ وَوَكْرُهُ ، وَمُتَفَجِّرُ الشَّعْرِ
 وَذِكْرُهُ ، وَجَمْعُ النَّثْرِ وَنَهْرُهُ ، وَمَوْئِلُ الدَّرِّ وَبَحْرُهُ ،
 بَلْ هُوَ لِمِثْرَبَةِ الْمُسْتَزِيدِ أَنْدَائِهِ^(١) ، وَلِأَرْضِ الْأَدِيبِ
 سَمَائِهِ ، وَلِلْمُضْنَى الْعَلِيلِ شِفَائِهِ ، وَلِلْوَعَةِ الْعَلِيلِ دَوَائِهِ .
 وَلِسُؤَالِ الْمُتَعَلِّمِ نَعَمَ الْمُجِيبِ بَعْدَ النَّدَاءِ .



وَبَعْدُ — فَلَقَدْ صَدَقَ أَبُو عُمَانَ عَمْرُو بْنُ
 بَحْرِ الْجَاحِظُ فِي قَوْلِهِ : —

الجاحظ
يصف
الكتاب

(١) انداء : جمع ندا وهو العطاء : أى هو حاجة المستزيد نيل ورغد

الْكِتَابُ — نِعَمَ الْمُدَّخَرِ وَالْعُدَّةُ ، وَنِعَمَ
 الْجَلِيسِ وَالْعُمْدَةِ ، وَنِعَمَ النَّشْوَةِ وَالزُّهْدَةِ ، وَنِعَمَ
 الْمُشْتَغَلِ وَالْحَرْفَةِ ، وَنِعَمَ الْأَيْسِ سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ،
 وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةِ بِلِلَادِ الْغُرْبَةِ ، وَنِعَمَ الْقَرِينِ وَالِدَّخِيلِ ،
 وَنِعَمَ الْوَزِيرِ وَالزَّيْلِ ، وَالْكِتَابُ — وَعَاءٌ مُلِيٌّ
 عَالِمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَائِهِ شُحِنَ مُزَاحًا
 وَجَدًا ، إِنْ شِئْتَ كَانَ أَبْيَنَ مِنْ سَحَابَانِ وَائِلٍ ،
 وَإِنْ شِئْتَ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ^(١) ، وَإِنْ شِئْتَ
 ضَحِكْتَ مِنْ بَوَادِرِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ عَجِبْتَ مِنْ
 غَرَائِبِ فَوَائِدِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَلْهَتْكَ نَوَادِرُهُ ،
 وَإِنْ شِئْتَ شَجَّتْكَ مَوَاعِظُهُ ، وَمَنْ لَكَ بَوَاعِظُ

(١) رجل يضرب به المثل في الفهاة والعي

مُلهٍ ، وَبِرَاجِرٍ ^(١) مُغرٍ ، وَبِنَاسِكٍ فَاتِكٍ ، وَبِنَاطِقٍ
أَخْرَسَ ، وَبِبَارِدٍ حَارٍّ ، وَفِي الْبَارِدِ الْحَارُّ يَقُولُ
الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ : —

قُلْ لِرُهَيْرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا

أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ فَأَنْتَ مِهْدَارُ

سَخْنَتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى

ي صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ

لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي

كَذَلِكَ الشَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌّ

وَمَنْ لَكَ بِذَبْطِي ^(٢) أَغْرَابِي ، وَبِرُومِي هِنْدِي ،

وَبِفَارِسِي يُونَانِي ، وَبِقَدِيمٍ مُوَلَّدٍ ، وَبِمَيْتٍ مُمْتَعٍ ،

(١) يريد أن هذه المناقضات ترد في الكتاب كل في موضعه ومناسباته

(٢) النبط : قوم سكنوا سواد العراق

وَمَنْ لَكَ بِشَىءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ
وَالْوَافِرَ ، وَالْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْعَثَّ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ
وَالْخِلَافَةَ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ .

وَبَعْدُ — فَتَى رَأَيْتَ بُسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ^(١) ،
أَوْ رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي حَجَرٍ ، وَنَاطِقًا يَنْطِقُ عَنِ
الْمَوْتَى ، وَيُتَرَجِّمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ ؟ وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ
لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا تَهْوَى ؟
أَمِنْ مَنْ الْأَرْضِ وَأَكْتَمُ لِلْسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ ،
وَأَضْبَطُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ صَاحِبِ الْوَدِيعَةِ ، وَأَحْفَظُ لِمَا
اسْتَحْفَظَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ ، مِنَ الْأَعْرَابِ الْمُعَرَّيِّينَ .

بَلْ مِنَ الصَّبَّيَّانِ قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ ، وَمِنْ
 الْعُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمْيِيزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ الْعِنَايَةِ
 تَامَّةٌ لَمْ تَنْقُصْ ، وَالْأَذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تُقْتَسَمْ ،
 وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَتَشَعَّبْ ، وَالطَّيْنَةُ لَيِّنَةٌ ، فَهِيَ
 أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّائِعِ ، وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ
 أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ^(١) ، حِينَ هَذِهِ الْخِصَالُ لَمْ
 يَيْلَ جَدِيدُهَا ، وَلَمْ يَفْلَ ^(٢) غَرْبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُورَاهَا ؟



وَالْآنَ نَنْتَقِلُ بِكَ نَزُولًا عَلَى أَمَانَةِ الْبَحْثِ ،
 إِلَى التَّحَدُّثِ عَنْ نَوَاحٍ جِدِّ هَامَةٍ تَتَّصِلُ بِأَقْرَبِ
 وَشَيْجَةٍ ^(٣) ، وَأَمْسٍ وَسَيْلَةٍ فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ ، وَهِيَ

(١) الاستمساك والثبات (٢) لم يثلج حدها (٣) الوشيجة : الصلة والقراءة

التَّحَدُّثُ عَنْ أَدَبِنَا الْعَرَبِيِّ ، رَغْبَةً فِي إِنْهَاضِهِ مِنْ
 عِثَارِهِ ، وَإِقَالَتِهِ مِنْ كِبَوْتِهِ ، وَحُسْنِ تَرْجِيَتِهِ
 وَتَوْجِيهِهِ ، إِلَى الْإِنْبِعَاطِ وَالْحَيَاةِ وَإِلَى الْإِنْتِعَاشِ
 وَالْإِزْدِهَارِ ، تَمْشِيًّا مَعَ الْعَصْرِ ، وَتَحْقِيقًا لِلْبَّانَاتِ ^(١) ،
 وَإِمْدَادًا لِلرَّغَبَاتِ . . . هَذِهِ النَّوَاحِي هِيَ الْأَدَبُ
 الْحَدِيثُ ، وَحَالُهُ مِنْ حُدُودٍ وَأَفَاقٍ وَمَنَاحٍ ، وَإِنْ
 كُنَّا نَلْقَى شَتَاتًا مِمَّا نُرِيدُهُ ، وَشُدُورًا مِمَّا نَبْتَغِيهِ ،
 مُبْعَثَرَاتٍ فِي غَيْرِ اجْتِمَاعٍ : مُنْشَرَّةً فِي غَيْرِ السَّامِ ،
 كَأَنَّهَا الرِّذَاذُ مِنَ الْوَبْلِ ، وَالرَّشْفَةُ مِنَ النَّهْلِ ،
 وَالذِّكْرَى مِنَ الْوَصْلِ ، وَالْأَلْفُ مِنَ الْفَصْلِ مُتَفَرِّقَةً .
 أَوْ هِيَ الْبَسْمَلَةُ مِنَ الْكِتَابِ ، وَالْإِظْفَرُ مِنَ
 الرِّقَابِ ، وَالثَّرَى مِنَ الشَّهَابِ وَالْمِهْمَزُ مِنَ الرَّكَبِ

هَنَا وَهُنَاكَ . أَمَّا النَّاحِيَةُ الثَّانِيَةُ ، فَإِنَّهَا عَنِ الْأُولَى
تَوَلَّاتْ ، وَعَنْهَا تَمَحَّضَتْ ، وَفِي ظِلِّهَا تَرَعَّرَعَتْ ، نُرِيدُ
بِهَا ، الْقِصَّةَ ، وَمَا لَهَا مِنْ مَسِيسٍ صِلَةٍ بِالْأَدَبِ
الْحَدِيثِ عَامَّةً ، وَمِنْ شَدِيدِ حَاجَةِ الْأَدَبِ الْمِصْرِيِّ
إِلَيْهَا خَاصَّةً .

وَلَسْنَا نَزْعُكُمْ لَكَ هَنَا ، أَنَا أَصَبْنَا الْمَحْزَرَ (١) ،
وَوَافَيْنَا الْغَايَةَ ، بَلْ هُوَ جَهْدٌ تَهْيِيدِيٌّ ، وَنَظَرَةٌ
عَجَلِيٌّ ، وَمُحَاوَلَةٌ مُتَوَاضِعَةٌ ، مِنْ رَجُلٍ مُتَوَاضِعٍ ،
وَعِبَابَرَةٍ أَدَقٍّ ، لَمْ يَعُدْ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ ، وَاثْبَتْنَاهُ
لَكَ ، عَنْ نَفْسَاتٍ مَحْزُونٍ ، يَصْدِمُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ ،
الشَّائِئَةُ مِنَ الْعِبَارَاتِ ، وَالْمُتَمَلِّخُ (٢) مِنَ الْأَسَالِيبِ ،

(١) بلغنا الغاية وأصبنا الهدف (٢) الممتلخ : الفاسد الضعيف

وَالنَّابِ^(١) مِنَ الْأَلْفَافِ ، وَالْمُتَعَتِّرُ مِنَ الْمَعَانِي ، وَالْقَلِقُ
 مِنَ الْمَبَانِي ، وَالْمُتَخَيِّرُ مِنَ الْأَخْيَلَةِ ، وَالْفَقِيرُ مِنَ
 التَّصَوُّرَاتِ : فَلَمْ يَرَأْ أَمَانَةً لِلْبَحْثِ الْهَادِيءِ الْمُطْمَئِنِّ ،
 الْمُتَيَقِّنِ مِنْ عَدَالَةِ مَا يَطْلُبُ ، وَرَجَاحَةِ مَا يَلْتَمِسُ ،
 وَأَصَالَةِ مَا يَبْغِي . أَنَّ أَصَوْرَ تِلْكَ النَّاحِيَتَيْنِ فِي
 إِيجَازٍ وَاخْتِصَارٍ ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ بِنِيَّةِ الْهُدَى وَالتَّوَجُّهِ ،
 وَالْبِنَاءِ وَالتَّشْيِيدِ ، فَعَلَى الْأَقْلِّ لِلسَّارِيخِ الْأَبْجَدِي
 خَسْبُ ، تَارِكًا لِمَشِيخَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَحَصَافَةِ النَّقْدَةِ
 الْأُمْنَاءِ ، وَبَرَاعَةِ الْجَهَابَةِ الْأَكْفَاءِ ، سَدَادَ الْإِرْشَادِ ،
 لِتَقْوِيمِ الْأَوْدِ ، لِحَالِ تَفَقُّتِ الْقُلُوبِ الْجَلَامِيدِ ، وَتُدْمِي
 هَوَاتِنِ^(٢) الْعُيُونِ الْجَوَامِيدِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ السَّيْلُ

(١) المستكره على السمع والطبع والبعيد من الذوق (٢) هتن المطر

الزُّبَى ، وَالْحِزَامُ الطَّبِيبَيْنِ ^(١) ، وَقَدْ وَاللَّهِ شُدِّهِ ^(٢) الْعَقْلُ
وَالنَّهْيُ ، وَقَدْ وَاللَّهِ زَاغَ الرُّشْدُ وَالْحِجْبَى ، وَقَدْ وَاللَّهِ
بَلَغَتْ الرُّوحُ التَّرَاقِي ، وَكُتِبَ عَلَيْنَا الْجُمُودُ بَعْدَ
انْطِلَاقٍ ، وَالنُّكُوصُ ^(٣) إِثْرَ اسْتِبَاقٍ .



الأدب
قديمًا
وحديثًا

وَالْآنَ لِنُحَاوِلَ سَوِيًّا مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ مِنَ التَّقْدِمَةِ
بِالْمَامَةِ تَارِيخِيَّةٍ مُوجِزَةٍ فَنَقُولُ : —

كَانَ حَدُّ الْأَدَبِ فِي الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ ، هُوَ
الْكَلَامُ الْجَمِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِعَصْرِهِ وَجِيلِهِ ، وَوَسْطُهُ
وَبَيْتُهُ ، وَكِيَانه وَمُشْتَمَلُهُ ، وَإِنْ عَدَدْنَاهُ نَحْنُ فِي

(١) المفرد طي بالكسر ويضم : حلة الضرع من ذات خف وحافر
وظلف : أى جاوز الأمر حده (٢) شدة : أى دهش وتخير .
(٣) النكوص : التقهقر والرجوع .

مَدَنَيْتَنَا وَعَهْدَنَا ، وَصَقَلْنَا وَذَوَّقْنَا ، مُسْتَكْرَهَا
فَجًّا^(١) ، وَغَلِيظًا فَظًّا .

وَكَانَ أَوَّلُ مَا ظَهَرَ مِنْ جَمَالِ الْكَلَامِ فِي الْعَالَمِ ،
مَا جَرَى مَعَ الطَّبِيعَةِ فِي الشَّعِيمِ وَالتَّرْنِيمِ ، أَيْ
كَلَامًا مَّا كُلُّ جَمَالِهِ فِي عُذُوبَةِ أَنْغَامِهِ ، وَحُلُوِّ رَيْنِهِ ،
وَسَاحِرِ جَرْسِهِ^(٢) : وَفَاتِنِ وَقْعِهِ ، إِذْ نَشَأَ الْإِنْسَانُ
مُوسِيقِيًّا بِالْأُذُنِ ، كَمَا نَشَأَ فِي تَعْبِيرِ الْاجْتِمَاعِيِّينَ —
مَدَنِيًّا بِالطَّبْعِ ، فَقَدْ تَأَثَّرَ مِنَ الْبَدَاءَةِ بِالْأَصْوَاتِ
الرَّتِيبَةِ مِنْ حَوْلِهِ ، فِي خَرِيرِ^(٣) الْمَاءِ ، وَعَزِيفِ^(٤)
الرِّيَاحِ ، وَتَرْجِيعِ الطَّيْرِ ، وَهَزِيمِ^(٥) الرَّعْدِ ، وَخُتْلَفِ

(١) الفج : غير الناضج الذوق ينبو عنه (٢) وساحر جرسه :

أى صوته ووقعه (٣) خرير الماء : صوته الذى يسمع من قوة دفعه

(٤) عزيف الرياح : صوتها ودويها (٥) هزيم الرعد : قصيفه .

الْأَصْوَاتِ فِي ظَوَاهِرِ الطَّبِيعَةِ الطَّلِيقَةِ الْمَدَى مِنْ
 حَوْلِهِ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَحَرَّكَ شُعُورُهُ لَوْصِفَ حَالَاتِ
 نَفْسِهِ ، وَصِلَتْهُ بِالطَّبِيعَةِ فِي قَسْوَتِهَا أَوْ حَنَانِهَا عَلَيْهِ .
 انْبِعَاثُهُ إِلَى الْكَلَامِ الْجَمِيلِ فِي شَيْءٍ مِنْ انْتِظَامِ النَّعْمِ ،
 وَاتِّسَافِ الْوَقْعِ ، وَانْسِجَامِ التَّعْبِيرِ . فَكَانَ هَذَا
 — هُوَ أَوَّلُ ظُهُورِ الشَّاعِرِ ، حَتَّى لَقَدْ ذَكَرَ التَّارِيخُ
 أَوَّلَ شَاعِرٍ فِي بَدَايَةِ الْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، بِأَنَّهُ كَانَ مَعَ
 الشَّعْرِ أَوَّلَ مُغَنٍّ ، وَأَبَا الْعَازِفِينَ ، وَهُوَ « هُومِيرُوسُ »
 شَاعِرُ الْيُونَانِ ، يَعْرِفُ بِشَعْرِهِ عَلَى قَيْثَارِهِ^(١) ، وَيَتَنَقَّلُ
 فِي الْحَيِّ يُطْرَبُ السَّامِعِينَ .

أسبقية
 الشعر
 للنثر

كذلك كانت بداية الشعر قبل بداية النثر ،

(١) القيثارة : آلة للموسيقى وهي الكمنجة

وَعَلَى هَذَا الْفَارِقِ مِنَ الْبِدَايَةِ ، ظَلًّا إِلَى النَّهَايَةِ ،
فَكُلُّ مَا حَلَّتْ الْمَوْسِيقِيَّةُ فِي الشَّعْرِ ، ازْدَادَ النَّاسُ
حُبًّا لَهُ ، وَكُلَّمَا عَذَبَ اِتِّسَافُ الرَّوِيِّ فِيهِ ، اشْتَدَّ
الْإِقْبَالُ عَلَيْهِ ، حَتَّى مَا يَطْلُبُ النَّاسُ مِنْهُ الْيَوْمَ ،
غَيْرَ هَذَا وَنَحْوِهِ ، وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْبَسَاطَةِ فِيهِ ،
وَخِفَةِ الْمَوْضُوعِ الَّذِي يَطْرُقُهُ ، وَوُضُوحِ الْمَعَانِي الَّتِي
تَحْتَوِيهِ . فَالشَّعْرُ إِلَى الْيَوْمِ لَيْسَ مَطْلُوبًا إِلَّا عَلَى أَنَّهُ
فَاحِشَةُ الْكَلَامِ ، وَزَهْرُ الْمَعَانِي ، وَعَذُوبَةُ الْبَيَانِ ،
وَجَمَالُ التَّعْيِيرِ . فَإِنْ عَمَّقَ ^(١) أَوْ غَمَضَ ^(٢) أَوْ دَقَّ ^(٣)
لَمْ يَشْتَهَرْ شُهْرَةً السَّهْلِ الْوَاضِحِ ، الْبَلِيغِ الْبَدِيعِ .

(١) عمق : بعد (٢) غمض : خفي مأخذه (٣) دق : خفي معناه



وَقَدْ عَرَفَتْ نَشَأُ الْإِنْسَانِيَّةِ الشُّعْرَاءُ ، قَبْلَ أَنْ
تَعْرِفَ الْكُتَّابَ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَجَّوْا إِلَى تَطَوُّرِ
كَبِيرٍ فِي الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى يَظْهَرُوا ، إِذْ لَمْ
يَبْتَدِئُوا مَعَ الطَّبِيعَةِ ، وَلَكِنْ تَخَلَّفُوا حَتَّى يَأْتُوا
مَعَ الْحَضَارَةِ ، وَقَدْ بَقِيَ الْأَدَبُ فِي حُدُودِهِ الْأُولَى
كَلَامًا جَمِيلًا ، فِي وَصْفِ الْحَيَاةِ الْأُولَى عَلَى بَسَاطَتِهَا
وَسَدَاجَتِهَا^(١) . وَظَلَّ كَذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ فِي الصِّفَةِ
الشُّكْلِيَّةِ ، أَوْ الشَّيْبِ الَّتِي يَبْدُو فِيهَا ، وَالْغِلَالَاتِ^(٢)
الَّتِي يُرْهِى بِهَا ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَوْفِ شِعْرُهُ أَوْ نَثْرُهُ حَتَّى
فِي عَصْرِنَا هَذَا جَمَالَ الثَّوْبِ ، وَحُسْنَ الشَّكْلِ ،

(١) الساذج : الفطرى الذى لا تعمل فيه (٢) الغلالة : الثوب الرقيق

وَرِقَّةَ الْغَلَالَةِ ، تَقْصَ فِي الْمَوَازِينِ ، وَقَلَّ فِي الْقِيَمَةِ
وَالِاعْتِبَارِ ، وَمَرَاتِبِ الْإِقْبَالِ وَالِاشْتِهَارِ .

وَكَانَ الْأَدَبُ عِنْدَ الْعَرَبِ هَكَذَا ، فِي حُدُودِ
الْكَلَامِ الْجَمِيلِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ : إِنَّ أَحْسَنَ
الْكَلَامِ مَا كَانَ قَلِيلُهُ ، يُغْنِيكَ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَمَعْنَاهُ
فِي ظَاهِرِ لَفْظِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيفًا ، وَاللَّفْظُ
بَلِيغًا ، وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِسْتِكْرَاهِ ،
وَمُنَزَّهًا عَنِ الْإِخْتِلَالِ ، وَمَصُونًا عَنِ التَّكَلُّفِ ،
صَنَعَ فِي الْقَلْبِ صَنِيعَ الْغَيْثِ ^(١) فِي التُّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ ،
وَمَتَى فَصَلَتْ ^(٢) الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ،
وَنَفَذَتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ، أَصْحَبَهَا اللَّهُ مِنْ

(١) الغيث : المطر . والتربة الكريمة : الأرض الحرة الصالحة للزراع

(٢) نطق بها مستوفاة للشرائط التي قدمها

التَّوْفِيقِ ، وَمَنْحَهَا مِنَ التَّأْيِيدِ ، مَا لَا يَمْتَنِعُ عَنْ
تَقَطُّرِ^(١) صُدُورِ الْجَبَابِرَةِ ، وَلَا يَذْهُلُ^(٢) عَنْ فَهْمِهِ
عُقُولُ الْجُهَلَاءِ .

وَكَانَ كُلُّ مُنْخَصَرِّ الْأَدَبِ فِي تَصْوِيرِ الْوُجْدَانِ ،
وَكُلُّ هَمٍّ رَسَمِ الْأَخْيَلَةِ وَخَلَجَاتِ^(٣) الْعَاطِفَةِ ،
وَلَكِنَّهُ مَعَ ضِيقِ مُضْطَرِّبِهِ^(٤) ، وَانْحِصَارِ حُدُودِهِ ،
كَانَ يُصَوِّرُ الْحَيَاةَ كَمَا كَانَتْ يَوْمَئِذٍ الْحَيَاةُ ، فَلَا
عَيْبَ عَلَيْهِ فِيمَا تَحَدَّدَ لَهُ ، وَلَا يُلَامُ فِيمَا وَقَفَ
عِنْدَهُ ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ إِنَّمَا كَانَ
يَنْقُصُهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَدَبِ ، أَوْ هَذَا الطَّرَازُ

(١) تقطر : أى تشقق (٢) يذهل : يغيب (٣) ما يختلج في
الصدر من خواطر النفس والوجدان (٤) حركاته

مِنْ صُورِ التَّفْكِيرِ ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الْحَيَاةُ يَوْمَئِذٍ
 قَدْ اسْتَوْفَتْ هَذَا الَّذِي اسْتَوْفَتْهُ فِي دَوْرِهَا الْحَدِيثِ ،
 وَلَمْ تَسْتَكْمِلْ يَوْمَئِذٍ مَا اسْتَكْمَلَتْهُ مِنْ مَرَاحِلِ
 التَّطَوُّرِ ، حَتَّى بَلَغَتْ مَا قَدْ بَلَغَتْهُ الْآنَ .



لَقَدْ تَغَيَّرَتِ الْحَيَاةُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، فَاسْتَدَارَ
 الْأَدَبُ مَعَهَا ، يَتَغَيَّرُ هُوَ كَذَلِكَ بِتَغْيِيرِهَا ، لِأَنَّهُ
 لَيْسَ سِوَى مِرْآةِهَا ، وَالزُّجَاجَةُ الشَّفَافَةُ الْأَدِيمُ الَّتِي
 تَعْكِسُ صُورَهَا ، وَمِنْ مُجَرَّدِ الْكَلَامِ الْجَمِيلِ
 الَّذِي كَانَ الْأَدَبُ يُحَدِّدُ بِهِ ، انْتَقَلَ إِلَى تَحْدِيدِ
 آخَرَ ، لَا يَكَادُ يُعْتَبَرُ شَامِلًا ، مَهْمَا فَكَّرَ الْإِنْسَانُ
 فِي أَنْ يَصِفَهُ أَوْ يُوفِّيَهُ ، لِأَنَّ الْأَدَبَ لَمْ يَعُدْ

التطور
 الأدبي
 الحديث

التَّعْبِيرَ عَنِ الْوُجْدَانِ فَحَسْبُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَوْضُوعِيًّا
وَكَفَى ، وَلَكِنَّهُ تَرَامَى إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ ، فَشَمِلَ
حُدُودَ الزَّمَنِ الثَّلَاثَةِ ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاضِي ، كَمَا
يُعْنَى بِالْحَاضِرِ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَى الْغَدِ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ
ذَاتِهِ ، يَغْمُرُ الْحَيَاةَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ، وَيَغُورُ فِي
أَعْمَاقِهَا ، وَمُسْتَدَقٌ^(١) نَوَاحِيهَا وَزَوَايَاهَا ، وَيَبْحَثُ فِي
أَسْرَارِهَا وَنَفْسِيَّاتِهَا ، حَتَّى لَقَدْ أَصَابَ مَكْسِيمُ غُورْدُ ،
الْكَاتِبُ الرُّوسِيَّ الْعَظِيمُ فِي وَصْفِ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ
بِمَا مَعْنَاهُ : إِنَّهُ عَيْنُ الدُّنْيَا الَّتِي بِهَا تُبْصَرُ ، وَبَصَرُهَا
الَّذِي بِهِ تَنْفِذُ إِلَى أَخْفَى زَوَايَا النَّفْسِ ، وَيَنْدَسُّ فِي
أَعْمَقِ خَوَالِجِ الْأَرْوَاحِ ، بَلْ هُوَ قَلْبُ الْعَالَمِ ،

(١) أى الخفى من شئونها

وَالطَّائِرُ الَّذِي يَحْمِلُ فِي جَنَاحِهِ فَرَحَ الْحَيَاةِ وَحُزْنَهَا ،
وَأَحْلَامَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَمَالَهَا ، وَأَحْقَادَهَا وَعَدَاوَاتِهَا ،
وَبَأْسَهَا وَغَضَبَهَا ، وَتَقْدِيرَهَا لِلْجَمَالِ فِي الطَّبِيعَةِ ،
وَمَخَافَتَهَا مِنْ أَسْرَارِهَا ، وَمَا وَرَاءَ حُجُبِهَا السُّمُكِ ^(١) ،
وَأَسْتَارِهَا الْكَثِيفِ ^(٢) ، وَغَيْبِهَا الْمَجْهُولِ ، وَإِنَّ هَذَا
الْقَلْبَ لَيَخْفِقُ أَيْدًا ، وَيَنْبُضُ قُوِيًّا سَرِيعًا مِنْ الظَّمَا
إِلَى الْمَعْرِفَةِ ، وَكَشَفِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتَجَرِيدِهَا
مِنْ كُلِّ أَغْشِيَتِهَا وَأَرْدِيَتِهَا وَأَكْسِيَتِهَا ^(٣) ، كَأَنَّمَا يَجْتَمِعُ
فِي هَذَا الْقَلْبِ سَائِرُ قُوَى الطَّبِيعَةِ نَفْسِهَا ، الَّتِي
أَوْجَدَتِ الشَّخْصِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، لَكِنِ تَكُونُ أَشْمَى

(١) جمع سمك وهو ثخين الطبقات (٢) جمع كفيف وهو الصفيق

(٣) جمع كساء : وهو الثوب

تَعْبِيرٍ عَنْ عُقْدَةٍ (١) سِرِّهَا ، وَنَوَاحِي حِكْمَتِهَا ،
وَمَرَمَى آفَاقِهَا الْقَصِيَّةِ (٢) الْفَسَاحِ .



لَقَدْ كَانَ الْأَدَبُ فِيمَا مَضَى « فَرْدِيًّا » يَجْرِي
عَلَى التَّعْبِيرِ الشَّخْصِيِّ عَنْ وَجْدَانِ الْفَرْدِ وَمَشَاعِرِهِ ،
وَلَكِنَّهُ فِي الْحَيَاةِ الْحَدِيثَةِ ، قَدْ اسْتَحَالَ مَجْمُوعِيًّا
بِسَبَبِ تَنْظِيمِ الْجَمَاعِ ، وَاتِّسَاعِ مَدَى الْحَيَاةِ
الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، فَلَمْ يَعُدِ الْأَدَبُ ضَيِّقَ الْخُدُودِ كَمَا كَانَ
مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنَّ خُدُودَهُ أَصْبَحَتْ تُلَمُّ بِالْخُضَارَةِ
الْعَصْرِيَّةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا ، وَتُسَايِرُهَا فِي كَافَةِ
نَوَاحِيهَا ، حَتَّى لَقَدْ تَجَوَّزَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ فِي

(١) المراد أنها تتناول الكشف عن خفي علمها بتفسير يقرب تلك العليل
للافهام (٢) البعيدة . والفساح . الواسعة جمع فسيح

تَعْرِيفِ الْأَدَبِ ، فَلَمْ يَقِفْ بِهِ عِنْدَ مَا كَانَ التَّحْدِيدُ
وَأَقْفًا بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ ، مُجَرَّدَ صُورٍ وَأَخِيلَةٍ
وَوُجْدَانِيَّاتٍ ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ فِي تَعْرِيفِهِ إِلَى حَدٍّ
أَنَّهُ أَصْبَحَ عِلْمَ الْحَيَاةِ كُلِّهَا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ ،
وَمِيزَانِهَا الدَّقِيقِ ، وَمَعْيَارِهَا الصَّحِيحِ ، وَمَبْلَغَ قُرْبِهَا
مِنَ السَّمَوِّ ، وَمَدْنَاهَا^(١) مِنَ الْكَمَالِ ، وَأَنَّ غَرَضَ
الْأَدَبِ ، هُوَ الْأَرْتِفَاعُ بِالْإِنْسَانِ فَوْقَ مُسْتَوَى عَيْشِهِ ،
وَدَرَجَةِ وُجُودِهِ ، وَمَرْتَبَةِ أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ إِطْلَاقُهُ
مِنَ أَغْلَالِ حَاضِرِهِ ، حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ عَبْدًا مُسَخَّرًا
لِلْحَيَاةِ ، بَلْ يَشْهَدُ نَفْسَهُ مُسَخَّرًا مُخَضَّعًا لِلْحَيَاةِ
لِإِرَادَتِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ لَيْسَ لِلْأَدَبِ مِنْ غَايَةٍ سِوَى

(١) ومدناها : قربها

إِحَالَةِ الْإِنْسَانِ خَالِقًا لِلْحَيَاةِ ، حُرًّا لِإِرَادَةٍ ، طَلِيقَ
 الْمَشِيئَةِ ، مُخْتَارًا فِي دُنْيَاهُ ، غَيْرَ مُسَيَّرٍ وَلَا كَارِهِ .
 وَقَدْ كَانَ الْأَدَبُ فِيهَا مَضَى سَلْوَةٍ وَمَلْهَمَةً ^(١) ،
 فَأُضْحَى مَعَ تَنَوُّعِ الْحَضَارَةِ وَاتِّسَاعِ مَدَاهَا ، جَامِعًا
 بَيْنَ الْمَلْهَمَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَالتَّسْلِيَةِ وَالثَّقَافَةِ ، وَتَحْلِيلِ
 الْإِنْسَانِ فَرْدًا وَمَجْمُوعًا ، فَرِحًا وَجَزُوعًا ، قَانِعًا
 وَطَمُوعًا ، شَامِلًا الْخَازِقَ الْبَاهِرَ ، وَالصَّانِعَ الْمَاهِرَ ،
 مَعَ الصَّيْرِفِيِّ ^(٢) الْخَبِيرِ ، وَاللُّوْذَعِيِّ ^(٣) الْقَدِيرِ ، فَكَانَتْهُ
 هُوَ الْمُعْلَمَةُ ^(٤) الْمُتَكَلِّمَةُ ، وَالْمَوْسُوعَةُ ^(٥) الْمُتَجَمِّعَةُ ،
 بَلْ هُوَ السُّؤْلُ وَالطَّلَبُ ، وَالْمَنْفَرَعُ ^(٦) وَالْأَرَبُ ^(٧) ،

(١) ولهوأ وهو مصدر ميمي (٢) الصيرفي الذي يزن النقود ويميزها

(٣) اللوذعي الذي يظن بك الظن . كأن قد رأى وقد سمع

(٤) المعلمة : المعرفة (٥) أي أنه دائرة معارف كبرى (٦) الموثل

الذي يفرع اليه (٧) الحاجة والمطلب

بَلْ هُوَ الْمُعَلِّمُ الْمُوَاسِي ، وَالطَّيِّبُ الْآسِي ^(١) ،
 وَالْمَائِحُ ^(٢) الْكَاسِي ، بَلْ هُوَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرُ ،
 وَالْأَمَلُ النَّاضِرُ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ الزَّاهِرُ ، بَلْ هُوَ الْأُمْنِيَّةُ
 وَاللِّبَانَةُ ، وَالرَّغْبَةُ وَالْإِبَانَةُ ، بَلْ هُوَ مَجْمَعُ الْعَوَاطِفِ ،
 وَمَنْجَمُ ^(٣) الشُّرُوتِ وَالْعَوَاصِفِ ، بَلْ هُوَ مَنْطِقُ الْأَفْئِدَةِ
 وَالْقُلُوبِ ، وَمُفَسِّرُ الْأَحْلَامِ وَالْغُيُوبِ ، بَلْ هُوَ مُسْتَقَرُّ
 النَّاسِ ، وَمُتَفَجِّرُ الْإِحْسَاسِ ، وَمَثَارُ الْحَمَاسِ ، وَمَجْمَعُ
 الْأَنْفَاسِ ، بَلْ هُوَ الْجَمَالُ وَالْمُنْعَةُ ، وَالْقُنْيَةُ وَالشُّحْفَةُ ،
 وَالشَّرْعَةُ ^(٤) وَالنَّجْعَةُ ، بَلْ هُوَ الْحَيَاةُ وَالْوُجُودُ ، وَالنَّعِيمُ
 الْمُنْشُودُ ، وَالْفِرْدَوْسُ الْمَفْقُودُ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ

(١) الآسى المداوى من أسا يأسو (٢) المائح : المعطى

(٣) منجم : مصدر (٤) الشرعة والمشرعة : مورد الماء والنجعة

كُلَّ شَيْءٍ ، وَتَدَسَّسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَعْمُرُ كُلَّ
أَفْقٍ ، وَيَسْبَحُ فِي كُلِّ مُحَلَقٍ ^(١) ، وَيَخْتَرِقُ كُلَّ حُجُبٍ ،
وَيَنْفُذُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ الْخُنُونِ عَلَى
حُزْنِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَمَمَا ، كَمَا يَدْفَعُ بِهَا إِلَى إِخْضَاعِ
الْحَيَاةِ لِرَغْبَتِهَا وَعَمَلِهَا الْعَظِيمِ .

هَذَا هُوَ التَّطَوُّرُ الَّذِي عَزَّ الْأَدَبُ فِي الْعَالَمِ ،
وَفَجَّرَ مِنْهُ عُيُونًا وَيَنَاسِعَ لِتَغْيِيرِ وَجْهِ الْحَيَاةِ فِي الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُسَمِّيَهُ ثَوْرَةً فَلْتُسَمِّهِ ،
لِأَنَّهُ فِي الْوَاقِعِ جَاءَ عَنِيفًا سَرِيعًا ، وَأَتَى شَامِلًا كَامِلًا ،
غَامِرًا الْحَيَاةَ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ .

*
* *

وَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَدَبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَمْ

اتساع
أفق
الأدب

يَكُنْ فِيهِ ، وَوُسْمَ بَغَيْرِ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ مِيسْمَهُ ،
وَتَنَوَّعَتْ وُجُوهُ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَنَوَاحِي دِرَاسَتِهِ ، حَتَّى
كَادَ يَدْخُلُ فِي الدَّائِرَةِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَتَحْوُرُ^(١) إِلَيْهِ
مُخْتَلَفُ النَّظَرِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَحَتَّى قَالَ كَبَارُ النُّقَادِ
فِيهِ : إِنَّهُ أَثَرٌ مِنْ أَفَاعِيلِ الْجِنْسِ وَالْبَيِّنَةِ وَالزَّمَنِ ،
وَإِنَّهُ مَجْمُوعَةُ أَقْطَارِ الْإِنْسَانِ ، وَتَتَأَيَّجُ عَقْلِيَّةُ الْأُمَمِ ،
وَذَوْبُ قَرَائِحِهَا ، وَمِرَاةُ حَيَاتِهَا ، وَتَجَلِّيَةُ صُورِهَا ،
وَجَوْهَرُ عَرْضِهَا ، وَعَيْنُ إِنْسَانِهَا ، وَجُثْمَانُ هَيْكَلِهَا .
وَحَتَّى افْتَتَحُوا فِي إِيجَادِ فُسْحَاتٍ لَهُ وَمِيَادِينَ ،
وَأَجْوَاءٍ جَدِيدَةٍ لَهُ ، مِنْهَا مَا كَانَ سَادِجًا فِيهَا مَضَى ،
سَدَاجَةُ الْحَيَاةِ فِي الْعَصْرِ الْغَابِرِ نَفْسِهَا ، وَمِنْهَا مَا كَانَ

(١) تحوّر إليه : ترجع إليه

مِنْ صُنْعِ الْحَضَارَةِ الْعَصْرِيَّةِ نَفْسِهَا ، فَكَانَ الْأَدَبُ
 الْمُسْرَحِيُّ ، وَهُوَ الْيَوْمَ فِي الْأَوْجِ^(١) ، كَنَوْعٍ مِنْ
 الثَّقَافَاتِ الْحَدِيثَةِ ، الَّتِي نَضَجَتْ وَاسْتَوَتْ ، وَبَلَغَتْ
 مَرَاتِبَ التَّجْدِيدِ وَالِافْتِنَانِ ، وَكَانَ الْقَصَصُ الْاجْتِمَاعِيُّ ،
 وَقَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مَصَبَّ أَسْمَى الْأَدَبِ ، وَأَبْلَغِهِ
 وَأَرْفَعِهِ شَأْنًا ، إِذْ أَدْرَكَ الْمُفَكِّرُونَ وَالْفَلَاسِفَةُ
 وَعُلَمَاءُ الْحَيَاةِ ، وَالَّذِينَ تَقَصَّصُوا النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ
 بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّجَرِبَةِ ، وَالبَحْثِ عَنِ الدَّقَائِقِ وَالْأَجْزَاءِ ،
 أَنَّ حَيَاةَ الْفَرْدِ قَدْ شَغَلَتْهَا مَتَاعِبُ عَمَلِهِ ، وَمَشَاقُّ
 مُرْتَرَقِهِ ، وَكَدُّهُ الْمُتَوَاصِلُ لِلْعَيْشِ ، فَلَا يَنْبَغِي
 حَمْلُهُ عَلَى فَهْمِ الْأَدَبِ الْجَافِّ ، وَقِرَاءَةِ السَّنِيِّ السَّرِيِّ

الْمَلِيءُ بِالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِقْصَاءِ ، وَلَكِنْ يَصِحُّ تَقْدِيمُ
 الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ وَالْفَلَسَفَاتِ الْمُحْدَثَةِ إِلَيْهِ فِي
 صَيَغٍ مِنْ سَهْلِ الْكَلَامِ ، وَثِيَابٍ مِنْ الْقَصَصِ
 الرَّفِيعِ ، حَتَّى لَا يَشْعُرَ بِمَذَاقِهَا حَرِيْفًا ، وَلَا يَضْجَرَ
 مِنْ قِرَاءَتِهَا جَافَةً ، وَإِنَّمَا تَسْرِي إِلَى نَفْسِهِ مَسْرَى
 خَفِيًّا رَفِيقًا ، لَا تَصْدِمُهُ صَدْمَةٌ قَدْ يَحْفَلُ^(١) مِنْهَا ،
 أَوْ تُوَاجِهُهُ بِحَقَائِقَ مُبَاغِتَةٍ لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ أَنْ
 تَظْهَرَ لَهُ دَاهِمَةٌ فَاجِئَةٌ .



وَقَدْ كَادَ يُصْبِحُ مُجْهُورُ الْأَدْبَاءِ الْكِبَارِ فِي
 الْعَالَمِ قَصَاصِيْنَ ، وَأَصْبَحَتِ الْقِصَّةُ الْعَصْرِيَّةُ فِي

القصة

(١) جنل الرجل : ارتعد لأمر فاجأه

مُسْتَوَاهَا الرَّفِيعَ آخِرَ طَوْرِ فِي الْأَدَبِ ، وَأَخَذَتْ
صُورَةَ لَهُ ، وَأَدَقَّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِهِ .



وَقَامَ بِجَانِبِ هَذَا الْفَنِّ نَوْعٌ يُنْظَرُ إِلَيْهِ ، وَمَنْحَى التَّرَاجِمِ
يُطْلُ عَلَيْهِ ، وَأَدَبٌ يُشَابِهُهُ ، لِأَنَّهُ يَجْرِي فِي الْوَاقِعِ
مَجْرَى السَّرْدِ وَالسِّيَاقِ ، وَالرَّوَايَةِ وَالتَّحْلِيلِ النَّفْسِيِّ ،
وَهُوَ أَدَبُ التَّرَاجِمِ ، وَسِيرُ الْمَشْهُورِينَ ، وَالْبَحْثُ
فِي حَيَاةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَبْطَالِ وَالْعُظَمَاءِ ، فَإِنَّ هَذَا الْوَجْهَ
مِنَ الْأَدَبِ ، قَدْ شَاعَ فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ ، وَاتَّجَهَتْ
الْعِنَايَةُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْبَحْثَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَدَقُّ
مَا يَكُونُ ، إِذَا هُوَ اتَّجَهَ نَحْوَ الْبَحْثِ عَنِ الْإِنْسَانِ ،

فِي حَيَاةِ أَسْمَى شُخُوصِهِ^(١) ، وَأَرْفَعَ أَفْرَادِهِ ، وَالَّذِينَ
بَرَزُوا فِي الْعَالَمِ ، وَقَادُوا الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى النُّورِ .



وَقَدْ تَأَثَّرَ الْأَدَبُ لَدَيْنَا بِهَذَا الْإِحْدَاثِ فِيهِ عِنْدَ
غَيْرِنَا . وَظَهَرَ يَبْنَا خَلْقٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَعَدِيدٌ
مِنَ الْكُتَّابِ ، وَنَاطُورَةٌ مِنَ الْمُتَادِّينَ ، يُعْنَوْنَ
بِسَدِّ النَّقْصِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ
الْجَدِيدَةِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ الْمَجْهُودُ الَّذِي
نَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِ اسْتِكْمَالِ أَدَبِنَا عَلَى قِلَّتِهِ ، لَمْ يَتَّسِعْ
بَعْدُ مَدَاهُ ، وَلَمْ يَنْفَسِحْ أَفْقُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَسِيرُ
بَطِيئًا وَلَكِنْ أَكِيدًا ، وَيَمْشِي عَلَى رِفْقٍ ، مُتَزِنًا

مجازاة
الأدب
العربي
للغربي

الْخَطُوءُ ، وَنَحْسَبُ فِي هَذَا الْبَطْءِ خَيْرًا لَهُ ، فَإِنَّ
 الْعَجَلَةَ مَفْسَدَةٌ ، وَالْإِنْدِفَاعَ مُؤَدٍّ إِلَى تَرْكِ كَثِيرٍ
 أَوْ قَلِيلٍ لَا خَيْرَ فِي تَرْكِهِ وَتَقْوِيَّتِهِ ، عَلَى أَنَّ التَّجْدِيدَ
 الْمُنْتَظَمَ الْمُوَاتِي لَيْسَ يُبْلَقُ عَلَى عِذَارِي^(١) الطَّرِيقِ ،
 وَطَرَفِ الثَّمَامِ^(٢) ، بَلْ هُوَ بِمَسِيئِ حَاجَةٍ إِلَى
 تَعَهُدٍ وَسَقْيٍ ، وَتَسْمِيدٍ وَبَذَرٍ ، وَجَهْدٍ كَثِيرٍ ، وَقُوَّةٍ
 مُجْتَمِعَةٍ ، وَعَزِيْمَةٍ مُسْتَحْصَدَةٍ^(٣) ، وَإِمْسَاكِ
 بِالْأَسَالِيِبِ ، وَاحْتِفَازٍ بِالتُّرَاثِ^(٤) ، وَاعْتِرَازٍ
 بِالنُّصُوصِ ، وَصِيَانَةٍ لِلرُّوحِ ، وَتَوْفِيَةٍ بِالصَّيْغِ
 الرِّوَائِعِ ، وَانْتِظَامٍ لِلنِّصَاحِ الْبِدَائِعِ ، وَتَرْمُلٍ

(١) عذارى الطريق : جانباه أى ليس الحصول عليه سهلاً هيناً

(٢) الثَّمَام نبت صغير ضعيف وهى كالتى قبلها كناية عن السهولة

(٣) مستحصدة : قوية مجتمعة (٤) التراث : المال الموروث والمراد

هنا ما ترك الأقدمون من الأدب

بِشَمَلَاتِ الْكَلِمِ الْجَوَامِعِ ، فِي غَيْرِ إِخْضَاعٍ لِلتَّصَوُّرِ
وَالْفِكْرِ ، لِهَيْمَنَةِ ^(١) اللُّغَةِ وَالْفَقْرِ ، وَلَا إِذْلَالٍ لِلْبَلَاغَةِ
وَالدَّرَرِ ، لِسُلْطَانِ الْعُلُومِ وَالْعِبَرِ . وَلَا تَعَنَّتْ فِي
الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ لِهَمَالِيحِ ^(٢) رُؤْيَا الْعَجَّاجِ ، وَاسْتَظْهَارِ
لِمَاتِ الْأَسْمَاءِ لِلْقَعُودِ وَالْأَتَانِ ، وَالصَّلِّ ^(٣) وَالْأَفْعُوَانِ ،
وَالْإِبِلِ وَالْأَشْطَانِ ^(٤) ، وَالْعَلَلِ وَالنَّهْلِ ، وَالْخُمْسِ ^(٥)
وَالسَّدْسِ ^(٦) ، وَالشُّعَارِ بِاللَّفْظِ الْمُسْتَكْرَهِ الْمَلِيخِ ،
وَالْقَوْلِ الْفَسَلِ الْمَسِيخِ ، وَطُولِ مُضَايَقَةِ لِهِنْدٍ وَدَعْدٍ ،
وَتَقْضِيلِ لِرِضْوَى وَسَلْعٍ ، دُونَ الْأَهْرَامِ وَغَيْرِهَا

(١) لسيطرة (٢) رؤْيَا والعجاج كانا رجازان من رجاز العرب

(٣) الثعبان (٤) الجبال وأكثر ما تكون لأشطان البئر

(٥) الخمس للابل هو أن تعطش أربعة أيام وترد الخامس

(٦) السدس: أن تقطع الابل عن الماء خمسة أيام ثم ترد في اليوم السادس

مِنْ الْبُقَع . وَإِفْزَاعٍ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ وَشَيْطَانِهِ ، دُونَ
 إِيقَاطٍ لِشَكْسِيرٍ وَجَبْرِيلِهِ ، لَيْسَ التَّجْدِيدُ جَنَّةً^(١)
 بِاسْتِحَارِ الشَّجَارِ ، عَلَى اللَّفْظِ وَالْفِقَارِ ، وَتَكَاثُرِ عَلَى
 الْبَدِيعِ وَالْجَنَاسِ ، دُونَ انْتِشَارِ لِلْمَعْنَى وَالْقِيَاسِ ،
 وَاعْتِرَازِ بِنَقْدِ أَبِي عُيَيْدَةَ وَسَيَبَوِيهِ ، وَالْأَصْمَعِيِّ
 وَنَفْطَوِيهِ ، دُونَ « تَمْشٍ مَعَ تَيْنٍ » أَوْ اسْتِفَادَةٍ مِنْ
 « سَالِسِيرِي » أَوْ دَرَسٍ « لِسَنْتُ بُوفٍ » أَوْ تَعَرُّفٍ
 « لِدَلَامِيرٍ » وَالْأَخْذِ بِنَظَرِيَّاتِ ابْنِ حَزْمٍ وَالْفَارَابِيِّ ،
 وَابْنِ سَيْنَا وَمَسْكُوتِيهِ ، دُونَ تَقَرُّرٍ « لِفَرُولٍ »
 وَ« رِسْلٍ » وَ« دِيكَارْتٍ » وَ« الْفَرِيدِ دِيمُوسِيَّةٍ »
 وَلَا بَتَرَجِيعِ النَّقْدِ اللَّادِعِ ، وَاللَّفْظِ الْقَاضِعِ ، وَالتَّسْفِيهِ

(١) جنة : أى جنون . واستحار : اشتد .

الْهَادِمِ ، وَالْإِمْسَاكِ بِاللَّهَازِمِ ، وَالْخِنَاقِ الْمُخْنِقِ ،
وَالْقَوْلِ الْمُحْرِقِ ، عَلَى النَّقْدِ الْبَانِي ، وَالْأُسْلُوبِ
الْهَادِي ، وَالْهَدْيِ الْخَادِي ، كَلَّا — وَأَلْفَ مَرَّةٍ كَلَّا ،
بَلْ هُوَ أَنْ تَسْلُكَ النَّافِعَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَتُنْظِمَهُ ،
وَتَزِدُّهُ وَتَهْضِمَهُ ، وَتَسْتَسِيغَهُ وَتَتَفَهَّمَهُ .



أَلَا إِنَّ التَّجْدِيدَ الْحَكِيمَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تُنَادِيَ
بِهِ وَتُسْتَعَجِلَهُ ، وَنُطِبَ^(١) بِهِ الدَّاءَ وَتُسَوِّحِيهِ ،
وَتَرَصِّدَهُ بِالْعُمُومِ وَتُسْتَنْزِلَهُ ، وَالْجَدِيرُ بِحَالِنَا ،
وَالْقَمِينُ لِعَهْدِنَا ، وَالْخَلِيقُ بَعْضَرِنَا ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
لِلرُّوحِ وَالْجَوْهَرِ ، وَاللُّبَابِ الصَّمِيمِ ، وَأَجْنِحَةِ الْمَطَارِ ،

مستقبل
الأدب

وَمُسْتَطَرَفِ الْإِبْتِكَارِ ، وَمُسْتَحْدَثِ الْكَهْرُبَاءِ
وَالْبُخَارِ . وَأَنَّ تَكُونَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ، وَمَا لَنَا مِنْ
ذَخِيرَةٍ أَدَبِيَّةٍ ، وَمُخْلَفَاتٍ شِعْرِيَّةٍ وَتَثْرِيَّةٍ ، وَمُعَلَّقَاتٍ
قَيْسِيَّةٍ ، وَبَدَائِعَ بُحْثِيَّةٍ ، بِمَثَابَةِ الْخَادِمَةِ الْأَمِينَةِ ،
لِشَتَّى الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالطَّرَفِ الْأَنْفِ الْعَالَمِيَّةِ ،
الَّتِي لَيْسَتْ بِحُكْرَةٍ لَخْلُقِ دُونَ خَلْقٍ ، وَلَا خَالِصَةً
لِشَعْبٍ دُونَ شَعْبٍ . التَّجْدِيدُ الْحَكِيمُ يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ قَادِرًا فِي مُتَخَيَّرِ لَفْظِهِ ، وَمُنْتَقَى لُغَتِهِ ، وَوَسِيعِ
فَنِّهِ ، وَوَفِيرِ عِلْمِهِ ، وَمُسْتَدَقِّ خَيَالِهِ ، وَسَاحِرِ جَمَالِهِ ،
وَأَخَذِ مَقَالِهِ ، عَلَى أَنْ يَصِفَ أَدَقَّ وَصْفٍ وَأَوْفَاهُ ،
الْأَحَاسِيْسَ الْفَرْدِيَّةَ ، وَشَتَّى الصُّوَرِ الذَّاتِيَّةَ ، وَمُسْتَدَقَّ
الْعَوَاطِفِ الشَّخْصِيَّةِ ، فِي غَيْرِ هَلْهَلَةٍ ^(١) وَلَا اسْتِكْرَاهٍ ،

(١) أى ضعف وتبدل

وَلَا تَبْذُلْ وَلَا اِرْتِخَاصٍ ، وَفِي غَيْرِ تَبْرُمٍ ^(١) وَلَا تَضْيِيقٍ .
 التَّجْدِيدُ الْحَكِيمُ ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَدَبُ فِيهِ
 عَالِمِيًّا وَشُعُوبِيًّا ، وَإِنْسَانِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا ، مَعَ تِلْكَ الْمِيزَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ السَّاحِرَةِ ، وَتِلْكَ الْخَاصِيَّةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ^(٢)
 الرَّائِعَةِ ، الَّتِي رَاقَ لَفْظُهَا ، وَتَغَنَّى هَزَارُهَا ^(٣) ، وَصَفَا
 أَدِيمُهَا ، وَطَابَ وَقْعُهَا ، وَقَتْنَ سِجْرُهَا ، وَانْتَضَدَ ^(٤)
 دُرُّهَا . بِذَلِكَ كُلُّهُ ، وَمَا لَهُ مِنْ أَمْثَالٍ وَقَرَّائِنَ ، وَأَشْبَاهٍ
 وَنَظَائِرَ ، يَكُونُ تَجْدِيدُ الْكَرَامَةِ وَالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ .



تَبْرُزُ الْمَدْرَسَةُ الْجَدِيدَةُ بِكُلِّ رَوْعَتِهَا وَجَلَالِهَا ،
 وَتَنْبُقُ ^(٥) بِجَمَاعٍ قِيَمَتِهَا وَتَعَالِيمِهَا ، فَيَدْخُلُ فِيهَا النَّشْءُ

مدرسة
الأدب
الحديثة

(١) التبرم : التضجر (٢) العباسية : نسبة إلى العصر العباسي ، وهو
 العصر الذهبي للغة العربية (٣) الهزار : ذو صوت رخيم وهو العندليب
 (٤) انتضد : انتظم (٥) تنبُق : تضيء

أَفْوَاجًا ، وَيَتَغَيَّرُ بِكَثْرَةِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَجْهَ الثَّقَافَةِ ،
 وَتَسِيرُ النَّهْضَةُ حَثِيثًا ^(١) بَعْدَ امْتِلَاكِ قُورَاهَا ، وَتَعَبُدُ ^(٢)
 طَرِيقَهَا إِلَى الْفَلَجِ ^(٣) وَالنَّجَاحِ ، وَبِذَلِكَ كُلُّهُ ،
 وَمَا لَهُ مِنْ أَمْثَالٍ وَقَرَّائِنَ ، وَأَشْبَاهٍ وَنَظَائِرَ ،
 يُمَكِّنُنَا أَنْ نَطْمَعُ فِي أَدَبٍ عَرَبِيٍّ جَدِيدٍ ، جَامِعٍ
 مَانِعٍ ، وَإِنْ شِئْتَ أَوْ إِنْ شِئْتَ دِقَّةً وَتَحْدِيدًا ،
 نَسْتَطِيعُ بِتَآزُرِنَا وَتَأَلُّفِنَا ، وَتَعَاوُنِنَا وَتَحَالُفِنَا ، أَنْ
 نَضَعَ لِبَنَاتٍ ^(٤) لَا بَأْسَ بِهَا ، فِي بِنَاءِ أَدَبِنَا الْقَوْمِيِّ
 الْجَدِيدِ .



أَمَّا وَقَدْ انْتَهَيْنَا سَوِيًّا مِنْ إِثْبَاتِ وَجْهَةِ نَظَرٍ

ارتباط
التاريخ
بالأدب

(١) حثيثاً : مسرعاً (٢) أى التمهيد (٣) الفلج : الظفر

(٤) البنات : الطوب النوى

التَّارِيخِ ، فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنَ الْأَدَبِ عَلَى قَدْرِ
الطَّاقَةِ ، وَتَنَاسُبِ الْمَقَامِ ، لِحَدِيثِ بَنَّا وَقَيْنٌ ، أَنْ نَتَقَدَّمَ
دِرَاقًا ، وَنَمْضِيَ سِرَاعًا ، فَنَذْكُرَ كَلِمَةً أُجْدِيَّةً
أُخْرَى ، بِلَا انْتِفَاحٍ أَوْ دَاجٍ ^(١) وَازْوِزَارٍ ، وَلَا تَسَامِي
عَالِمٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ ، عَنِ الْأَدَبِ الْمِصْرِيِّ وَحَاجَتِهِ
إِلَى الْقِصَّةِ فَنَقُولُ : —



مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً ، أَوْ حَوَالِي ذَلِكَ ، بَدَأَ نَفَرٌ
مِنَ الْكُتَّابِ ، قَرَأُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَدَبِ الْغَرْبِ ،
يَنْقُلُونَ عَنْهُ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ ، وَيُمَازِجُونَ بَيْنَ الْأَدَبِ
الْعَرَبِيِّ الَّذِي تَوَفَّرُوا عَلَى دِرَاسَتِهِ ، وَبَيْنَ أَدَبِ

نظرة
إلى
الوراء

(١) الأوداج : العروق . أى بلا زهو

الْغَرْبِ الَّذِي أُولِعُوا بِهِ ، فَكَانُوا الرُّوَادَ^(١) الْأَوَّلِينَ
وَالْكَشَّافِينَ الْبَاحِثِينَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْفَتْرَةُ مِنْ
الْحَرَكَةِ الْأَدَبِيَّةِ فِي مِصْرَ ، هِيَ فِتْرَةُ انْتِقَالٍ ، وَكَانَ
الدَّوْرُ يَوْمَئِذٍ ، دَوْرَ النُّقْلِ وَالتَّعْرِيبِ .

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ فَضْلًا كَثِيرًا مِمَّا نَرَى الْيَوْمَ ،
مِنْ مَعَالِمِ النّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْبِلَادِ وَآثَارِهَا ،
يَرْجِعُ إِلَى أُولَئِكَ الرُّوَادِ ، وَيَعُودُ إِلَى مَا نَقَلُوهُ ،
مُخْتَفِظِينَ فِيهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ ، وَطَبِيعَةِ الْعَصْرِ ،
بِرُوحِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَأَمْنَاءٍ بِهِ عَلَى مَعَانِي الْمُؤَلِّفِينَ ،
وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَيْضًا فِي أَنَّ التَّرْجَمَةَ ، كَانَتْ
يَوْمَئِذٍ فَوْضَى ، مُرْسَلَةً فِي غَيْرِ اتِّجَاهٍ مُعَيَّنٍ ، وَلَا جَارِيَةً

(١) الرواد جمع رائد : الذي يتقدم القوم يتعرف لهم الطريق

عَلَى نِظَامٍ مَحْدُودٍ ، وَإِنَّمَا مِثْلُ كُلِّ كَاتِبٍ يَقْرَأُ
كِتَابًا فِي لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ ، فَيَرُوقُهُ أَنْ يُوَافِقَ مِرَاجَهُ ،
أَوْ يُصَادِفَ هَوَى فِي نَفْسِهِ ، أَوْ فِي نَفْسِ ذِي سُلْطَانٍ
وَجَاهٍ ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، غَيْرَ حَافِلٍ
بِمَبْلَغِ جَدْوَاهُ^(١) عَلَى حَرَكَةِ الْأَدَبِ ، وَلَا مُتَرَيِّثٍ
لِلتَّفَكِيرِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْهَا ، أَوْ حَاجَةِ الْعَصْرِ ،
وَمُقْتَضِيَاتِ الْجِيلِ .



وَجَرَى مَعَ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الدَّوْرِ آخَرُونَ لَمْ
يَتِمَكَّنُوا مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، فَضَعُفَتْ أَسَالِيهِمْ ،
وَرَثَ لَسَجُهُمْ ، وَلَضَبَ مَاؤُهُمْ ، وَتَرَقَّعَتْ ثِيَابُ

أشباه
الكتاب

عَرَبِيَّتِهِمْ، وَانْتَحَوْا نَاحِيَةَ النَّقْلِ عَنِ الْقَصَصِ الْأُورُوبِيِّ،
فَأَشَاعُوا فِي مِصْرَ نَوْعًا مِنَ الرِّوَايَاتِ مُبْتَدَلًا^(١)،
وَمَلَأُوا السُّوقَ قِصَصًا سُوقِيَّةً مِنْ كُلِّ طِرَازٍ وَلَوْنٍ،
مُنْفَرِدِينَ بِإِمْدَادِ الْقَارِئِينَ الْمِصْرِيِّينَ بِالْقِرَاءَةِ الرَّخِيصَةِ،
بِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْقَصَصِ الْفَرَنْسِيِّ، أَوْ رَوَايَاتِ
الْغَرَامِ، أَوْ حِكَايَاتِ الشَّرَاقِ وَالشُّطَارِ، وَمُخْتَلِفِ
أَنْوَاعِ حَيَاةِ الْأَشْرَارِ.

وَكَذَلِكَ اخْتَلَطَ النَّقْلُ الصَّالِحُ، بِالنَّقْلِ غَيْرِ
الصَّالِحِ، وَغَلَبَ هَذَا عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ وَجَدَ رَوْحًا^(٢)
إِلَيْهِ عِنْدَ الصِّغَارِ وَعَامَّةِ الْقُرَّاءِ، لِمَا يَهِيْجُ بِهِ مِنَ
الْخَوَاسِّ، وَتَنْبَعِثُ لَهُ كَوَامِنُ الْغَرَائِزِ، وَتَسْتَطِيعُهُ

(١) مبتدلاً: محققاً مردولاً (٢) روحاً: أى ارتياحاً

الْأَخِيلَةَ الصَّغِيرَةَ ، وَتَسْتَجِيبُ لَهُ عَاطِفَةً أَنْصَافِ
الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَلَمَّا تَضَمَّنَهُ مِنْ مَجْهُولٍ يَتَطَلَّبُ مَعْلُومًا ،
وَمُبْنَاهُمْ يَسْتَلْزِمُ إِفَاضَةً وَكَلَامًا ، وَحُجْبًا تَشَوُّقُ^(١)
إِلَى اجْتِلَاءٍ .

وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى مَا بَدَأَ بِهِ جَمْعُهُ مِنَ الرُّوَادِ
الْبَرَعَةِ فِي النَّقْلِ ، يَنْكَمِشُونَ^(٢) فِي تَعْرِيبِ عَرَبِيٍّ
حَسَنِ ، وَآخَرُونَ مِنْ مُتَعَهِّدَةِ الْقَصَصِ الرَّخِيسِ ،
يَزْحُمُونَ بِهِ السُّوقَ ، وَيَكَادُونَ يَنْفُونَ مِنْهَا النَّوْعَ
الْحَسَنَ ، وَالصَّنْفَ الْمَقْبُولَ ، حَتَّى لَقَدْ مَضَتْ قَتْرَةٌ
كَانَ فِيهَا الْقَصَصُ الشَّعْبِيُّ الْمُنْقُولُ مِنْ « مِيشِيلِ
دِيفَاكُو » وَأَشْبَاهِهِ ، وَرَوَايَاتِ اللَّصِّ الشَّرِيفِ ،

(١) تشوق : أى تشوق (٢) ينكمشون : يسرعون مجدين

« أَرْسِينَ لُؤْيِينَ » وَمَا يَنْحُو نَحْوَهَا ، هُوَ أَرْوَجَ
 الْأَنْوَاعِ ، وَأَكْثَرَهَا شُيُوعًا فِي أَيْدِي الْقَارِئِينَ ،
 وَأَمْطَرَهَا وَابِلًا ، وَأَخْفَلَهَا إِذْرَارًا^(١) لِّلْمُعَرِّبِينَ ، وَكَانَتْ
 لِشِقْوَةِ اللُّغَةِ ، وَنَكْبَةِ الْأَدَبِ ، وَفَجِيعَةِ الْأُسْلُوبِ ،
 وَمُصِيبَةِ الثَّقَافَةِ ، وَفَسَادِ الذَّوْقِ ، مِعْوَلٌ هَدِمَ
 رَكِينَ ، وَكَيْدٌ عَدُوٌّ مُّيِّنٌ ، وَلَكِنْ لَمْ تَلْبَثِ
 النَّهْضَةُ الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ ، أَنْ زَحَمَتْ هَذِهِ الْعُنَاصِرَ
 الدُّوْنِيَّةَ^(٢) فِي مَضَاجِعِهَا ، وَغَلَبَتْهَا عَلَى أَمْرِهَا ، بَعْدَ
 شُهْرَةٍ فِيهَا وَرَوَاجٍ ، وَظَهَارَةٍ^(٣) لَهَا وَسِيَاجٍ ، وَطَرِيقَةٍ
 وَمِنْهَاجٍ ، فَابْتَدَأَ طَوْرٌ آخَرُ ، مِنْ أَطْوَارِ الْحَرَكَةِ
 الْفِكْرِيَّةِ ، وَهُوَ طَوْرُ التَّأْلِيفِ ، وَأَضْحَى النِّقْلُ

(١) أى كسباً (٢) الدونية نسبة إلى الدون : وهو الوضع

(٣) وظهارة : أى ووقاية وحماية . والسياج : السور

وَفَقَّ الْحَاجَّةَ ، وَالتَّعْرِيبُ قَدَرُ الصَّالِحِ الْمُنْشُودِ ^(١) ،
وَأِنْ ظَلَّ الطَّابِعُ الْغَالِبُ لِلثَّقَلِ مِنْ أَدَبِ الْغَرَبِيِّينَ ،
وَبَقِيَ الْإِتِّجَاهُ مَاضِيًا صَوْبَ سَدَادِ النَّقْصِ ، فِي
نَوَاحِي الْأَدَبِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ .

وَنُرِيدُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْحَاجَّةَ مَا زَالَتْ قَائِمَةً ،
إِلَى الرِّقَابَةِ عَلَى كَثَرَةِ مَا يُخْرِجُهُ الثَّقَلَةُ فِي هَذِهِ
النَّاحِيَةِ ، لِأَنَّ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ مِمَّا يُنْقَلُ إِلَيْنَا ،
أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى النَّقْدِ الْبَادِي ، وَلِأَنَّهُ أَبْعَدُ
شَيْءٍ مِنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ ، وَأُنْأَى مَا يَكُونُ عَنْ
تَلَمُّسِ الْأَبْوَابِ ، الَّتِي مَا عَمَّتْ ^(٢) تَقْتَضِي الْعِنَايَةَ
وَالْتَّقْلِيلَ ، وَالتَّرْجَمَةَ وَالتَّعْرِيبَ .

(٢) ما عَمَّت : أى ما لبثت

(١) المنشود : المطلوب



يُنَدُّ (١) أَنْ فَرِيقًا مِنْ خَيْرَةِ شُبَّانِ الَّذِينَ أَطَالُوا
 الْأَدَبَ الْعَصْرِيَّ الْآنَ
 النَّظَرَ فِي آدَابِ الْفَرَنْجَةِ ، وَتَابَعُوا أَدْوَارَ الْحَرَكَاتِ
 الْأَدَبِيَّةَ عِنْدَ غَيْرِنَا ، مَا لَبَّثُوا أَنْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ
 الْعِنَايَةَ فِي هَذَا الدَّوْرِ مِنْ أَدْوَارِ التَّطَوُّرِ الْفِكْرِيِّ
 يَنْبَغِي أَنْ تَنْتَقِلَ إِلَى الْبَحْثِ فِي تَصْوِيرِ حَيَاتِنَا ،
 وَوَصْفِ مَشَاعِرِنَا ، وَأَحْسَائِسِنَا (٢) ، وَرَسْمِ نَهْضَتِنَا
 مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا ، فَظَهَرَ أَخِيرًا مَا سَمَّوْهُ بِالْأَدَبِ
 الْعَصْرِيِّ ، أَوْ الْقَوْمِيِّ ، وَبَرَزَ لَهُ نَقَرٌ مِنَ الشَّبَابِ
 يَتَحَمَّسُونَ لَهُ ، وَيَنْضَحُونَ (٣) عَنْهُ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْ
 حَرَكَةِ التَّجْدِيدِ ، وَيَنْعَتُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَعَاشِرِ الْمُجَدِّدِينَ .

(١) غير (٢) جمع إحساس وهو الشعور الوجداني (٣) ينضحون :
 ينددون ويدفعون

وَهِيَ حَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ، طَالَمَا لَمْ يُقَصِّرْ أَصْحَابُهَا فِي
إِصَابَةِ سَهْمٍ وَافِرٍ مِنْ نِصَاحٍ ^(١) أَسَالِيهَا الْعَرَبِيَّةَ،
وَلَمْ يُسْرِفُوا فِي دَعْوَى الْإِعْتَزَالِ بِمَا هُوَ عَرَبِيٌّ لِأَنَّهُ
عَرَبِيٌّ، وَلَمْ يُبْعِدُوا فِي الْقَصْدِ بِإِمْسَاكِهِمْ بِتَلَايِبِ ^(٢)
الْفِرْنَجِيَّةِ لِأَنَّهَا فِرْنَجِيَّةٌ فَحَسْبُ.

وَهُنَاكَ فَرِيقٌ ثَانٍ مِنَ الْمُتَرَشِّينَ ^(٣) الَّذِينَ
اشْتَطُّوا ^(٤) فِي الدَّعْوَةِ لِمَذْهَبِهِمْ، فَفَعَّوْا ^(٥) عَلَى عَصْرِ
الترجمة وَوَقَفُوا حَرَكَةَ النِّقْلِ مِنَ الْآدَابِ الْأُخْرَى.
وَهُمْ الْآخَرُونَ لَمْ يُصِيبُوا الْمِثْلَ وَالْقَصْدَ، لِأَنَّ ذَلِكَ
مِمَّا لَا يُجْدِي عَلَى تَقَدُّمِ الْآدَبِ الْقَوْمِيِّ الْمُنْشُودِ،

(١) من نصاح الخ: أى من خالص (٢) تعلقهم بها (٣) المترشِّين:

الذين يأبون الطفرة (٤) بالغوا (٥) عابوه

إِذِ الْآدَابُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ مُتَجَاوِرَةٌ أَوْ خَلِيطَةٌ ،
تَعِيشُ وَتَنْمُو عَلَى التَّزَاوُجِ بَيْنَهَا وَالِاخْتِلَاطِ ،
وَالْتَلْقِيحِ ^(١) وَمَزْجِ الْعُنَاصِرِ الْمُخْتَلِفَةِ . وَنَحْنُ لَا نَزَالُ
أَحْوَجَ مَا نَكُونُ إِلَى هَذَا الْمَزْجِ لِتَقْوِيَةِ دَمِ الْآدَابِ
الْعَرَبِيِّ ، وَتَجْدِيدِ شَبَابِهِ ، فَقَدْ سَبَقْنَا الْعَرَبُ فِي
فُرُوعِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَنَوَاحِيهِ الْمُتَعَدِّدَةِ . وَلَا يَزَالُ
يَنْقُصُنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، إِذَا لَمْ يَتَوَاتَ ^(٢)
لَنَا دَفْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَهُوَ بِلَا رَيْبٍ مُتَوَاتٍ رُويْدًا ،
وَمَعَ التَّطَوُّرِ الْفِكْرِيِّ ، وَالْأَفَاعِيلِ النَّفْسِيَّةِ . وَكُلَّمَا
تَقَدَّمَ يَبْطِئُ ، تَوَطَّدَ وَجَاءَ قَوِيًّا ، غَاثَرِ الْقَوَاعِدِ ،
حَسَنَ الثَّمَرِ ، يَانِعَ الزَّهْرِ ، فَارِعَ ^(٣) الْأَعْوَادِ ،
رَفِيعَ الْعِمَادِ .

(١) التلقيح : التوليد (٢) لم يتوات : لم يتهيا (٣) فارغ الأعواد : طويلها

وَقَدْ رَأَيْنَا جَمْعًا مِنَ الشَّبَابِ الْمُجَدِّدِينَ ، قَدْ بَدَّوْا
 بَدَايَةَ صَالِحَةٍ ، فِي أَكْثَرِ مِنْ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي
 الْأَدَبِ ، الَّتِي تَنْقُصُ أَدَبَنَا الْحَدِيثَ . وَلَا يَزَالُونَ
 مُتَوَفِّرِينَ عَلَى التَّجْدِيدِ فِيهَا وَالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا ، وَاسْتِكْمَالِ
 الْأَفَانِينَ الصَّالِحَةِ لَهَا .



وَإِنَّهُ لَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقُولَ : إِنَّهُ قَدْ نَشَأَتْ
 مَدْرَسَةٌ جَدِيدَةٌ لِلشَّعْرِ ، وَآخَرَى لِلنَّثْرِ ، وَهُمْ
 دَائِبُونَ^(١) عَلَى تَعَهُدِ الْأَدَبِ الْقَوِيمِ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّجْدِيدِ
 وَالِاسْتِحْدَاثِ وَالتَّهْذِيبِ .

المدرسة
الحديثة

عَلَى أَنْ نَاحِيَةَ الْقِصَّةِ لَا تَزَالُ تَقْتَضِي شَيْئًا كَثِيرًا

(١) مواصلون جهودهم

مِنَ الْعِنَايَةِ ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهَا غَيْرُ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ
 الْكُتَّابِ ، وَهُوَ لَاءٌ مَعَ إِجْلَالِنَا لِمَشْكُورِ مَجْهُودِهِمْ ،
 وَتَقْدِيرِنَا لِنَاضِجِ ثَقَاقَتِهِمْ ، وَاعْتِرَافِنَا بِوَافِرِ فَضْلِهِمْ ،
 وَإِشَادَتِنَا بِمُتَقَدِّ حِمَاسِهِمْ ، فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ رُوحَهُمُ الْأَدَبِيَّةَ
 الْمُسَوِّضَةَ ، تَجْعَلُهُمْ يَفْتَرِضُونَ مَعَنَا أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ
 بَعْدَ فِي دَوْرِ الدَّرْبَةِ وَحُدُودِ الْمِرَآةِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ
 يَسْتَوْوُوا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْإِجَادَةِ الْمُنَشُودَةِ ، وَبَرَاعَةِ
 الْإِفْتِنَانِ ، وَمُسَابَقَةِ الْعَرَبِ فِي بَابِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ
 وَلَعَلَّ بَابَ الْقِصَّةِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ لَمْ يَفْتَحْ
 « السِّكُولُوجِي » الَّذِي نَفْهَمُهُ ، وَالْمَعْنَى الَّذِي تَتَذَوَّقُهُ ،
 وَالتَّحْلِيلَ الَّذِي نَسْتَسَيِّغُهُ لِأَحَدٍ مِنْ كُتَّابِ الْعَرَبِ
 الْغَابِرِينَ ، وَلَيْسَ عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ ذَلِكَ

عَابٌ^(١) وَلَا ذَامٌ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْأَدَابِ الْقَدِيمَةِ قَدْ
 خَلَا مِنْ هَذَا الْعُضْرِ فِي شَكْلِهِ التَّفْصِيلِيِّ الْحَاضِرِ ،
 لِأَنَّ الرِّوَايَةَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَى الْأَدَبِ إِلَّا مَعَ الْحُضَارَةِ
 الْحَدِيثَةِ ، وَتَشَعَّبَ نَوَاحِي الْحَيَاةِ ، وَتَعَقَّدَ الْعَاطِفَةُ
 الْإِنْسَانِيَّةُ ، وَكَثُرَتْ مَنَازِعُهَا وَمَصَارِفُهَا ، وَأَسْرَارُهَا
 وَمَنَاقِصُهَا ، وَكَانَ أَدَبُ الدُّنْيَا فِي بَسَاطَةِ الْعُصُورِ
 الْأُولَى شِعْرًا ، مَحْدُودَ الْأَقْفِ ، بِقَدْرِ مَا كَانَتْ الْبَيْئَةُ
 مَحْصُورَةً الْمُضْطَرَبِّ ، ضَيِّقَةَ الْخُدُودِ ، وَلَمْ يَعْرِفِ
 الْأَدَبُ الْيُونَانِيُّ الْقَدِيمُ الْقِصَّةَ عَلَى نَحْوِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
 الْكَفِيلَةِ بِالتَّجْوِيدِ ، وَالْإِلْتِمَامِ الْحَافِزِ بِالْمَزِيدِ ، وَإِنَّمَا
 كَانَتْ الرِّوَايَةُ الْمُسْرَحِيَّةُ أَسْبَقَ مِنَ الْقِصَّةِ ظُهُورًا ،

(١) عَاب : أى عيب . وذام : أى ذم

لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْقَدِيمَةَ كَانَتْ تَقْتَضِي لَهُوَاً عَامّاً ، يُتَّحُ (١)
لِلْجَمَاعَاتِ ، وَكَانَ الْمَسْرُوحُ خَيْرَ وَسِيلَةٍ ، لِإِدَاءِ هَذِهِ
الْغَايَةِ ، كَمَا تَوَافَرَتْ فِيهِ مَزِيَّةُ التَّجَسُّيمِ ، لِتُكْسِبَهُ
الْأَثَرَ الْفَعَّالَ ، وَالتَّسْلِيَةَ الْمُحَسَّاتِ ، وَالرُّوحَ الشَّعْبِيَّ
الدِّيمُوقْرَاطِيَّ (٢) ، مِنْ تَعْمِيمِ الْمُتَمَعِّ ، وَتَوْفِيرِ اللَّهْوِ ،
كَعَامَّةِ طَبَقَاتِ النَّاسِ .

وَلَمْ تَصْبِحْ كِتَابَةُ الْقِصَّةِ فَنّاً مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ
فِي أُورُوبَا ، إِلَّا فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ ، وَإِنْ ظَلَّ بَدَاءَةً
عَلَى قِلَّةٍ قَبْلَ ذَلِكَ ، خِلَالَ الْقَرْنَيْنِ السَّابِعِ عَشَرَ ،
وَالَّذِي تَلَاهُ : وَإِنَّمَا افْتَنَ فِيهِ وَجُودٌ ، وَحُذِّقَتْ (٣)
أَسَالِيْبُهُ ، عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَاتَّسَاعِ أَسْبَابِ الْعُمُرَانِ ،

(١) يتاح : يهياً (٢) أى المبنى على المساواة (٣) فهت على وجهها

وَنُغُوَ الْحَضَارَةِ ، كَمَا أَسْلَفْنَا لَكَ ، وَتَشَعُّبِ أَسْبَابِ
الْحَيَاةِ ، وَتَعَقُّدِ الْعَاطِفَةِ .

وَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ الْعَرَبِ تَجْرِي عَلَى الْبَسَاطَةِ
وَالسَّذَاجَةِ ، فَلَمْ يَعْرِفُوا فَنَّ الْقِصَّةِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ
حَاجَةٌ إِلَيْهِ ، لِسُهُولَةِ الْبَيْئَةِ ، وَانْحِصَارِ الْمُحِيطِ ،
وَحِجَابِ الْمَرْأَةِ ، وَاحْتِجَازِ^(١) حُرِّيَّةِ النِّقْدِ ، وَلَكِنْ
مَا كَادَتْ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ، تَتَوَلَّى الْحُكْمَ ، حَتَّى
أَخَذَ النَّقْلُ مِنَ الْآدَابِ الْأُخْرَى ، يَسِيرُ عَلَى
نَهْجِ مُتَّسِعِ النِّطَاقِ ، فَجَاءَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ بِكِتَابِ
« كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ » وَهُوَ عَلَى أَلْسِنَةِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ ،
وَقَدْ أَحْدَثَ أَثَرًا بَالِغًا فِي حِينِهِ ، إِذْ أُعْجِبَ الْعَرَبُ

(١) احتجاز الخ : منعها أو تقييدها

بِهَذَا التَّوَعُّدِ الْفَرِيدِ ، وَفُتِنُوا بِهِ ، وَذَهَبَ كَثِيرٌ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ يَتَرَسَّمُونَهُ وَيَحْتَذُونَهُ ،
 وَيَضَعُونَ شِعْرًا فِيهِ ، وَيَحْكُونَ بَعْضَ نَوَاحِيهِ ،
 وَلَكِنْ وَقَفَ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ الْإِحْتِدَاءِ ^(١) ، وَسَقَطَ
 دُونَ الْإِبْتِكَارِ ، فَلَمْ تَظْهَرْ غَيْرُ تَجَرُّبَةٍ أُخْرَى ،
 وَهِيَ تَجَرُّبَةٌ بَدَائِيَّةٌ فِي صُورٍ مِنَ النَّوَادِرِ ، أَوْ
 طِرَازٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ ، أَوْ مَنَحَى مِنْ أَلْطَرَاتِ ^(٢)
 وَالْأَخْيَلَةِ ^(٣) الْقَصَصِيَّةِ ، فَظَهَرَتْ مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ ،
 وَالْمَقَامَاتُ الْهَمْدَانِيَّةُ ، وَأَشْبَاهُهَا ، وَإِنْ ظَلَّ الْعَصْرُ
 الرُّوَائِيَّ خِلَالَهَا ضَيَّلًا ، لَمْ يَرْتَفِعْ إِلَى مُسْتَوَى
 الْقَصَصِ الْمَعْرُوفِ .

(١) الاقتداء (٢) ج خـطـرة وهـى ما يعرض على الذهن من صور التفكير

(٣) الأخيلة جمع خيال . وهو معرض الصور الفكرية



ألف
ليلة
وليلة

وَقَدْ ظَهَرَ فِي الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ ، كِتَابٌ عَجِيبٌ فِي
هَذَا الْبَابِ ، وَإِنْ بَقِيَ سِرُّهُ مَجْهُولًا ، وَظُرُوفُ
تَأْلِيفِهِ غَامِضَةً ، وَهُوَ كِتَابُ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ .
الَّذِي أُعْجِبَ بِهِ الْغُرَبَاءُ ، وَأَسْرَفُوا فِي الْإِعْجَابِ بِهِ ،
حَتَّى جَعَلُوهُ مَضْرَبَ الْأَمْثَالِ ، فِي غَرَابَةِ الشَّرْقِ ،
وَعَجَائِبِ صُورِ الْحَيَاةِ فِيهِ ، وَتَقْلُوهُ إِلَى لُغَاتِهِمْ جَمِيعًا ،
فِي ذَهَلَةٍ ^(١) الْمُتَحِيرِ بِهِ ، الْعَاجِبِ لَهُ وَالْمَأْخُوذِ .

عَلَى أَنَّ السِّيَاقَ الْقَصَصِيَّ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي ، لَا يَزَالُ
سَازِجًا ^(٢) ، وَالتَّحْلِيلَ النَّفْسِيَّ فِي شَخْصِيَّاتِهَا مُنْعَدِمًا ،
وَمُتَابَعَةَ أَسْرَارِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَعُقْدِهَا وَأَزْمَانِهَا

(١) أى ذهوله ودهشته (٢) فطرياً

وَدَخَائِلِهَا ، لَا تَكَادُ تَبِينُ^(١) فِي آيَةِ نَاحِيَةٍ مِنْ
نَوَاحِيهَا . وَكُلُّ طَرَفَةِ الْكِتَابِ ، وَإِمْتَاعِهِ ، أَنَّهُ
مُشِيرٌ لِلْحَوَاسِّ ، غَرِيبُ الْأَلْوَانِ ، حَسَنُ التَّنْقُلِ ،
يَفْتِنُ^(٢) الْقَارِئَ فُتُونًا .

وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ اتَّسَعَتْ لِغِنِّ الْقِصَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ ،
أَوْ سَاعَدَتِ الْبَيْئَةُ عَلَى وُجُودِهِ ، لَمَا قَصَرَ الْعَرَبُ
فِيهِ ، بَلْ لَنَهَضُوا بِهِ وَانْفَسَحَ مُضْطَرَبُ التَّجْوِيدِ^(٣)
لَهُمْ ، لِحِدَّةِ ذَكَائِهِمْ وَسُرْعَةِ بَدَاهَتِهِمْ ، وَقُوَّةِ تَعْيِيرِهِمْ
عَنِ اخْلَجَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، وَسُمُوِّ تَصْوِيرِهِمْ لِلطَّبَائِعِ
وَالْحَوَادِثِ وَالْأَشْيَاءِ .

(١) تبين : تظهر (٢) أى يأخذ بمجامع قلبه أخذ السحر

(٣) التجويد : التحسين والتجميل



كتبنا
والأدب
الغربي

وَقَدْ أَخَذْنَا نَحْنُ الْمُحَدِّثِينَ ، عَنِ الْأَدَبِ الْغَرْبِيِّ
أَكْثَرَ فُرُوعِهِ ، وَعَالَجْنَا أَغْلَبَ أَلْوَانِهِ ، وَلَكِنَّا إِلَى
الْيَوْمِ لَمْ نَضَعْ الْقَوَاعِدَ الْمَكِينَةَ ، لِغِنَى الْقِصَّةِ ،
عَلَى حِينٍ تَوَافَرَتْ ^(١) لَدَيْنَا الْمُسْتَلْزَمَاتُ وَأَصْبَحَتْ
حَيَاتُنَا ذَاتَهَا ، بِمَا امْتَلَأَتْ مِنْ حَوَادِثَ وَمَتَاعِبَ
وَأَحْزَانٍ ، وَانْفِعَالَاتٍ وَعَوَامِلَ مُتَعَدِّدَةٍ ، مُذَلِّلَةً
مَادَّةَ الْقِصَّةِ ، مُهَيَّئَةً أَدَوَاتَهَا وَأَسْبَابَهَا الْمُخْتَلِفَةَ .

وَلَا يَزَالُ لَدَيْنَا مِنْ أَسَالِيبِ الْكِتَابِ ، مَا يُشْبِهُ
التَّقْسِيمَ الْفَنِّيَّ ، الَّذِي تَوَافَرَ لِأَدَبِ الْغَرْبِ ، وَفَقَّ
نَزَعَاتِ الْكِتَابِ وَاتِّجَاهَاتِهِمْ . فَلَوْ أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ
تُعَيِّنَ فَرِيقَ « الرُّومَانِيِّكَيْنِ » فِي أَدَبِنَا الْحَدِيثِ ،

(١) توافرت : اجتمعت والمستلزمات للقصة ما تستلزمه وتستدعيه

لَمَّا أُعْجِزَكَ الْمَجْبِيُّ بِأَسْمَائِهِمْ ، كَمَا أَنَّ « الرَّبَّالِيزِيِّينَ »
 أَوْ « الْوَأَقِيعِيِّينَ » مَعْرُوفُونَ فِي الْبِلَادِ بِأَعْيَانِهِمْ .
 وَغَيْرُهُمْ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمُنَوَّعَةِ ، فِي
 أُسْلُوبِ الْكَاتِبِ وَمَنْزَعِهِ . لَا يَزَالُونَ يَكْتُبُونَ عَلَى
 سَجِيَّتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّهُمْ مِنْ هَذَا الْفَرِيقِ
 أَوْ ذَاكَ .

كتاب
 فن
 الفصاة

وَقَدْ نَبَغَ لَنَا فِي السَّنِينَ الْآخِرَةِ شَبَابٌ ، أُوتُوا
 اسْتِعْدَادًا لِلْقِصَّةِ ، وَأَعَانَهُمُ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْقِصَصِ
 عِنْدَ الْفَرَنْجَةِ . فَابْتَدَءُوا يُعْنَوْنَ بِهَذَا الْفَنِّ فِي تَجَرُّبَةٍ
 تُبَشِّرُ بِشَمَرٍ صَالِحٍ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَيُرْجَى أَنْ
 تَنْمُوَ إِذَا تَعَهَّدَتْهَا الْعِنَايَةُ^(١) ، وَتَتَأَصَّلَ لَهَا الْمَسَلَكَاتُ ،

(١) تتأصل : ترسخ

إِذَا لَقِيتَ التَّشْجِيعَ الْحَافِزَ^(١)، وَالِاحْتِثَاتَ^(٢) الْحَكِيمَ .
 عَلَى أَنَّ مَا نَقَصَ فِي بَابِ النِّقْلِ عَنِ الْقِصَّةِ
 الْأَوْرُوبِيَّةِ ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، نَشَأَ مِنْ تَعَدُّدِ الْأَلْوَانِ
 أَمَامِهِمْ ، وَكَثْرَةِ الْأَنْوَاعِ لَدَيْهِمْ ، فَإِنَّ الْعَيْبَ الَّذِي
 أَرَاهُ فِيهَا ظَهَرَ مِنَ الْقَصَصِ الْجَدِيدِ لِأَوْلَيْكَ الشَّبَابِ
 الْحُسْنَى الْبِدَايَةِ ، أَنَّهُمْ قَصَرُوا عِلَاجَهُمْ ، عَلَى نَوْعٍ
 بَدَأَتْهُ ، مِنْ أَنْوَاعِ الرِّوَايَاتِ ، وَتَأَثَّرُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ
 بِنَاحِيَةِ مَحْدُودَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْقَصَصِ ، فَرَسَمُوا فِيهَا
 أَخْرَجُوهُ مِنَ الْقَصَصِ الْقِصَارِ ، أَوْ الطَّوَالِ ، صُورًا
 مِنَ الْحَيَاةِ لَا تَتَّفَقُ مَعَ حَقَائِقِ الْبَيْئَةِ ، أَوْ نَمَازَجَ
 مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ ، قَدْ تَكُونُ انْقَرَضَتْ أَنْوَاعُهَا ،

(١) الباعث (٢) الاحتثات : الاستنهاض في باب القصة

مِنَ الْمُحِيطِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا كُتُبًا مِنْهُمْ ،
يَلْتَمِسُونَ مِنَ الْأَدَبِ الرُّوسِيَّ اخْتِذَاً وَقَوَالِبَ ،
يَقِيسُونَ قِصَصَهُمْ عَلَى غِرَارِهَا وَمِثَالِهَا ، وَهِيَ لَا تَأْتِلِفُ
وَالْحَيَاةَ الْمِصْرِيَّةَ الْحَدِيثَةَ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ .



فَإِذَا مَا تَوَجَّهَتْ الْعِنَايَةُ إِلَى نَقْلِ الْأَوَانِ مُخْتَارَةً ،
مِنْ رَوَائِعِ الْقِصَصِ الْأُورُوبِيِّ فِي مُخْتَلَفِ لُغَاتِهِ ،
كَانَ لِذَلِكَ أَثَرُهُ الْبَلِيغُ فِي حَفْزِ الْمَلَكَاتِ ، وَإِبْرَازِ
الِاسْتِعْدَادَاتِ . الْخُصِيْبَةِ ، وَالسَّلِيْقَاتِ ^(١) الصَّالِحَةِ
لِهَذَا الْفَنِّ الْجَدِيدِ ، الَّذِي كَادَ يَغْمُرُ سَائِرَ فُنُونِ
الْأَدَبِ فِي أُورُوبَا ، وَيَزْحَمُ بَقِيَّةَ فُرُوعِهَا ، إِذْ رَاحَ
الْكُتَّابُ يَلْتَمِسُونَ بَثَّ مَبَادِيهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ

(١) السليقة : الملكة الغريزية

الْجَدِيدَةِ ، فِي قَوَالِبَ مِنَ الْقَصَصِ ، لِتَرْوَحَ سَهْلَةً
التَّعَاطِي ، لَيِّنَةَ الْمُتَنَاوِلِ ، حَيِيَّةً إِلَى النُّفُوسِ ،
مُسْتَحُوذَةً عَلَى الْأَذْهَانِ .

هَذَا هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَجَّهَ الْجُهُودُ الطَّيِّبَةُ
إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْوَاقِعَ أَنَّ السُّوقَ قَدْ نَفَقَتْ ^(١) بِكَثْرَةِ
مَا يُنْقَلُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ ، الْمَلِيَّةِ بِحَوَادِثِ ^(٢)
الشَّرْطَةِ ، وَتَعَقُّبِ الْجُنَاةِ ، وَمُتَبَدِّلِ الْغَرَامِيَّاتِ ، مِمَّا
طَغَى عَلَى الْأَدَبِ اللَّاتِنِيِّ ، فَكَادَ يُفْسِدُهُ إِفْسَادًا .
وَلَنَا فِي الْقَصَصِ الْإِنْجِلِيزِيِّ ، وَالْأَلْمَانِيِّ ،
وَالرُّوسِيِّ ، وَالتَّوْنِجِ الْقَوِيِّ الْفَاضِلِ مِنَ الْقَصَصِ
الْفَرَنْسِيِّ ، فُسْحَةٌ ^(٣) رَحِيبةٌ لِسَدِّ هَذَا النَّقْصِ فِي

(١) نفقت السوق راجت (٢) كالذي ينشر على الجمهور المصري باسم
جونسون أو كارتر أو شارلوك هولمز وغيرها (٣) مدى واسع النطاق

الْأَدَبِ الْقَوْمِيِّ الْمِصْرِيِّ ، فَلَا يَبْقَى غَيْرُهُ تَوَافُرِ النِّيَّةِ ،
وَصِدْقِ الْعَزِيمَةِ ، وَدَقِيقِ الْعِنَايَةِ ، وَحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ ،
لِإِعْطَاءِ الْعَصْرِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَكَمْ كَانَ يَحُلُو لِي أَنْ أَتَحَدَّثَ طَوِيلًا عَنِ التَّقْدِيرِ
وَحَقِيقَتِهِ ، عَلِمًا وَفَنًّا ، وَتَارِيخًا وَتَطَوُّرًا ، وَمَا لَهُ مِنْ
أَثَرٍ عَمِيقٍ يُعْتَدُّ بِهِ فِي تَوْجِيهِ نَهْضَتِنَا التَّجْدِيدِيَّةِ إِلَى
الْإِنْتِاجِ وَالْبَقَاءِ ، وَالتَّشْيِيدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ ، وَالتَّقَدُّمِ
وَالنَّمَاءِ ، وَكَمْ كَانَ يَحُلُو لِي ، أَنْ أَسْتَفِيزَ مَعَكَ
فِي الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَأُمِيطَ ^(١) لَكَ اللَّثَامَ ، عَمَّا
لِنَصْفَةِ النَّقْدَةِ مِنْ سَدَادِ تَرْجِيَةِ ^(٢) ، وَحَكِيمِ تَوْجِيهِ ،

فن
النقد
وخطره

(١) أميط : أكشف (٢) زجّاه ترجية : ساقه وسار به

وَحُسْنِ إِبَانَةٍ ، وَفَضْلِ عَلَى الصَّنَاعَةِ ، وَمَتْنٍ فِي عُنُقِ
 التَّأْلِيفِ ، وَرَوَاجٍ لِلْكِتَابِ وَالتَّصْنِيفِ ، وَإِصَابَةٍ
 لِلنَّصَاحَةِ ، وَإِعَانَةٍ عَلَى الْفَصَاحَةِ ، وَكَمْ كَانَ يَحُلُو
 لِي ، أَنْ أَزَامِلَكَ فِي جَوْلَةٍ فِي تَلْخِصِ كِتَابِ
 « سَالِسُورِي » فِي عِلْمِ النِّقْدِ ، وَأَنْ أُرَافِقَكَ فِي سِيَاحَةٍ
 فِي أَسْفَارِ « مَا كُولِي » ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ إِرْشَادٍ
 إِلَى الْحَقَائِقِ ، فِي شُكْرِ لِلنَّاشِرِ ، وَثَنَاءٍ عَلَى الْمُؤَلِّفِ ،
 فِي غَيْرِ افْتِيَاتٍ وَلَا إِعْنَاتٍ ، وَفِي نَأْيٍ عَنِ الْحَقْدِ
 وَالشَّحْنَاءِ ، وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ ^(١) ، وَالْإِقْدَاعِ ^(٢) وَالْهَجَاءِ ،
 كَمْ كَانَ يَحُلُو لِي - ذَلِكَ كُلُّهُ وَمَا فِي سِلْكِهِ
 وَنِظَامِهِ ، لَوْلَا أَنَّ النِّيَّةَ مُنْصَرِفَةٌ إِذَا مَدَّ اللَّهُ فِي

(١) المراء : الجدل والمناقشة (٢) قذعه وأقذعه : رماه بالفحش

وشتمه . والهجاء الذم

سِنِي الْعُمُرِ ، وَأَطَالَ فِي حَبْلِ الْحَيَاةِ ، إِلَى أَنْ أَفْرَدَ
لَكَ كِتَابًا فِي هَذَا ، وَأَنْ أَسْرَحَ لَكَ فِيهِ ، مَا لَهُ
صِلَاتٌ بِالْأَدَبِ وَالْعَالَمِ ، وَأَعْرِجَ لَكَ فِيهِ ، عَلَى مَضَارِّ
الْخُصُومَاتِ وَالْإِتِّهَامِ بِالزَّندَقَةِ ، وَالتَّشْكِيكِ فِي
الْعَقِيدَةِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَقِّ خَالِصًا ،
وَالْأَدَبُ يَجِبُ أَنْ يُخْلَقَ لِلْفَنِّ مُحْضًا ^(١) ، وَالْفَنُّ يَجِبُ
أَنْ يَتَّجِهَ لِلْجَمَالِ صِرْفًا ، وَالْجَمَالُ يَجِبُ تَجَلُّيَّتُهُ لِرِفَاهَةِ
الْحَسِّ ، وَمُتَعَةِ الْعَيْنِ ، وَصَقْلِ الذَّوْقِ ، مُسْتَسَاغًا حُلُومًا

* *

وَهَذِهِ فُصُولٌ لَعَمْرُكَ تَتَطَلَّبُ الدَّرْسَ وَالتَّقَرُّيَ ،
وَالْفَرْيَ ^(٢) وَالتَّقْصِيَّ ، وَلَكِنَّ قُصَارَى مَا نُثْبِتُهُ لَكَ

وسائل
النجاح
وعدة
الظفر

(١) المحض : الخالص من كل شيء يقال لبن محض أى لا ماء فيه وشراب
محض لم يمزج بماء (٢) فرى الشيء قطعه والمراد التفصيل الدقيق :
والتقري والتقصي : التبع للجزئيات والاحاطة بها

هُنَا ، التَّوَجُّهُ إِلَيْكَ بِالنَّصِيحَةِ — أَنْ تَجْعَلَ الدِّينَ
السَّمَحَ يَبْنِيكَ وَيَبْنِي رَبَّكَ ، وَأَنْ تَتَّخِذَ مِنْ هَدْيِهِ ^(١)
تَهْذِيبَ نَفْسِكَ ، وَتَقْوِيمَ عَوَاجِزِكَ ، وَتَغْذِيَةَ رُوحِكَ ،
وَأَنْ تَتَنَكَّبَ ^(٢) مَا وَسَّعَكَ لَهَا مَزَالِقَ الْفِتَنِ ،
وَاعْتِرَازَاتِ التَّرَدُّي ، وَمَجَاهِلَ التَّدَسِّي فِي الْخُصُومَاتِ ،
الَّتِي تَقُومُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، وَبَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ،
وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْأَضْلُولَةِ ، وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ وَالْأَحْبُولَةِ ^(٣) ،
وَبَيْنَ الْوَجْدَانِ وَالسَّخِيمَةِ ^(٤) ، وَبَيْنَ السَّلِيمَةِ وَالسَّقِيمَةِ ،
وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ ^(٥) وَبَيْنَ الْقَصْدِ وَالسَّرَفِ ،
وَبَيْنَ الْإِفْتِيَاتِ وَالْإِرْشَادِ ، وَبَيْنَ الْإِعْوَاجِ وَالسَّدَادِ ،

(١) أى من التخلق بصفاته تعالى يقال . هَدَى هَدَى فلان . سار
سيرته (٢) تنكب الطريق حاد عنها والمزالق جمع مزلة : الموضع الذى
ترل فيه القدم من وحل وغيره والمراد الابتعاد عن الفتن والشكوك
(٣) شرك الصائد (٤) السخيمة : الاحنة والبغضاء (٥) المين : الكذب

وَيَيْنَ الْحَلَكَةِ وَالنُّورِ ، وَيَيْنَ الْإِفَادَةِ وَالْعُرُورِ ،
وَيَيْنَ الرِّقَّةَ وَاللُّطْفِ ، وَالشَّدَّةَ وَالْعُنْفِ ، وَيَيْنَ
التَّعْلِيمِ وَالتَّجْرِيحِ ، وَيَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالتَّوْضِيحِ ،
وَيَيْنَ الْمُكْتَوَى وَالصَّحِيحِ ، وَيَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمُبْنَى ،
وَيَيْنَ الْعِبَارَةِ وَالْمَعْنَى ، وَيَيْنَ الْإِجْحَافِ وَالْإِنْصَافِ ،
وَيَيْنَ الْإِصْلَاحِ وَالْإِتْلَافِ ، وَيَيْنَ الْمَعْدَلَةِ وَالتَّخْيِيفِ ^(١) ،
وَيَيْنَ الْإِفَادَةِ وَالتَّعْسُفِ ، وَيَيْنَ الْإِجَادَةِ وَالتَّحْرِيفِ ،
وَيَيْنَ الْعَقْلِ وَالشَّهْوَةِ ، وَيَيْنَ الزُّبْدِ وَالرَّغْوَةِ ،
وَيَيْنَ الْهُدَى وَالتَّدْنَى ، وَيَيْنَ الْجَنَى وَالتَّجَنَّى ،
وَيَيْنَ الشِّفَاءَ وَالتَّشْفَى ، وَيَيْنَ الْوَرَعَ وَالْغَايَةَ ^(٢) ،
وَيَيْنَ الْبِدَايَةَ وَالنَّهَايَةَ .

(١) الظلم والانتقاص (٢) العلة والغرض



النقد
وأثره

وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَحُولُ يَنِينًا وَيَيْنَ أَنْ
نَجْتَزِيَّ لَكَ الْقَوْلَ ، بَانَ النِّقْدَ هُوَ الْمُرْشِدُ الْبَرِيءُ ،
وَالْمَعْلَمُ الْمُؤَدَّبُ ، وَالظَّهِيرُ الْمُعِينُ ، الَّذِي يُقَدِّرُ
مَتَاعِبَكَ فِي التَّأْلِيفِ ، وَيُشِيدُ^(١) بِأَوْجِهِ إِحْسَانِكَ ،
وَيُجَلِّي لَكَ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ ، فِي أَدَبٍ وَلِيَّاقَةٍ ،
وَحَذَقٍ وَلِبَاقَةٍ ، مَعَ تَحْلِيلِ الْمَوْضُوعِ ، شَخْصًا كَانَ
أَوْ عَصْرًا ، إِلَى مَالِهِ مِنْ عُنَاصِرَ وَمُقَوِّمَاتٍ ، وَآثَرِ
بَيْئَةٍ وَوَسَطٍ ، وَوَرِاثَةٍ وَدَمٍ ، وَمَنْبَتٍ وَمَنْجَمٍ ،
وَمِزَاجٍ نَحِيزَةٍ^(٢) ، وَطَبِيعَةٍ إِقْلِيمٍ ، إِلَى مَا يُبَالِسُ
عَصْرَكَ مِنْ عُلُومٍ وَفُنُونٍ ، وَحَقَائِقَ وَبِدَايَةٍ ،

(١) يشيد : ينوه يذكره ويرفعه (٢) النحيزة : الطبيعة والسجية

وَنَظَرِيَّاتٍ وَأُسُسٍ ، وَمَدَارِسٍ تَفْكِيرٍ ، وَقَوَاعِدٍ
 جَدَلٍ ، وَأُصُولٍ تَقْدٍ ، وَمَعَايِيرٍ مَنَظِقٍ ، وَمَقَايِيسٍ
 مُقَارَنَةٍ ، وَأَوُجُهٍ مُوَازِنَةٍ ، وَتَنَاسُبٍ مُقَدِّمَاتٍ ،
 وَاسْتِخْلَاصٍ نَتَائِجٍ ، وَفَهْمٍ لِطَرِيقَةٍ « دِيكَارْت »
 وَتَعَرُّفٍ لِمَنَاهِجٍ « كُولِيدِج » ، وَاسْتِيعَابٍ لِتَارِيخٍ
 « سَالْسْبُورِي » ، وَانْتِهَالٍ مِنْ مَقُولَاتٍ
 « مَا كُولِي » وَوَقْفَةٍ عَلَى أَطْلَالٍ مَذْهَبٍ « بُوَالُو »
 فِي اسْتِشْرَافٍ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَمَالِ وَالْخَيْرِ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ ، وَدَرَسٍ لِلطَّبِيعَةِ الْمُرَكَّبَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لِذَاتِهَا
 لَا لِأَشْخَاصِهَا ، وَوَصْفٍ لِلصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ ،
 وَالْفَضَائِلِ الْبَشَرِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَالطَّبَائِعِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ
 الْعَامَّةِ ، كَمَدْرَسَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الَّتِي كَانَ فِي

طَلِيعَةً كَمَا تَهَا^(١) « كُورِنِي » « وَمُولِير » « وَأَسِين »
 وَأَتْرَابُهُمْ وَأَشْبَاهُهُمْ ، وَانْتَقَالَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَذْهَبِ
 الْإِيحَابِيِّ ، وَهُمْ « أُوجِسْتُ كُنْتُ » « وَارْنِسْتُ
 رَيْنَانُ » وَرَائِدُهُمْ « تَيْنُ » الَّذِينَ يَتَوَخَّوْنَ الْبَرْهَنَةَ
 الْعِلْمِيَّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَيُرْجِعُونَ مُقَوِّمَاتِ الرَّجُلِ
 إِلَى الْجِنْسِ وَالْبَيْئَةِ وَالطَّبِيعَةِ وَالزَّمَنِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ،
 مَعَ التَّمَانَا بِمَذْهَبِ — « فِرْدِينَانْدِ بُرُونْتِير » ، فِي
 التَّدْرُجِ وَالْإِنْتِقَالِ ، الْمُبْنَى عَلَى فِلْسَفَةِ « دَارْوِن^(٢) »
 فِي النُّشُوءِ وَالْإِرْتِقَاءِ ، مِنْ تَقْسِيمِ الْأَدَابِ الْعَامَّةِ ،
 مِنْ وَجْدَانِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَشَعْرِيَّةٍ وَتَثْرِيَّةٍ ، إِلَى
 وَحَدَاتٍ وَفَصَائِلَ ، مِمَّا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ الْإِسْهَابِ

(١) الكلمة جمع كمي وهو الفارس الجريء (٢) داروون : صاحب
 مذهب النشوء والارتقاء

فِيهِ ، وَالشَّرْحَ لَهُ ، مَعَ أَخْذِنَا بِأَسَالِيبِ الْعَرَبِ ،
وَتَذَوُّقِ لِمَعْنَى الْجَمَالِ ، فِي صَفَاءِ رُوحٍ ، وَمَضَاءٍ^(١)
عَزِيمَةٍ ، وَنَفْسٍ طُلَعَةٍ^(٢) ، وَرَهَافَةٍ أَحْسَاسٍ لِلْمُوَازَنَةِ
وَالْإِفَادَةِ ، وَاضْطِلَاعٍ بِقُدْسِيَّةِ الْعِلْمِ ، وَأَمَانَةِ الْبَحْثِ ،
وَحُرْمَةِ الْعُقُولِ ، وَاسْتِكْنَاهِ^(٣) لِهَدْيِ الْجَدَلِ الْمُتَرَفِّقِ
الْوَيْدِ ، وَتَحَرُّرٍ مِنْ رِبْقَةٍ^(٤) التَّعْنَتِ الْعَتِيدِ ، وَنُزُولٍ
عَلَى سِيَاسَةِ التَّسْهِيلِ وَالتَّعْيِيدِ ، وَالتَّأْسِيسِ وَالتَّشْيِيدِ ،
وَأَنْ تَكُونَ الرُّوحُ الْحَاكِمَةُ عَلَى سُلْطَانِ النَّقْدِ ،
الْحَافِزَةُ إِلَى الْإِرْتِصَادِ^(٥) لَهُ ، وَالتَّبَسُّطِ فِيهِ ، الْأَخْذَ
بِصَفْوِ الْمُؤَلَّفِ ، لَا إِهْدَارَ جُهِدِهِ ، وَالْمُضَى فِي

(١) مضاء السيف حدثه (٢) النزاعة إلى الوقوف على كل خفي
كثيرة الرغبات (٣) استكنه الشيء أدرك كنهه وحقيقته (٤) ربة :
أسر (٥) الارتصاد : الترقب

الْإِعَانَةَ لَهُ لَا التَّقَحُّمَ ^(١) لِإِنْتِقَاصِ أَثَرِهِ ، وَالتَّقَدُّمَ
 إِلَى شِدِّ أَزْرِهِ ^(٢) ، لَا التَّهَانِفَ ^(٣) بِذِكْرِهِ ، وَاجْلَالَ
 صَنِيعِهِ فِي ذَوْبِ نَفْسِهِ ^(٤) ، وَاعْتِصَارَ ذِهْنِهِ ، وَسَهَرَ
 لَيْلِهِ ، وَمَتَاعِبِ تَحْصِيلِهِ ، وَدُؤْبِ أَكْبَابِهِ ، وَمُضْنَى
 أَمْضَائِهِ ، وَعَنَاءِ كِتَابِهِ ، بِدِيلًا مِنْ سِيَاسَةِ السُّخْرِيَّةِ
 وَالتَّكْذِيبِ ، وَاهْذَمِ وَالتَّخْرِيبِ ، وَاللَّوْمِ وَالتَّثْرِيبِ ،
 فِي غَيْرِ هَذِي وَلَا تَعْقِيبِ .



« أَمَّا بَعْدُ » فَقَدْ ائْتَوَيْتُ بِفَضْلِهِ وَمَنْنِهِ ، الْمُضَى
 فِي إِصْدَارِ « مَكْتَبَةِ الْقِرَاءَةِ وَالثَّقَافَةِ الْأَدَبِيَّةِ »

مكتبة
الثقافة

(١) التقحم : الدخول فيه بشدة ومشقة (٢) الأزر : القوة والساعد
 (٣) التهانف : الضحك سخريه واستهزاء (٤) ذوب نفسه : إرهاقها
 (٥) اعتصار الذهن كناية عن إجادة التفكير

وَجَعَلْتُ شِعَارَهَا « الْوَقْتُ مِنْ ذَهَبٍ » . وَجَعَلْنَا قِسْمًا
 مِنْهَا بِحَجْمِ الْجَنْبِ ، لَيْسَ هَلْ حَمَلَهَا ، وَلِئِتَاحِ
 اسْتِعْمَالِهَا ، فِي كُلِّ ظَرْفٍ وَأَنٍ ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ
 وَزَمَانٍ ، أُسْوَةٌ ^(١) بِمَا فَعَلَهُ الْفَرَنْجَةُ فِي هَذَا الشَّانِ ،
 مُقْتَدِيًا فِيهَا بِمَطْبُوعَاتِ « تُوْتِشْتِرِ الْأَلْمَانِيَّةِ » وَمَكْتَبَةِ
 الْجَنْبِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَجَامِعَةِ الْجَنْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَمَا
 فَعَلَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَابْنُ الْمُذْبِرِ ، وَالْمَأْوَرْدِيُّ وَغَيْرِهَا ،
 حَتَّى لَا تُحْرَمَ الْمُؤَلَّفَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعْتَبَرَةُ ، مِنْ هَذَا
 الْوَضْعِ النَّافِعِ الْجَدِيدِ . وَهَآكَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ
 السَّلْسِلَةِ الَّتِي انْتَوَيْنَاهَا مِنَ التَّحَدُّثِ عَنْ أَدَبِنَا الْعَرَبِيِّ
 وَقِسْمًا آخَرَ عَلَى غَرَارِ ^(٢) الْكُتُبِ الْعَامَّةِ ، لِأَسْئَلُكَ ^(٣)
 فِي عِقْدِهَا أَمْثَالَ كُتُبِ « الْغَزَالِيِّ » وَ « مُعْجَمِ الْأَدَبَاءِ »

(١) أسوة : اقتداء (٢) غرار : نمط و طراز (٣) لأسئلك : لأنظم

و « نَفَحَ الطَّيْبِ » وَ « الْحَيَوَانِ وَالْبَيَانَ » وَ « الْعَقْدِ
 الْفَرِيدِ » وَ « الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَابْنِ خَلَّكَانَ وَابْنِ
 مَسْكُوِيَّةَ وَكَشَفِ الظُّنُونِ » وَمَا إِلَيْهَا مِنْ طِرَازٍ
 جَدِيدٍ ، مِنْ الشَّرْحِ وَالْإِيضَاحِ ، وَالضَّبْطِ وَالْإِفْصَاحِ ،
 وَالْبَيَانِ وَالنِّصَاحِ .

وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ، وَالتَّمَامَ بِحُسْنِ
 حَوْلِهِ ، فِي إِصْدَارِهَا ، وَأَنْ يَتْلُوَ ذَلِكَ الْمَكْتَبَاتُ
 التَّارِيخِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ ، وَالْقَصَصِيَّةُ وَالْعَامِيَّةُ وَالْفَلَسَفِيَّةُ ،
 وَالْجُغْرَافِيَّةُ ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .



« وَبَعْدُ » فَإِنَّ كُتُبَنَا الْعَرَبِيَّةَ عَامَّةً ، تَتَطَلَّبُ
 عِنَايَةً وَتَجْدِيدًا ، بَلْ إِنَّ الْمَطْبُوعَ مِنْهَا بِحَاجَةٍ إِلَى

الكتب
 العربية
 والذوق
 العصري

تَحْقِيقٍ وَتَدْقِيقٍ ، وَمُقَارَنَةٍ وَمُعَاوَدَةٍ ، « وَالْعِصْمَةُ لِلَّهِ » ،
وَلِكُلِّ عَصْرِ وَجْهَتُهُ ، وَلِكُلِّ وَقْتٍ ذَوْقُهُ ، وَلِكُلِّ
جِيلٍ اتِّجَاهُهُ ، وَالْقِرَاءَةُ عَامَّةٌ ، سِوَاهُ أَكَانَتْ عَنْ
الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ ، أَمْ الْآدَابِ الْبَالِغَةِ ، أَمْ الْحُكْمِ
الرَّائِعَةِ ، أَمْ التَّوَارِيخِ الْمُدَقَّقَةِ ، أَمْ الشَّقَاقَاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ ، هَذِهِ كُلُّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالتَّهْذِيبِ ،
وَالْتَّجْدِيدِ وَالتَّشْذِيبِ ^(١) ، وَتَأْيِيدِ الْقَارِئِينَ ، وَتَشْجِيعِ
النَّاشِرِينَ ، وَعَوْنِ الْحَاكِمِينَ .



وَإِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يُقَيِّضَ ^(٢) لَنَا مَنْ يُوقِّقُ إِلَى
الْمُضِيِّ قُدَمًا فِي خِدْمَةِ كُتُبِ « الْمَقَرِّي » ^(٣) »

(١) التشذيب : التهذيب والتنقيح (٢) يقيض : يهين

(٣) صاحب كتاب نفع الطيب

« وَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ » ، « وَالْمُبَرِّدِ » ، « وَالْجَاحِظِ » ،
 « وَأَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ » ، « وَعَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ
 الْأَصْفَهَانِيِّ » ، « وَالصَّغَانِيِّ » ، وَأَسْأَلُهُ مُبْتَهَلًا
 إِلَيْهِ ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَمِثَّتْهُ ، أَنْ يَحْشُرَنِي مَعَ تِلْكَ
 الزُّمَرَةِ الْعَامِلَةِ ، وَالنَّاظُورَةِ الدَّائِبَةِ ، الْمُكَرَّسَةِ^(١)
 حَيَاتَهَا عَلَى إِحْيَاءِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَخِدْمَةِ الثَّقَافَةِ
 وَالْقِرَاءَةِ ، يَنْ ظَهَرَ انِّي^(٢) النَّاشِئَةَ النَّاهِضَةَ ، بِمُؤَاوَزَتِهِ^(٣)
 وَتَوْفِيقِهِ .



وَأُمِّلُ أَنْ يَتَدَبَّرَ وُلاةُ الْأُمُورِ قِيَمَةَ الزَّمَنِ ،
 وَأَنْ يَحْشُرُوا^(٤) عَنْ سَاقِيهِمْ فِي تَوْجِيهِ نَظَرِ رِجَالِ

واجب
الولاية
نحو
الثقافة

(١) المكرسة : الواقفة (٢) بين ظهرا نبيهم : أى وسطهم وفى معظمهم
 (٣) بمؤازرته : مساعدته (٤) يحسروا الخ يكشفوا عن ساعدهم

التَّرْبِيَّةَ وَالتَّعْلِيمَ ، إِلَى بَثِّ التَّعَالِيمِ الصَّالِحَةِ . الَّتِي
تَرْمِي إِلَى اسْتِفَادَةِ الشَّبَابِ النَّاهِضِ مِنْ أَوْقَاتِ
الْفَرَاغِ ، وَأَنْ يُوجِّهُوا الْعِنَايَةَ بِالْقِرَاءَةِ الْمُفِيدَةِ ،
وإِنْعَامِ النَّظَرِ فِي الْمُفْرَدَاتِ ، وَأَنْ يَتَفَهَّمُوا حِكْمَةَ
« رِسْكُنْ » الَّتِي يَقُولُ فِيهَا « قَدْ تَقْرَأُ كُلَّ مَا فِي
دَارِ الْكُتُبِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَتُصْبِحُ بَعْدَ كَمَا
كُنْتَ ، إِنْسَانًا غَيْرَ مُتَعَلِّمٍ ، وَلَكِنْ إِذَا أَنْتَ
قَرَأْتَ عَشْرَ صَفَحَاتٍ بِإِمْعَانٍ فِي كِتَابٍ طَيِّبٍ ،
كُنْتَ - إِلَى دَرَجَةٍ مَّا - إِنْسَانًا مُتَعَلِّمًا » . كَمَا
أَرْجُو أَنْ يَضَعُوا سِيَاسَةً « بَيْسِكُلُوجِيَّةً » لِلِاسْتِفَادَةِ
مِنْ أَوْقَاتِ الْعُطْلَةِ الدَّرَاسِيَّةِ ، وَذَلِكَ بِإِسْدَاءِ النُّصَحِ
لِلطَّلَبَةِ بِطَرِيقَةٍ مُنَسَّقَةٍ سَهْلَةٍ أَيْ بِقِرَاءَةِ كُتُبٍ

مُعِينَةً تُفِيدُهُمْ إِذْرَاكَ وَمَادَّةً وَثِقَافَةً ، وَأَنْ يَبْذُلُوا
 قُصَارَى^(١) الْجُهْدِ فِي مُحَارَبَةِ تِلْكَ الْعَادَةِ الْقَبِيحَةِ
 الْمُسْتَرْذَلَةِ ، عَادَةِ « قَتْلِ الزَّمَنِ » وَأَنْ يُلْهِمُوا الْجَمِيعَ
 إِلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ غَرَضٍ سَامٍ ، يَكُونُ هَدَفُهُ
 وَغَايَتُهُ وَمَفْزَعُهُ وَقِبْلَتُهُ ، وَأَنْ يَتَدَبَّرُوا قَوْلَ عُمَرَ
 ابْنِ الْخَطَّابِ « إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ
 سَبَهْلًا ، لَا فِي عَمَلٍ دُنْيَا وَلَا فِي عَمَلٍ آخِرَةٍ »
 وَأَنْ يَسْتَكْثِرُوا مِنَ الْمَكْتَبَاتِ الْمُسْتَقْلَةِ هُنَا وَهُنَاكَ ،
 فَشَدَّ^(٢) مَا نَحْتَاجُ إِلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالتَّهْذِيبِ
 الصَّحِيحِ ، وَالْأَدَبِ الصَّحِيحِ وَالذَّوْقِ الْعَامِّ الصَّحِيحِ .

(١) قصارى الجهد : غايته (٢) فشد : أى كثيراً ما نحتاج



كَمَا آمَلُ ، وَقَدْ غَنَى وُلَاةُ الْأُمُورِ فِي وَزَارَةِ
التضافر العام على نشر الثقافة
الْمَعَارِفِ بِإِصْلَاحِ الْمَنَاهِجِ عَامَّةً ، وَفَتْحِ الْبَابِ عَلَى
مِصْرَاعِيهِ لِكُلِّ مُصْلِحٍ مُجْتَهِدٍ فِي إِثْرَاءِ لُغَةِ الْعَرَبِ ،
وَكُتُبِ الْأَدَبِ : أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ خُطَّتِهَا الْحِكِيمَةَ
الْمُسَدَّدَةَ إِزَاءَ الْمَدَارِسِ الْحُرَّةِ ، وَتَشْجِيعَهَا لِلتَّعْلِيمِ
الْحُرِّ ، خُطَّةً مُمَثِّلَةً ، فِي سَخَاءٍ وَمُثَابَرَةٍ ^(١) ، إِزَاءَ
الْمُؤَلِّفِينَ وَالنَّاشِرِينَ ، وَأَنْ يُبَيِّتَ ^(٢) الْقَائِمُونَ بِشُؤْنِ
التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، فِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَعَصْرِ ، رُوحَ الْقِرَاءَةِ
الْمُفِيدَةِ فِي نُفُوسِ الشَّبَابِ ، فَهُمْ عُدَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ ،
وَعِمَادُ الْأُمَّةِ ، وَصُرُوحُ ^(٣) الْبُنْيَانِ ، فِي حَرَكَةِ حُرِّيَّتِهَا
وَاسْتِقْلَالِهَا ، وَكَرَامَتِهَا وَرَفَاهِيَّتِهَا ^(٤) .

(١) المثابرة: المداومة والمواظبة (٢) يبيت: ينشر (٣) الصروح
جمع صرح: وهو البناء العالي (٤) ورفاهيتها: أى حضارتها ومدنيتها



نصيب
دار
الكتب
من
الثقافة

كَمَا آمَلَ مِنَ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِدَارِ كُتُبِنَا الْمَلِكِيَّةِ ،
أَنْ يُعْنَى بِطَلَبِ فَهَارِسِ دُورِ الْكُتُبِ الْعَالَمِيَّةِ ،
الَّتِي بِهَا فَضْلٌ^(١) مِنْ مَخْطُوطَاتِ تَوَالِيفِنَا الْعَرَبِيَّةِ ،
وَأَنْ تَسْتَخْرِجَ أَتْمَاءَ تِلْكَ الْكُتُبِ ، وَتَتَعَرَّفَ
بِمَوْلَّيِّهَا وَعُصُورِ كِتَابَتِهَا ، وَأَنْ تَسْتَخْرِجَ فِي الْوَقْتِ
نَفْسِهِ مِنْ فَهَارِسِهَا الْمُطْبُوعَةِ ، الْكُتُبَ الْمَخْطُوطَةَ
وَعُصُورَ كِتَابَتِهَا ، ثُمَّ تُفَرِّدَ لِلْمُؤَلِّفِينَ أَضَايِرَ^(٢)
خَاصَّةً ، وَلِلْكُتُبِ النَّاقِصَةِ قَرَاتِيصَ مُحْتَجِزَةً^(٣)
وَكَوَاعِدَ^(٤) مُعَيَّنَةً ، لِيُؤْخَذَ فِي تَقْصِي أَوْجُهٍ تَكْمِلَتِهَا ،

(١) فضل : أى زيادة (٢) أضايير : جمع إضارة : وهى الضوابط
والفهارس تجمع أسماءهم وتراجهم (٣) مفرزة معينة (٤) كواعد جمع
كاغد : وهو الورق

وَفَحْصٍ مُتَفَرِّقٍ شَتَاتِهَا ، مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ ، ثُمَّ تَمَضَى
 فِي الْمُقَابَلَةِ وَالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مَخْطُوطَاتِهَا بِأَخْذِهَا صُورًا
 فُتُوغْرَافِيَّةً لِمَا فِي الْخَارِجِ ، وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّهَا
 سَتَنْتَهِي بِمَطَافِهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ ، بِأَجْدَرِ النَّاتِجِ
 وَالشَّاءِ ، وَأَحَقُّ الْأَثَارِ بِالْبَقَاءِ .



وَأَمَلْ أَخِيرًا وَقَدْ قَرَّرْتُ حُكُومَةَ الْبِلَادِ :
 دَارِ الْكُتُبِ
 وَإِقَامَةَ بِنَاءٍ فَخْمٍ لِدَارِ الْكُتُبِ ، يَتَّفِقُ وَزَعَامَةُ مِصْرَ
 وَالشَّرْقِ ، وَقِيَادَتَهَا لِلنَّاطِقِينَ بِالضَّادِ ، وَخَصَّصْتُ
 لَذَلِكَ حَوَالِي ثَلَاثِ مِليُونِ جِنِيهِ : أَنْ تَجْرِيَ عَلَى
 نَفْسِ هَذَا السَّخَاءِ ، إِزَاءَ تَخْصِيصِ مَبَالِغِ يُعْتَدُّ بِهَا ،
 لِنَقْلِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِنْ لُنْدُنَ وَبِرْلِينِ

وَبَارِيسَ ، وَكُوبَرْلِي بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلِيدِنَ مِنْ مُدُنِ
الْغَرْبِ ، وَعَوَاصِمِ الشَّرْقِ وَلَا سِيَّمَا مَكْتَبَةَ الشَّاهِ
بِطَهْرَانَ الَّتِي يُرَجَّحُ كَثِيرًا وُجُودُ مَخْطُوطَاتٍ قِيَمَةٌ
بِهَا مِنْ تَوَالِيفِ الْمَوَالِي الْفُرْسِ وَأَشْعَارِهِمْ ،
وَمَكْتَبَتِي بَغْدَادَ وَدِمَشْقَ اللَّتَيْنِ تَحْوِيَانِ لَا مَحَالَةَ
طُرْفًا مِنْ هَذَا أَيْضًا ، وَإِنَّ نَظْرَةً عَجَلَى^(١) إِلَى
مَا يَنْقُصُنَا مِنَ الْمَظَانِ^(٢) الْعَرَبِيَّةِ الْمَخْطُوطَةِ ، وَإِلَى
مَا فِي الْمَوْجُودِ مِنْهَا بِدَارِ الْكُتُبِ ، مِنْ تَحْرِيفٍ
وَتَصْحِيفٍ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الذَّخِيرَةِ لِابْنِ « بَسَّامٍ » ،
وَالْمَشْهُورِ وَالْمَنْظُومِ لِابْنِ « طَيْفُورَ » وَالْحَيَوَانَ
« لِلْجَاحِظِ » وَغَيْرِهَا ، لِمَا يَتَطَلَّبُ عِنَايَةً لَا كَمَالَ

(١) عجلَى : سريعة (٢) المظان : المراجع

تَقْصِيهِ ، وَإِصْلَاحَ خَطِيئِهِ ، خِدْمَةً لِلْأَدَابِ ، وَحِرْصًا
عَلَى تَرَاثِ^(١) الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، حَتَّى يَكُونَ حَفِيلِنَا
يَجُوهَرُ الْعِلْمَ ، كَحَفِيلِنَا - بِفَخَامَةِ الْمُنْبَنِ ،
وَرُوءِ^(٢) الْمَنْظَرِ .

تمهيد
للهامش

☆
☆ ☆

وَالْآنَ وَقَدْ انْتَهَيْنَا بِمَعُونَةِ اللَّهِ مِنْ كِتَابِنَا التَّعْلِيقِ عَلَى
الْمُقَدِّمَةِ فَهَلُمَّ مَعِيَ أَطَالِعْكَ بِكِتَابِنَا الْخَامِسِ وَهُوَ
«الْهَامِشُ» عَلَى التَّعْلِيقِ . لِنُلِمَّ مَعًا بِشَيْءٍ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنْ
نَتَاجِ تِلْكَ الْعُقُولِ الْغَرِيْبَةِ الْجَبَّارَةِ فِي الْأَدَبِ
الْمُقَارَنِ ، وَنُشْرِفَ عَلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الْخُصْبَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ
فِي تَكْوِينِ نَوَابِغِ الْعَالَمِ وَعُظُمَائِهِ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) التراث : ما يرثه الخلف عن السلف من مجد وما أثر وغير ذلك

(٢) رواء المنظر : حسنه وجماله وتنسيقه

تَدِينُ الْبَشَرِيَّةَ لَهُمْ بِمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ صَلَاحٍ
وَأِصْلَاحٍ ، وَتَقْدُمُ وَارْتِقَاءً ، وَهَنَاءً وَسَعَادَةً ، وَلِتَرَى
مَا هِيَ الْعَوَامِلُ الَّتِي بَلَغَتْ بِهِؤُلَاءِ إِلَى أَنْ مَلَكَتْهُمْ
الطَّبِيعَةُ قِيَادَهَا ، وَوَهَبَتْهُمْ قُوَّتَهَا وَسُلْطَانَهَا ، وَأَفَاءَتْ
عَلَيْهِمْ عِلْمَهَا وَعِرْفَانَهَا ، فَإِنَّ فِي تِلْكَ الْبُحُوثِ ضِيَاءً
يَسْتَضِيُّ بِهَا الْعَاثِرُ ، وَيُصْقَلُ بِهَا الْخَاطِرُ . بَلْ هِيَ
مِشْكَاةٌ يَهْتَدِي بِهَا السَّائِرُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَهُ مِنْهَا طَرِيقٌ
مُعَبَّدٌ إِلَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى الَّذِي يَتَوَخَّاهُ ، وَإِلَيْكَ يُسَاقُ
الْحَدِيثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فهرست

كتاب التعليق على المقدمة

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
كلمة المؤلف	٥	٧
المقدمة	٨	١١
السلسلة الأولى والثانية	١١	١٢
السلسلة الثالثة	١٢	١٢
المظان الرسمية وغيرها	١٢	١٣
السلسلة الرابعة	١٣	١٧
رواية محمد بن يوسف	١٧	٢٠
رجاء المؤلف	٢٠	٢١
التماس المؤلف	٢١	٢٥
عبد القادر الجرجاني وغيره	٢٥	٢٩

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
الشيخ عبد العزيز جاويش	٢٩	٣٢
اعتراف بفضل	٣٢	٣٤
معلم المدرسة	٣٤	٣٥
اعتراف وفخار	٣٥	٣٦
نقد كتاب ابن الرومي	٣٦	٣٧
بدء الصلة بثروت باشا	٣٧	٣٨
عصر المأمون	٣٨	٤٠
حديث حماد الراوية	٤٠	٤٢
شىء من المراجع	٤٢	٥٠
مع ثروت باشا	٥٠	٥١
كلمة الجاحظ في التأليف	٥١	٥٢
الجاحظ أيضاً	٥٢	٥٤
حكمة ابن الهيثم	٥٤	٥٤
ندوات أدبية	٥٤	٥٥
طرف عن ثروت باشا	٥٥	٥٧

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
المكتبة التاريخية	٥٧	٥٨
طه حسين	٥٨	٥٨
شعار المؤلف	٥٨	٦٢
فن التراجم وتدوين سير الأبطال	٦٢	٦٤
عبادة البطولة	٦٤	٦٦
الأديان المنظمة	٦٦	٦٧
تطور الأديان	٦٧	٦٨
تدوين أعمال البطولة	٦٨	٧٠
بلوتارك	٧٠	٧١
حياة العظماء	٧١	٧٣
تقديس البطولة	٧٣	٧٤
توماس كارلايل	٧٤	٧٦
ارنست رينان وترجمة المسيح	٧٦	٧٨
جان جاك روسو	٧٨	٧٩
شهرة فن التراجم	٧٩	٨٢

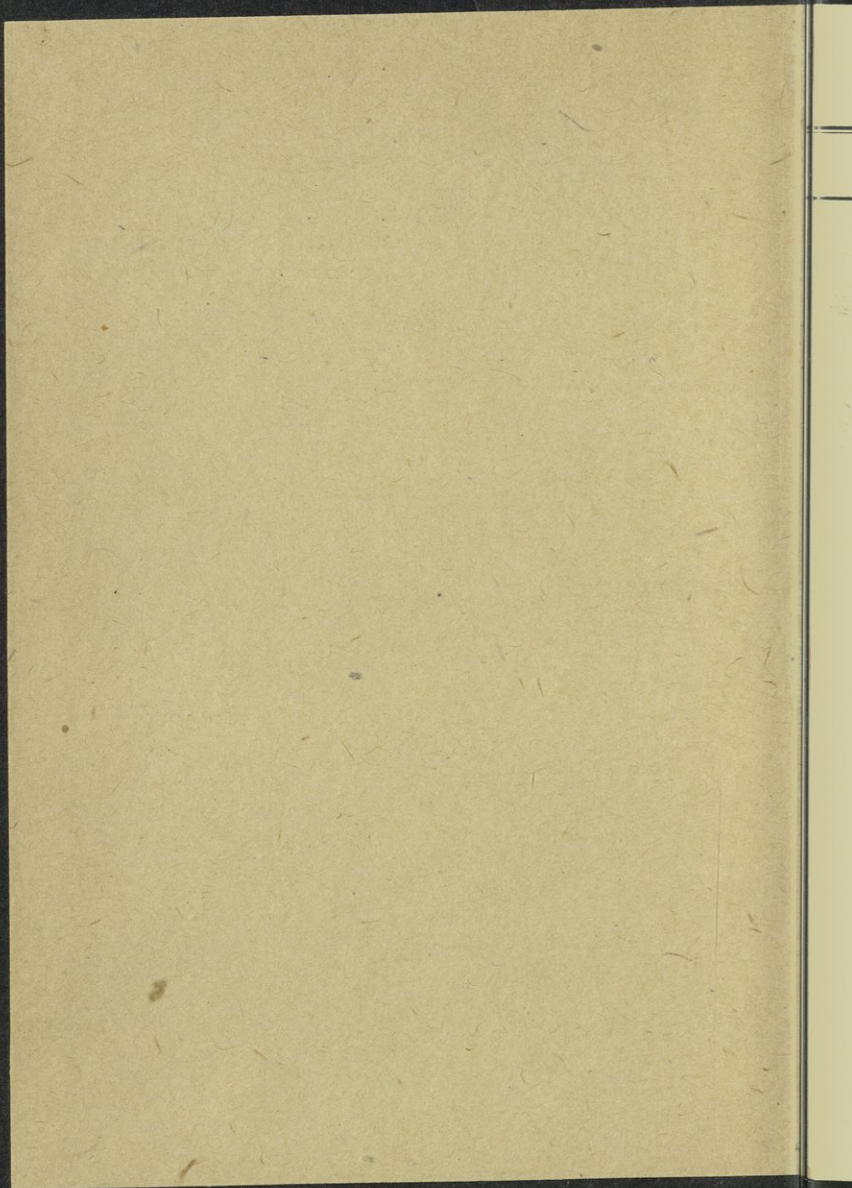
الموضوع	الصحيفة	
	الى	من
اميل لدوفيج	٨٢	٨٢
دراسة الحياة والانسان	٨٣	٨٢
العظام والنوايع	٨٤	٨٣
ايمرسن وفروود	٨٥	٨٤
دراسة التاريخ	٨٦	٨٥
مقال ايمرسن	٨٨	٨٦
النفس	٨٨	٨٨
الانسان	٩٠	٨٨
العقل البشرى	٩٢	٩٠
الحقيقة	٩٣	٩٢
قوى العقل	٩٥	٩٣
الطبيعة	٩٥	٩٥
القوانين	٩٦	٩٥
استطراد	٩٩	٩٦
اتجاه الأدب في هذا العالم	١٠١	٩٩

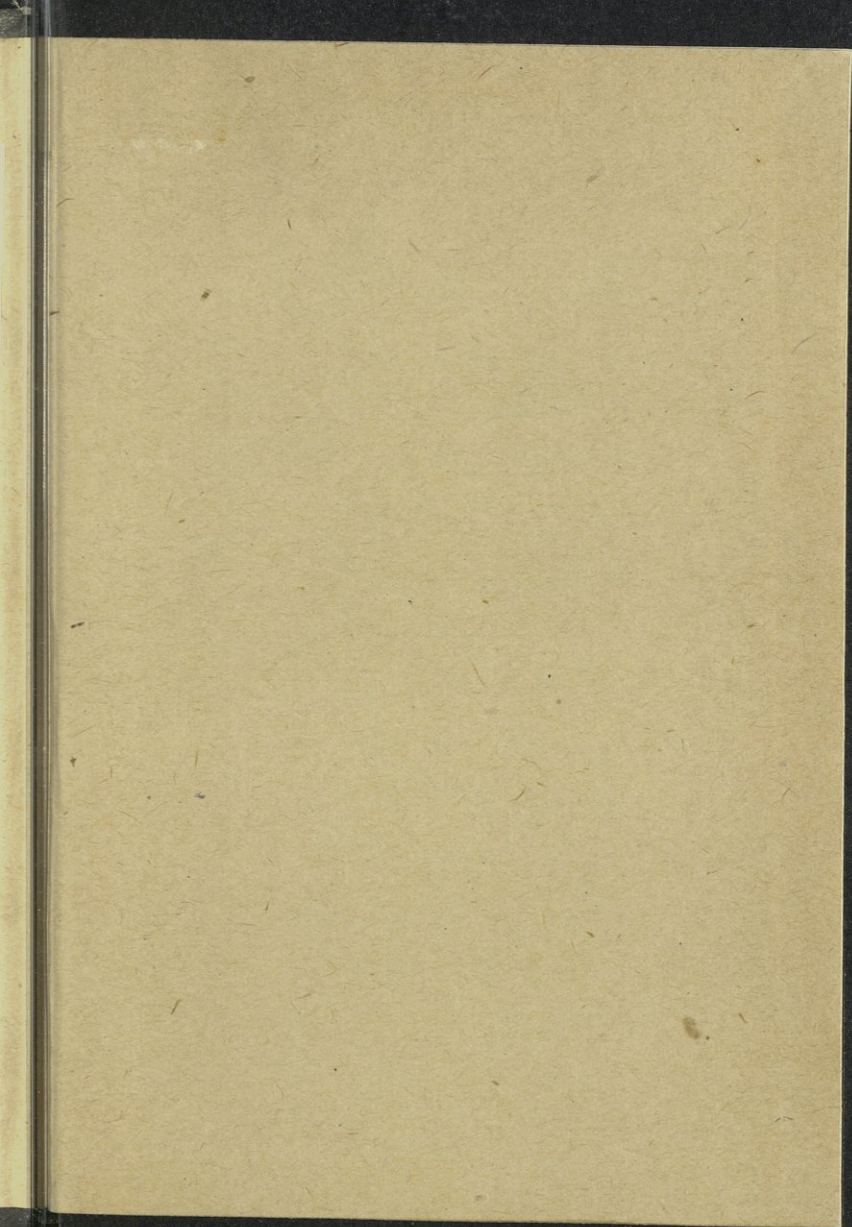
الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
واجب الطالب	١٠١	١٠٣
ثقافة العالم للفرد	١٠٣	١٠٥
نابليون والتاريخ	١٠٥	١٠٨
كيف ننظر إلى التاريخ	١٠٨	١٠٩
كشف ماخبأء التاريخ	١٠٩	١١١
التفاوت في النظر	١١١	١١٥
تطور الطبيعة	١١٥	١١٦
العبقورية الاغريقية	١١٦	١١٨
مظاهر العبقورية	١١٨	١١٩
أصلية تاريخ الفرد	١١٩	١٢٢
الحضارة اليونانية القديمة	١٢٢	١٢٤
الاعتماد على النفس	١٢٤	١٢٦
الجيش وحرية الرأي	١٢٦	١٢٧
نظرة في القديم	١٢٧	١٢٩
كيف ندرس التاريخ	١٢٩	١٣٢

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
متى نكتب التاريخ	١٣٢	١٣٣
حفظ الكتب	١٣٣	١٣٩
أوغسطين والكتب	١٣٩	١٤٠
فوضى القراءة	١٤٠	١٤٢
يكون والكتب	١٤٢	١٤٥
فوائد القراءة	١٤٥	١٤٧
بم تكمل الثقافة ؟	١٤٧	١٤٨
أثر القراءة المتخيرة	١٤٨	١٥٠
أرنولد والثقافة	١٥٠	١٥١
الكتاب والقارئ	١٥١	١٥٢
منزلة الكتاب الممتع	١٥٢	١٥٣
الجاحظ يصف الكتاب	١٥٣	١٥٧
الأدب العربي قديما وحديثا	١٥٧	١٦١
الأدب قديما وحديثا	١٦١	١٦٣
أسبقية الشعر للنثر	١٦٣	١٦٥

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
الشعراء والنشأة الانسانية	١٦٥	١٦٨
التطور الأدبي الحديث	١٦٨	١٧١
الأدب الفردى والمجموعى	١٧١	١٧٥
اتساع أفق الأدب	١٧٥	١٧٨
القصة	١٧٨	١٧٩
التراجم	١٧٩	١٨٠
مجاراة الأدب العربى للغربى	١٨٠	١٨٤
مستقبل الأدب	١٨٤	١٨٦
مدرسة الأدب الحديثة	١٨٦	١٨٧
ارتباط التاريخ بالأدب	١٨٧	١٨٨
نظرة إلى الورا	١٨٨	١٩٠
أشباه الكتاب	١٩٠	١٩٥
الأدب العصرى الآن	١٩٥	١٩٨
المدرسة الحديثة	١٩٨	٢٠١
فن القصة	٢٠١	٢٠٤

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
ألف ليلة وليلة	٢٠٤	٢٠٦
كتبنا والأدب الغربي	٢٠٦	٢٠٧
كتاب فن القصة	٢٠٧	٢٠٩
كيف يسمو القصص	٢٠٩	٢١١
فن النقد وخطره	٢١١	٢١٣
وسائل النجاح وعدة الظفر	٢١٣	٢١٦
النقد وأثره	٢١٦	٢٢٠
مكتبة الثقافة	٢٢٠	٢٢٢
الكتب العربية والذوق العصري	٢٢٢	٢٢٤
واجب الولاية نحو الثقافة	٢٢٤	٢٢٧
التصاغر العام على نشر الثقافة	٢٢٧	٢٢٨
نصيب دار الكتب من الثقافة	٢٢٨	٢٢٩
دار الكتب والمخطوطات	٢٢٩	٢٣١
تمهيد للهامش	٢٣١	٢٣٢





892.708:R56mA:v.4:c.1

رفاعي، احمد فريد

مكتبة القراءة والثقافة الادبية للجيب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032585

American University of Beirut



892.708

R56mA

v.4

General Library

892.708

R56-mA

v.4

MORA, ENGLAND